وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
Ministry of Endowments and Islamic Affairs
State of Qatar • دولة قطر

تهذيب
الفرج بعد الشدة

تأليف
القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي
(ت ٣٨٤ هـ)

المجلد الثاني

تحقيق وتهذيب
المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

أوقاف
AWQAF

تهذيب الفرج بعد الشدة

المجلد الثاني

٢

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤م

الدار الشامية للنشر والتوزيع

المكتب العلمي للدار الشامية

مَحمود مُحمّد هلال الشّيخ
إبراهيم محمّد بركات رقوقي
أنس محمود مسلماني

إخراج
الأستاذ محمد سنوبر

إشراف
زاهر بصبوص

الدار الشامية - اسطنبول

الجوال: 56 08 735 534 0090
الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
Ministry of Endowments and Islamic Affairs
State of Qatar • دولة قطر
أوقاف
AWQAF

تهذيب الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي
ت ٣٨٤ هـ

المجلد الثاني

تحقيق وتهذيب

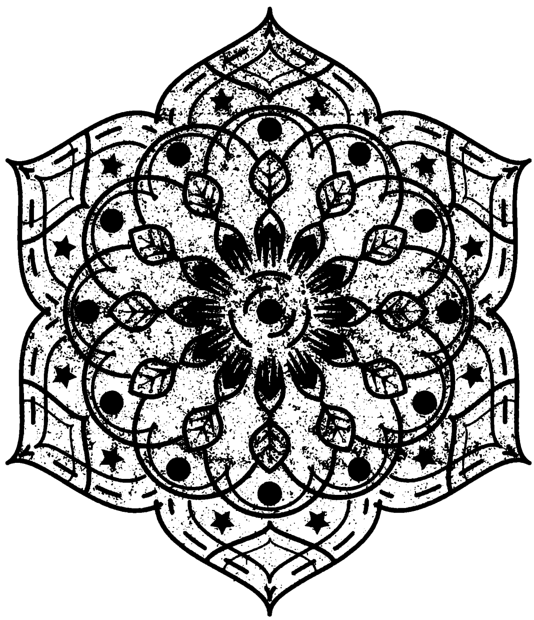
المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

البَابُ الخَامِسُ

مَنْ خَرَجَ مِنْ حَبْسٍ أَوْ أَسْرٍ أَوِ اعْتِقَال
إِلَى سَرَاحٍ وَسَلَامَةٍ وَصَلَاحِ حَال



[٥: ١] [رسولُ اللَّه يمنُّ على هوازِنَ ويُطلق لهم أسراهُم، ويردُّ عليهم ما غَنِمَ مِنهُم]

حدَّثنا الأميرُ أبو بَكرٍ محمَّد بنُ بَدرٍ(١)، **قال**: حدَّثنا أبي الأميرُ أبو النَّجمِ بَدرٌ الكَبيرُ المَعروفُ بِالحَمامي(٢)، **قال**: حدَّثنا أبو محمَّد عُبَيْد الله بن الرُّمَاحس القيسي(٣) الجُشَمي برمادة فِلَسطينَ(٤)، **قال**: حدَّثنا أبو عمرو زَيَّادُ بنُ طارِقٍ(٥) -وكانَ قَد أتَت عليه عِشرونَ ومِئَةُ سَنَةٍ، وهو يَصعَدُ يَلقُطُ التِّينَ(٦)- **قال: سَمِعتُ أبا جَرولٍ زُهَيرَ بنَ صُرَدٍ الجُشَمي(٧)، يَقولُ:**

---

(١) هو محمَّد بن بدر الأمير، أبو بكر الحمامي الطولوني، أمير بلاد فارس وابن أميرها، ثقة، (ت: ٣٦٤هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٢/ ٤٦٨).

(٢) هو بدر أبو النجم، مولى المعتضد بالله، المعروف بالحمامي، ويُسمى بدر الكبير، (ت: ٣١١هـ). يُنظر: «تاريخ بغداد» (٧/ ٥٩٩).

(٣) في المطبوع: (العبسي)، وهو تصحيف.

(٤) هو عبيد الله بن رماحس بن محمَّد، أبو محمَّد القيسي الجشمي، كان شيخًا معمرًا جاوز المئة، بقي إلى سنة (٢٨٠هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٦/ ٥٧٣)، و«لسان الميزان» (٥٠١١).

(٥) في (ض، ك، والمطبوع) زيادة: (قال: وقال ابنُ الرُّماحس)، وهي خطأ ليست في النسخ الأخرى، ولا في مصادر الرواية. وزَيَّاد **بن طارق** -وقيل: زِيَاد، وزَيَّاد أصح- الجُشَمي، نكرة لا يعرف، تفرَّد عنه عبيد الله بن رماحس، وقال أبو منصور الباوردي في كتاب «معرفة الصحابة» له: إنه مجهول. ينظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٣/ ١٣٥)، و«ميزان الاعتدال» (٢/ ٩٠)، و«لسان الميزان» (٣/ ٥٣٣).

(٦) قوله: (حدَّثنا الأميرُ... التِّينَ) في (ظ، ل، ف): (حدَّثني محمَّد بنُ بَدرٍ، عن أبيه بَدرٍ الكَبيرِ المعروفِ بالحمامي، عن عُبَيد الله الجشمي، عن زياد بن طارِقٍ).

(٧) هو زُهير بن صُرَد السَّعدي الجُشمي، أبو جرول، ويُقال أبو صرد، صحابي. ينظر: «الإصابة» (٢/ ٤٧٣).

لما أسَرَنا رَسولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يومَ حُنَينٍ يومَ هَوازِنَ، وذَهَبَ يُفَرِّقُ السَّبيَ فقُمْتُ فأنشَدتُهُ شعرًا[1]: [من البسيط]

امنُن عَلَينا رَسولَ الله في كَرَمٍ   فإنَّكَ المَرءُ نَرجوهُ ونَنتَظِرُ
امنُن عَلَى بَيضَةٍ قَد عاقَها قَدَرٌ   مُفَرَّقٌ شَملُها في دارِها غِيَرُ
أبقَت لَها[2] الحَربُ هتَّافًا عَلَى حَزَنٍ   عَلَى قُلوبِهِمُ الغَمَّاءُ[3] والغُمَرُ[4]
إن لَم تُدارِكْهُمُ نَعماءُ تَنْشُرُها   يا أرجَحَ النَّاسِ حِلمًا حينَ يُختَبَرُ
امنُنْ عَلَى نِسوةٍ قَد كُنتَ تَرْضَعُها   وإذ يُرينَكَ ما تأتي وما تَذَرُ
لا تَجعَلَنَّا كَمَن شَالَتْ نَعامَتُهُ[5]   واستَبقِ مِنَّا فإنَّا مَعشَرٌ زُهَرُ
إنَّا لَنَشكُرُ لِلنَّعماءِ إذْ كُفِرَتْ   وعِندَنا بَعدَ هَذا اليَومِ مُدَّخَرُ
يا خَيرَ مَن مَرِحَت كُمتُ الجيادِ[6] بِهِ   عند الهِياجِ إذا ما استوقِدَ الشَّرَرُ
فألبِسِ العَفو مَن قَد كُنتَ تَرْضَعُهُ   مِن أُمَّهاتِكَ إنَّ العَفوَ مُشتَهَرُ

---

(١) الأبيات لزهير بن صرد في «الحماسة المغربية» (١/ ٩٠)، و«نهاية الأرب» (١٧/ ٣٤١).
(٢) (لها) في (ظ، ل): (لنا).
(٣) في (ظ): (الغمياء)، وفي (ل): (الغيناء).
(٤) جمع غَمْرةٍ، وهي الشِّدَّة. ينظر: «مختار الصحاح» (غ م ر).
(٥) يُقال للقوم: شالت نعامتهم، إذا تفرَّقت كلمتُهم، وذهب عزُّهم، وخفَّت منازلُهم منهم. يُنظر: «لسان العرب» (ش و ل: ١١/ ٣٧٦).
(٦) **الكُمَيتُ** من الخيل: ما لونه الكُمْتة: وهي حُمْرةٌ يَدخُلُها قُنُوءٌ، ويكون في الخيل والإبل وغيرهما. يُنظر: «لسان العرب» (ك م ت: ٢/ ٨١).
ومَرِحَ: نَشِطَ، وفَرَسٌ مَرُوحٌ: نَشِيطٌ. يُنظر: «لسان العرب» (م ر ح: ٢/ ٥٩١).

إنّـا نُـؤَمِّـلُ عَـفـوًا مِـنـكَ تُلبِسُهُ   هـذي البَرِيَّةَ إذْ تَعفُو وتَنتَصِرُ
عَـفـوًا عَفا الله عَمَّا أنـتَ راهِـبُـهُ   يَـومَ القيامَةِ إذ يُهدَى لَكَ الظَّفَرُ

قال: فَلَمَّا سَمِعَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هَذا الشِّعرَ قال: «**ما كانَ لي ولِبَني عَبدِ المُطَّلِبِ، فَهو لَكُم**».

فَقالت قُرَيشٌ: ما كانَ لَنا فَهو لله عَزَّوَجَلَّ ولِرَسولِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقالتِ الأنصارُ: ما كانَ لَنا فَهو لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولِرَسولِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، **فأطلَقَهُم**[1] **جميعًا**[2].

❁ **وحدَّثناه أبو العَباسِ محمَّدُ بنُ أحمَدَ المَعروفُ بِالأثرَمِ، المُقرِئُ الخَيَّاطُ البَغدادي، بِالبَصرَةِ، قال: حدَّثنا أبو عُمَرَ أحمَدُ بنُ عَبدِ الجَبارِ العُطارِدي**[3]**، قال: حدَّثنا يونس**[4] **بنُ بُكَيرٍ الشَّيباني**[5]**، عَن محمَّد بنِ إسحاقَ**[6]**، قال: حدَّثني**

---

(١) في (ظ، ل): (فأطلقهن).

(٢) القصة رواها ابن الأعرابي في «معجمه» (٢٠١٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٣٠٣)، و«الأوسط» (٤٦٣٠)، و«الصغير» (٦٦١)، وابن عساكر في «معجمه» (١٢٤٧) وقال: «هذا حديث غريب»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٨٧): «وفيه من لم أعرفهم»، وحسَّن إسنادَه الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٥/ ٣٢٢).

(٣) هو أحمد بن عبد الجبار بن محمَّد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة، أبو عمر التميمي، المعروف بالعطاردي، من أهل الكوفة، لا بأس به، (ت: ٢٧١هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٤٣٤).

(٤) كذا في (ك)، وفي (ض): (**أبو بشر**) وهو تصحيف.

(٥) هو يونس بن بكير بن واصل، الحافظ أبو بكر الشيباني الكوفي الحمال، صاحب المغازي، قال ابن معين: صدوق، وقال أيضًا: ثقة، إلَّا أنَّه مُرجِئ، وقال النسائي: ليس بالقوي. (ت: ١٩٩هـ). ينظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٨/ ٤١١)، و«تاريخ الإسلام» (٤/ ١٢٥٨).

(٦) هو محمَّد بن إسحاق بن يسار المطلبي المخرمي، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله الأحول، =

عَمرو بنُ شُعَيبٍ، عَن أبيهِ[1]، عَن جَدِّهِ[2]، قال:

كُنَّا مع رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُنَينٍ، فَلَمَّا أصابَ مِن هَوازِنَ ما أصابَ مِن أموالِهِم وسَباياهُم، أدرَكَتهُ هَوازِنُ بِالجِعرَّانَةِ، وقَد أسلَموا، فَقالوا: يا رَسولَ الله، لنا أهلٌ وعشيرةٌ، وقد أصابَنا مِنَ البَلاءِ ما لَم يَخفَ عليكَ، فامنُن عَلَينا مَنَّ الله عليكَ، **وقامَ خَطيبُهُم زُهَيرُ بنُ صُرَدٍ فَقال يا رسولَ الله**: إنَّ ما في الحضائر[3] مِنَ النِّساءِ خالاتُكَ، وعَمَّاتُكَ، وحَواضِنُكَ اللاتي يكفلنَكَ[4]، ولو أنا صابَحَنا[5] ابن أبي شمر الغسَّاني[6]، والنُّعمان بن المُنذِرِ[7]، ثُمَّ أصابَنا منهما مِثلَ الَّذي أصابَنا مِنكَ، رَجَونا عائِدَتَهُما، وعَطفَهُما، وأنت خير المكفولين.

= أحد الأعلام، وصاحب المغازي، (ت: ١٥١هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٤/ ١٩٣).

(١) هو شعيب بن محمَّد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي الحجازي. ينظر: «تهذيب الكمال» (١٢/ ٥٣٤).

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. ينظر: «مقدمة ابن الصلاح» (ص: ٣١٥).

(٣) وفي (ظ): (الحظائر)، وهما بمعنًى، ففي «لسان العرب» في مادة (ح ض ر: ٤/ ١٩٩): «الحَضِيرَةُ: مَوْضِعُ التَّمرِ، وتُسَمَّى أَيضًا الجُرْنَ والجَرِينَ»، وفي مادة (ح ظ ر: ٤/ ٢٠٣): «والحَظِيرَة: جَرِينُ التَّمْرِ، نَجْدِيَّة، لأَنه يَحْظُرُه ويَحْصُرُه. والحَظِيرَةُ: مَا أَحاط بِالشَّيْءِ...».

(٤) في (ظ): (يكنفنك)، وفي (ل): (يكففنك).

(٥) أي: هاجمنا صباحًا، وفي (ظ، ل): (صالحنا).

(٦) هو الحارث بن أبي شمر الغساني، من أمراء غسان في أطراف الشام، كانت إقامته بغوطة دمشق، وأدرك الإسلام، (ت: ٨هـ) في فتح مكة. «الأعلام» (٢/ ١٥٥).

(٧) هو النعمان بن المنذر اللخمي، أبو قابوس، من أشهر ملوك الحِيرة في الجاهلية، كان داهية مقدامًا، وهو ممدوح النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وحاتم الطائي. ينظر: «الكامل في التاريخ» (١/ ٣٨٣)، و«تاريخ ابن خلدون» (٢/ ٣١٨).

ثم أنشَدَه أبياتًا قالها، وذَكَرَ منَ الأبياتِ ثَمانيةً، فقال في الأولِ: «وندَّخرُ»، وقال في الثَّاني: «مُمَزَّقٌ»، وقال في الثالث: «تَهْتانًا[1]»، وقال في السادس: «نعامَتُهُم»، وقال في السابع: «إنّا لَنَشكُرُ آلاء وإن كُفِرَت»[2].

---

(١) في (ض): (نهيا)، وفي المطبوع: (نهافًا) وهو تصحيف، والمثبت من (ك).
يقال: هَتَنَ المطرُ والدَّمْعُ يَهْتِنُ هَتْنًا وهُتُونًا وتَهْتانًا: قَطَرَ؛ وعَيْنٌ هَتُونُ الدَّمْع. ينظر: «لسان العرب» (هـ ت ن: ١٣/ ٤٣١).

(٢) في (ض) زيادة: (وقال في الخامس: امْنُنْ عَلَى نِسْوةٍ قد كُنْتَ تَرْضَعُهَا * إِذْ فُوكَ يَمْلَؤُهُ مِنِ مَحْضِهَا... وأتى بالبيت السادس كما رواه ابنُ الرماحس). ينظر: «مكارم الأخلاق» (٣٨٣)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ١٩٤).

[٥: ٢] [عبدُ اللَّه بنُ المعتزِّ في سجنِ الوزيرِ القاسِمِ]

أخبرني أبو بكرٍ الصوليُّ، قال: كانَ القاسِم بن عبيد الله الوزير[١] قد تقدَّم عند وفاة المعتضد بالله إلى صاحب الشرطة مؤنس الخازن[٢] أن يوجِّه إلى عبد الله بن المعتزِّ، وقصيِّ بن المُؤَيد، وعبد العزيز بن المعتمد؛ فيحبسهم في دارٍ[٣]، فَفعل ذلك، وكانوا محبوسين خائِفين، إلى أن قَدِمَ المكتفي بالله[٤] بَغدادَ، فَعرف خبرهم، فأمر بإطلاقهم، ووصل كلَّ واحدٍ منهم بألف دينارٍ.

قال: فَحدَّثنا عبد الله بن المعتز، قال: سهرتُ في الليلة التي دخل في صبيحتها المكتفي إلى بغداد، فلم أنم خوفًا على نفسي، وقَلَقًا بوُرُودِه، فمرَّت بي

---

(١) هو القاسِمُ بنُ عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي، أبو الحسين الكاتب، وَزِرَ للمعتضد، فلما مات المعتضد قام القاسم بأعباء الخلافة، وعقد البيعة للمكتفي الذي كان بالرقة، وضبط له الخزائن، وكان سفَّاكًا للدماء ظالمًا، (ت: ٢٩٠، أو: ٢٩١هـ). ينظر: «معجم الشعراء» للمرزباني (ص: ٣٣٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ١٨).

(٢) هو مؤنس الخادم الأكبر، المُلقَّب بالمُظفَّر المعتضدي، أحد الخُدَّام الذين بلغوا رتبة الملوك، وكان فارسًا شجاعًا سائسًا داهية، ولي دمشق للمقتدر، ثم حارب المقتدر، وقد عُمِّر تسعين سنة، وقاد الجيوش ستين سنة، قُتل (٣٢١هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥٦، ١٠٢).

(٣) في (ظ، ل): (كان القاسم... أَخَذَ ابنَ المؤيد و... وحبسهم في دارٍ، ووكل بهم).

(٤) هو علي بن أحمد (المعتضد بالله) بن طلحة (الموفق) بن المتوكل الخليفة العباسي، بُويع بالخلافة سنة (٢٨٩هـ)، فاستخلف ستة أعوام ونصفًا، (ت: ٢٩٥هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٨٨).

[ص/ ٥٤] في السَّحَر طيرٌ فصاحت[١]، فتمنَّيتُ أن أكون مثلها مُخَلًّى[٢]؛ لما يجري عليَّ من النكبات.

ثمَّ فكَّرتُ في نِعَم الله جَلَّوَعَلَا عليَّ، وما خَارَه[٣] لي من الإسلام والقرابة من رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وما أؤمِّله من البَقاء الدَّائِم في الآخِرَة، فقلت في الحال[٤]: [من البسيط]

يا نَفْسُ صَبْرًا لَعَلَّ الخَيرَ عُقْباكِ ... خَانَتْكِ مِنْ بَعدِ طُولِ الأَمْنِ دُنْياكِ
مـرَّتْ بِنَا سَحَرًا طَيرٌ فَقلتُ لها ... طُـوبـاكِ يا لَيتَني إيَّـاكِ طُوباكِ
لَكِنْ هُو الدَّهرُ فَالْقَيْهِ عَلَى حَذَرٍ ... فَرُبَّ مِثْلِكِ تَنْزُو[٥] تَحْتَ أَشْرَاكِ[٦]

---

(١) (طير فصاحت) في (ظ، ل): (طائرٌ قمريٌّ).
الطيْرُ: جماعةٌ، مؤنَّثةٌ، وقد تُذكَّرُ، والتأنيثُ أكثر، ولا يقال للواحد: طيرٌ، إنما يقال: طائرٌ. ينظر: «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري (٢/ ١٣٠). **والقُمْري**: طائرٌ يُشبه الحمام. يُنظر «لسان العرب» (ق م ر: ٥/ ١١٥).
(٢) في (ظ، ل): (مثله). **مُخَلًّى**: مُرسلًا، يُقال: خلَّى عن الشيء: أرسله، وخلَّى سبيله. يُنظر «لسان العرب» (خ ل ي: ١٤/ ٢٤٢).
(٣) في (ظ، ل): (اختاره).
(٤) الأبيات منسوبة لابن المعتز في «المحاسن والأضداد» للجاحظ (ص: ٧٢)، و«أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم» للصولي (ص: ٢٨٦).
(٥) **النَّزْو**: هو الوَثَبان والقفز. ينظر: «لسان العرب» (ن ز ا: ١٥/ ٣١٩).
(٦) وهي حبائل الصائد التي تُنصب للإيقاع بالطير. يُنظر «لسان العرب» (ش ر ك: ١٠/ ٤٥٠).
وقد وردت القصة في «نشوار المحاضرة» (٦/ ١٣٤)، و«تاريخ بغداد» (١١/ ٣٠٢)، و«أنس المسجون» (ص: ١٤١).

[٥: ٣] [البحتريُّ الشاعرُ وأبو مَعشَرٍ المنجِّم يذهبان إلى المعتزِّ باللَّه في حَبْسِهِ]

حدَّثني عَليُّ بن هِشام بن عبد الله الكاتِب، **قال:** حدَّثني **أبو القاسِم سُلَيمان بن الحسن بن مخلد، قال:** لما أُبعِد(١) أبي إلى مصرَ، اجتذبتُ أبا عبادَة البحتريَّ(٢)، وأبا مَعشَرٍ المنجِّمَ، فكنت آنَسُ بهما في وحدَتي وملازمتي البيت، وكانا في أكثر الأوقات عندي يحدِّثاني ويعاشراني.

فحدَّثاني يومًا أنَّهُما أضاقا إضاقةً شَديدَة، وكانا مصطحبين، فَعَرض(٣) لهما أن يلقيا المعتزَّ بالله -وهو مَحبوسٌ- فيتودَّدا إليهِ ويؤمِّلا عِنده أملًا(٤)، فتوصَّلا إليه حتَّى لقياهُ في حَبسه. [ظ/٦٦]

قال البحتري: فأنشَدتُه أبياتي الَّتي كنت قلتُها في محمَّد بن يوسُف الثَّغْري(٥) لما حُبِس، وخاطبت بها المعتزَّ بالله، كأنِّي عملتها فيه في الحال، وهي(٦): [من الطويل]

---

(١) في (ظ): (أنفذ).

(٢) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الطَّائي البحتري المنبجي، شاعر الوقت، وصاحب الدِّيوان المشهور، مدح الخلفاء والوزراء، (ت: ٢٨٣هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٩١).

(٣) في (ظ، ل): (فعنَّ).

(٤) في (ظ، ل): (ويؤصلا عنده أصلًا).

(٥) محمَّد بن يوسف، أبو سعيد الثغري الطائي، من أهل مرو، وكان من قواد حميد الطوسي. ينظر: «أخبار أبي تمام» للصولي (ص: ٢٢٧).

(٦) الأبيات في «ديوانه» (٣/ ١٥٦٧).

جُعِلتُ فِـدَاكَ الدَّهْرُ لَيسَ بِمُنْفَكٍّ ... مِنَ الْحَادِثِ المَشْكُوِّ والنَّازِلِ المَشْكِي
وَمَــا هَــذِه الأَيَّــامُ إلَّا مَـنَـازِلٌ ... فَمِنْ مَنْزِلٍ رَحْبٍ وَمِنْ مَنْزِلٍ ضَنْكِ
وَقَـدْ هَذَّبَتْكَ الْـحَـادِثَـاتُ وإنَّما ... صَفَا الذَّهَبُ الإِبْرِيزُ قَبْلَكَ بِالسَّبْكِ
أما في رَسُـولِ اللهِ يُوسُفَ أُسْـوَةٌ ... لِمِثْلك مَحْبُوسًا عَلَى الظُّلْمِ وَالإِفْكِ
أَقَامَ جَميلَ الصَّبرِ في السِّجْنِ بُرهَةً ... فَآلَ بِهِ الصَّبرُ الجَميلُ إلى المُلْكِ
عَلَى أَنَّهُ قَدْ ضِيمَ في حَبْسِكَ العُلا ... وَأَصْبحَ عِزُّ الدِّينِ في قَبضَة الشِّرْكِ(١)

قال: فأخذ الرُّقعة الَّتي فيها الأبياتُ فَدَفعها إلى خادِمٍ كانَ واقِفًا على رأسه، **وقال له:** احفظها وغيِّبها(٢)، فإنْ فرَّجَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عنِّي فأَذْكِرْني بها؛ لأقضيَ حقَّ هذا الرَّجل الحرِّ.

وقال لي أبو معشرٍ: قد كنتُ أنا أخذتُ مَولِدَه، ووقتَ عُقِدَ له العَهدُ، ووقتَ عُقِدَتْ البيعَةُ للمستعين(٣) بالخلافة؛ فَنَظَرتُ في ذلك، وصحَّحتُ الحكمَ للمعتزِّ بالخلافة بعد فتنَةٍ تجري وحروبٍ، وحكمت على المستعين بالقَتلِ، فَسلَّمتُ ذلك إلى المعتزِّ، وانصرفنا.

---

(١) في (ك): (وأضحت يد الإسلام في قَبضَة الشِّرْكِ)، والبيت في «الديوان»: (على أنه قد ضيم في حبسك الهدى * وأضحى بك الإسلام في قبضة الشركِ).

(٢) (احفظها وغيِّبها) في (ظ، ل): (احتفظ بهذه الرقعة).

(٣) هو أحمد بن محمَّد بن هارون، أمير المؤمنين أبو العباس، وقيل: أبو عبد الله، المستعين بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور؛ ولد سنة (٢٢١هـ)، وبويع في ربيع الآخر سنة (٢٤٨هـ) عند موت المنتصر ابن المتوكل، واستقام له الأمر، (ت: ٢٥٢هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٥٥)، و«فوات الوفيات» (١/ ١٤٠).

وضرب الدهر من ضربه[1]، وصَحَّ الحكمُ بأسره.

قال لي أبو معشرٍ: فدخلتُ أنا والبحتري جميعًا إلى المعتزِّ بالله، وهو خليفةٌ بعد خلعِ المستعين وتَغْرِيقِه. **فقال لي المعتز**: لم أَنْسَكَ، وقد صَحَّ حُكمُكَ، وقد أجريتُ لك في كلِّ شهر مئَةَ دينارٍ رِزْقًا، وثلاثينَ دينارًا نزلًا[2]، وجعلتُك رئيسَ المنجِّمين في دُور الخلافَة، وأمرتُ لك عاجلًا بإطلاق ألف دينارٍ صِلَةً.

فقبضتُ ذلك كُلَّه في يومي.

وقال لي البحتري: وتَقَدَّمت أنا، فأنشدتُ المعتزَّ قصيدةً مدحتُه بها، وهنَّأْتُه بالخلافة، وهجوتُ فيها المستعينَ، وأوَّلها[3]: [من الطويل]

يُجَانِبُنَا في الحُبِّ مَنْ لَا نُجَانِبُهْ ... وَيَبْعُدُ عَنَّا في الهَوَى مَنْ نُقَارِبُه

فلما بلغت فيها إلى قولي:

فَكَيفَ رَأَيـتَ الحَقَّ قَـرَّ قَـرارُهُ ... وَكَيفَ رَأَيـتَ الظُّلمَ آلتْ عَوَاقِبُه

وَلَـمْ يَكُن المُغْتَرُّ باللهِ إذْ سَـرَى[4] ... لِيُعْجِزَ والـمُـعْـتَـزُّ بـاللهِ طَالِبُهْ

وَقَـدْ سَرَّنِي أَنْ قِيلَ وَجَّـهَ غازيًا[5] ... إلى الشَّرقِ تُحدَى سُفْنُه ورَكَائِبُه

---

(١) ومعناه: مرَّ من مروره وذهبَ بعضُه. ينظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٨٠)، و«لسان العرب» (ض ر ب: ١/ ٥٥٠).
(٢) **النُّزْل والنَّزَل**: الرَّيْعُ والفَضْلُ. ينظر: «لسان العرب» (ن ز ل: ١١/ ٦٥٩).
(٣) الأبيات في «ديوانه» ط القسطنطينية (ص: ٨٧).
(٤) في «الديوان»: (شرى).
(٥) في (ض): (عاريا)، وفي «الديوان»: (مسرعا).

رُمِي بِالْقَضِيبِ عُنْوَةً وَهْوَ صَاغِرٌ   وَعُــرِّيَ مِــنْ بُــرْدِ النَّبِيِّ مَنَاكِبُهْ
إلى وَاسِطٍ خَلْفَ الدَّجاجِ ولم يَكُنْ   لِتَنْشَبَ إلَّا في الدَّجاجِ مَخَالِبُهْ

قال: فاستعاد منِّي[1] الأبيات مرارًا، فأعدتها، ودَعا بالخادِمِ الَّذي كانَ معه في الحَبسِ، فطلب منهُ الرُّقعة الَّتي كنتُ أنشدته الشِّعرَ الَّذي فيها في حَبسه، فأحضرها بِعَينها.

فقال: قد أمرتُ لك بِكُلِّ بَيتٍ بألف دينارٍ، وكانَت سِتَّةً، فأُعطِيتُ[2] سِتَّةَ آلاف دينار.

ثمَّ قال: كأنِّي بك قد بادرتَ فاشتريتَ منها غُلامًا، وفرسًا، وجارية، وأتلفتَ المالَ؛ لا تفعل، **فإنَّ لك** فيما تستأنِفُه معنا من أيامك، ومع وزرائنا وأسبابِنا، إذا عرفوا قدرك وموضعك عندنا؛ **غَناءً**[3] عن ذلك، ولكن افعَل بهذا المال كما فعل ابنُ قيسٍ الرُّقَيَّات[4] بالمالِ الَّذي وصل إليه من عبد الله بن جَعفَر؛ اشْتَرِ بِهِ ضَيعَةً جليلة[5]، تنتَفع بغلَّتها، ويبقى عَلَيك وعَلى ولدك أصلُها.

---

(١) في (ظ، ل) (فاستعادني هذه).
(٢) في (ظ): (فأخذت).
(٣) **الغَنَاء**: الاكتفاء. ينظر: «المصباح المنير» (غ ن ن).
(٤) هو عبيد الله بن قيس الرُّقيَّات القرشي العامري الحجازي، أحد الشعراء المُجوِّدين، مدح مصعب بن الزبير، وعبد الله بن جعفر، وكان مولده في أيام عمر. وقيل لأبيه: قيس الرُّقيَّات؛ لأنَّ له جدَّات عدَّة يسمين رُقيَّة. ينظر: «تاريخ الإسلام» (٢/ ٨٥٩).
(٥) في (ظ): (اشترى به ضيعة، اشترِ أنت أيضًا ضيعة)، وفي (ل): (فاشتر أنت ضيعة).

فَقلت: السَّمع والطَّاعَة، وخرجت فاشتريت بالمالِ ضَيعَةً جليلةً بمَنْبِجٍ[1]، ثمَّ تأثلت[2] حالي معه وزادت[3].

(١) مدينة منبج تقع الآن في شمال شرق محافظة حلب في شمال سورية، خرج منها جماعة من الشعراء، أشهرهم البحتري، وأبو فراس، ولد بها عبد الملك بن صالح الهاشمي. ينظر: «معجم البلدان» (٥/ ٢٠٥).

(٢) في (ظ، ل): (ارتفعت). **تأثَّل مالًا**: اكتسبه واتخذه وثمَّره، وأثَّل الله ماله: زكَّاه ونمَّاه. ينظر «لسان العرب» (أ ث ل: ١١/ ٩).

(٣) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٨/ ٥٨)، و«مرآة الزمان» (١٥/ ٢٨٩- ٣٥٧).

[٥: ٤] [محمَّدُ بنُ يُوسفَ الثَّغريُّ في السجن]

قال مؤلِّف هذا الكتاب: وللبحتريِّ في هذه الأبيات الكافيَّة خبرٌ آخر حسنٌ، نذكرهُ، لأنَّهُ يدخل في هذا الباب.

أخبرني أبو بكر الصولي إجازَة -ونقلته من خطِّه- **قال:** حدَّثني أحمد بن إبراهيم الغَنوي(١)، **قال:** طُولِبَ أبو سعيدٍ الثَّغْريُّ(٢) بِمالٍ بعد غَزَواته المَشهورَة، وسُلِّم إلى أبي الخير(٣) النَّصراني الجِهبِذ ليستخرج المال منهُ، فَجعل يُعذِّبه فشقَّ ذلك على المسلمين، **وقالوا:** يأخُذ بثأر النَّصرانيَّة. [ظ/٦٧] [ض/٥٥]

فقال البحتري(٤): [من الكامل]

يَا ضَيْعَةَ الدُّنيا وَضَيْعَةَ أَهْلِهَا ... وَالمُسْلِمينَ وَضَيْعَةَ الإِسْلَامِ
طُلِبَتْ ذُحُولُ الشِّرْكِ(٥) في دَارِ الهُدَى ... بَيْنَ المِدَادِ وَأَلْسُنِ الأَقْلَامِ
هَذا ابنُ يُوسُفَ في يَدَيْ أَعْدَائِهِ ... يُجْزَى على الأَيَّام بِالأَيَّامِ(٦)

---

(١) في المطبوع: (القنوي)، وهو تصحيف: يُنظر: «أخبار أبي تمام» للصولي (ص: ١٨٥).
(٢) هو محمَّد بن يوسف، أبو سعيد الثغري الطائي، وقد سبقت ترجمته (٢/ ١٤).
(٣) في (ظ، ل، والمطبوع): (الحسين)، وهو تصحيفٌ، وأبو الخير النصراني كاتب سعيد بن الحاجب. يُنظر: «عيون الأخبار» (٢/ ٢٢٣)، و«الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري» للآمدي (٣/ ٤٥٤).
(٤) الأبيات في «ديوانه» (٣/ ٢٠٣٥).
(٥) طَلَبَ بِذَحْلِهِ؛ أي: بِثَأْرِهِ، والجمعُ ذُحُول. ينظر: «مختار الصحاح» (ذ ح ل).
(٦) هذا البيت ليس في (ظ، ل).

نَامَتْ بَنُو العَبَّاس عَنهُ وَلَـمْ تكُن عَـنـهُ أُمَـيَّـة لَـو رَعَـتْ بِـنِـيَـامِ

فقُرِئ هَذا الشِّعر على المتوكِّل، فأمر بإطلاق أبي سعيدٍ[1] وتَولِيَته، وأمر بإحضارِ قائِل الأبيات، فأُحضر البحتريُّ، واتصل بِهِ، فكانَ أوَّلَ شعرٍ أنشدهُ قولُه في أبي سعيدٍ:

جُعِلتُ فِداكَ الدَّهرُ لَيسَ بمُنْفَكِّ

وذكر الأبياتَ، إلَّا أنَّه قال في البَيت الثَّالِث بدل «الحادثات»: «النَّائبات».

وقال في البَيت الَّذي أوَّله:

على أنَّه قَدْ ضِيمَ في ضَيْمِكَ الهُدَى[2]

وَأَضْحَى بِكَ الإِسْلَامُ في قَبْضَةِ الشِّرْكِ

---

(١) ينظر: «الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري» (٣/ ٤٥٤).

(٢) في (ك): (العلى).

[٥: ٥] [البحتريُّ يمدحُ إبراهيمَ بنَ المُدبَّر وكيف تخلَّصَ من الحبسِ]

ومن محاسِن شعر البحتري التي تتَعَلَّق بهذا الباب، وإن كانَ تعلُّقًا ضَعيفًا، إلَّا أن الشَّيء بالشَّيء يُذكَر، ولا سيما إذا قاربه: **ما أخبرنيه الصوليُّ إجازَة**[١]**، قال:**

ذَكَرَ يومًا إبراهيمُ بنُ المُدبِّرِ[٢] البحتريَّ، **فقال:** ما رأيتُ أتمَّ طبعًا منهُ، ولا أحضرَ[٣] خاطرًا، لقد مدحني حين تخلَّصت من الأسر -يعني: أَسْرَ صاحبِ الزِّنْجِ بالبَصرَةِ[٤]- وذكر الضَّربَةَ الَّتي في وجهي، وتخلُّصي، ومَدَحَ المأسورَ، وهذا شيءٌ ما راعاه قبله أحدٌ.

---

(١) (إجازة) ليست في (ظ، ل).

(٢) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن محمَّد بن عبيد الله بن المدبر الضبّي البصريّ، الكاتب الأديب، الشاعر الجواد المترسِّل، تصرّف في الأعمال الجليلة، وخدم المتوكّل، وولّاه ديوان الأبنية، ووزر للمعتمد، (ت: ٢٧٩هـ). يُنظر: «معجم الأدباء» (١/ ١٠٢)، و«المقفى الكبير» (١/ ١٨٧).

(٣) في (ض): (أحسن).

(٤) خرج في أيَّام المعتمد على الله، وهو عليُّ بن محمَّدٍ المدَّعي أنَّه علويّ، وقيل: اسمه بَهْبُوذ. استمال قلوبَ العبيد من الزّنج بالبصرة ونواحيها، فاجتمع إليه منهم خلقٌ كثيرٌ، وعَظُم شأنُه وقَوِيَتْ شوكتُه، فانبثَّ عسكره في البلاد العراقيَّة والبحرين وهجر، فتصدى له الموفَّقُ طلحةُ بعساكرَ كثيفةٍ، والتقيا بين البصرة وواسط، ودامت الحرب بينهما سنين كثيرة، انتهت بقتله سنة (٢٧٠هـ). ينظر: «الفخري في الآداب السلطانية» (ص: ٢٤٦)، و«تاريخ الإسلام» (٦/ ٢٥٥).

قال الصُّوليُّ: والأبيات من قصيدةٍ طويلةٍ أولها[1]: [من الكامل]

قَدْ كَـانَ طَيْفُكَ مَـرَّةً يُغْرَى بي[2]

فقال فيها:

لـو أنَّـه اسْـتَـامَ الحياة لنَفسِهِ وَجَدَ الحَياةَ[3] رَخِيصَةَ الأَسْبَابِ
ومُبِيْنَةٍ شَهَرَ المَنَازِلُ رَسْمَها[4] والخَيلُ تَكْبُو في العَجَاجِ الكَابِي
كانَتْ بِوَجهِكَ دُونَ عِرْضِكَ إذْ رَأَوا أنَّ الـوُجـوهَ تُـصَـانُ بِـالأَحْـسَـابِ
ولَئِنْ أُسِرْتَ فَما الإِسَارُ عَلَى امْرِئٍ لم يَـأْلُ صِدْقًا في اللِّقاء بِعَابِ[5]
نَامَ المُضَلَّلُ عَنْ سُرَاكَ ولم يَخَفْ حَـرَسَ الرَّقيبِ وَقَسْوَة البَوَّابِ[6]
وَرَأَى بِـأَنَّ البَابَ مَذْهَبُكَ الَّذي يُخْشَى وَهَمُّك كـانَ غَيْرَ البَابِ

قال ذَلِك لأَنَّهُ نقب نقبًا وخرج[7].

ورَكِبْتَهَا هَــوْلًا مَتَى تُخبِرْ بها يَقُلِ الْجَبانُ: أَتَيْتَ غَيْرَ صَـوَابِ

---

(١) القصيدة في «ديوانه» (١/ ٢٨٩).
(٢) والشطر الثاني: يعتاد ركبي طارقًا وركابي.
(٣) في «الديوان» في الموضعين: (النجاة).
(٤) في «الديوان»: (وسمها).
(٥) في «الديوان»: (نَصَرَ الإسارَ على الفِرار بِعَابِ).
(٦) في «الديوان»: (سِنَةَ الرقيبِ ونشوة البواب).
(٧) (قال ذَلِك لأَنَّهُ نقب نقبًا وخرج) ليست في (ظ، ل).

مَـا رَاعَـهُـم إِلَّا امْـتِـراقُـكَ مُصلِتًا   مِنْ بَيْنِ[1] بُـرِدِ الأَرْقَـمِ المُنْسَابِ

تَحْمِي أُغَيْلِمَةً وَطَائِشَةَ الخُطَا   تَصِلُ التَّلفُّتَ خَشْيَةَ الطُّلَّابِ

قال ذَلِك لأَنَّهُ أخرج معه من الحبسِ امرأةً وأخرج ابنَ أخيه[2].

مَا زَالَ يَومُ نَدًى بِطَولِكَ رَاهِنًا[3]   حَتَّى أَضَـفْـتَ إِلَـيـهِ يَـومَ ضِـرَابِ

روي عن الصولي: «لَمْ تَرْضَ يَوم نَدًى».

ذكرٌ من البَأْسِ اسْتَعَرْتَ إلى الَّذِي   أُعْطِيتَ في الأَخْـلاقِ والآدابِ[4]

---

(١) كذا في النسخ؛ وفي «الديوان» (مثل).

(٢) قوله: (قال ذَلِك لأَنَّهُ... ابنَ أخيه) ليس في (ظ، ل).

(٣) في (ض): (زَاهِرًا).

(٤) ينظر: «زهر الآداب وثمر الألباب» (١/ ٣٢٩).

[٥: ٦] [ابنُ أبي سَبْرَةَ في حَبسِ عيسى بنِ موسى]

حدَّثنا أحمد بن عبد الله الورَّاق، في كتاب «نسب قُرَيش» للزُّبير بن بكَّار، **قال**: حدَّثنا أحمدُ بن سُلَيمان الطوسيُّ، **قال**: حدَّثنا الزُّبير، **قال**: أخبرني عمِّي مُصعب بنُ عبد اللهِ[١]. وحدَّثني سعيد بن عَمرو[٢]... **وجاءَ الزبير بهما خبرَين منفردَين فيهما تَكريرٌ وزيادَةٌ في أحدهما على الآخر، وأنا أجمع بَينهما، وأجعلهما سياقَةً واحِدَةً، وأُسقِطُ التَّكريرَ، قال:**

كان أبو بكرِ بنُ عبد الله بنِ محمَّد بنِ أبي سَبْرَة -يعني ابنَ أبي رُهْمِ بنِ عبد العُزَّى بن أبي قَيسِ بنِ عبد وُدٍّ بنِ نصر بن مالكِ بنِ حَسْلِ بن عامرِ بن لؤَيِّ بن غالبِ بن فِهر بن مالكِ بن النَّضر بن كنانَة[٣]- **عاملًا لرياح بن عُثمان بن حيَّان**[٤]،

---

(١) هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله الزبيري المدني، عمُّ الزبير بن بكار، كان عالمًا بالنسب، عارفًا بأيام العرب، (ت: ٢٣٦هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٥/ ١٣٨).

(٢) هو سعيد بن عمرو بن الزبير بن عمرو بن عمرو بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي الزبيري المدني. ينظر: «تاريخ دمشق» (٢١/ ٢٥٢).

(٣) **أبو سَبْرَة** صحابيٌّ شَهِدَ مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدرًا، **وأمَّا أبو بكر**: فولَّاه المنصورُ القضاءَ ببغداد، وتولَّى قضاءَ مكَّةَ لزيادِ بن عبيد الله، وروى عن هشام بن عروة، وعنهُ ابنُ جُرَيج وعبد الرَّزَّاق، وكان ممَّن يروي الموضوعات، قالَ ابنُ مَعِينٍ: «ليسَ حديثه بشيءٍ»، (ت: ١٦٢هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٦/ ٥٣٦)، و«الأنساب» للسمعاني (٧/ ٥٩).

(٤) هو رياح بن عُثمان بن حيان المري، ولي إمرة دمشق لصالح بن علي الهاشمي أمير الشام ومصر من قبل المنصور، ثم ولي إمرةَ المدينة للمنصور، ذبحه إبراهيم بن مصعب بن الزبير. =

على مَسْعَاةِ أَسَدٍ وَطَيِّءٍ، فَلَمَّا خرج محمَّدُ بن عبد الله بن الحسن بن عَليٍّ بن أبي طالبٍ[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جاء بما صَدَّق[2] في مَسعاةِ أسدٍ وطيِّءٍ بأربَعَةٍ وعشرينَ ألف دينار، ودفع ذلك إليه، فكانَت قوَّةً لمُحَمد بن عبد الله بن الحسن.

فلمَّا قَتَل عيسى بنُ موسَى[3] محمَّدًا بالمدينَةِ، **قيل لأبي بكر**: اهرب، **فقال**: ليسَ مثلي يهربُ، فأُخِذ أسيرًا، فطُرِحَ في حبس المدينَة، فلم يُحدِثْ عيسَى بنُ موسَى في أمره شيئًا غيرَ حَبسِه، فأمر المنصورُ بتقييده فقيِّد[4].

فَقدم المدينَةَ -بعدَ ما شَخَصَ عيسَى بنُ موسَى- عبدُ الله بنُ الرَّبيع الحارثي المداني[5] ومعهُ جندٌ، فعاثوا بالمَدينَة وأفسدوا، فَوثَبَ عليه سودانُ المدينة والرِّعاع، فقتلوا جنده، وطردوهم، وانتهبوهم، وانتهبوا عبدَ الله بنَ الرَّبيع، فَخرج حتَّى نزل ببئرِ المطلَّبِ -يُريد العراقَ- على خَمسَة أميالٍ من المدينة.

= ينظر: «تاريخ دمشق» (١٨/ ٢٦٥)، و«الوافي بالوفيات» (١٤/ ١٠٦).

(١) هو محمَّد بن عبد الله بن حسن ابن السيد الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي الحسني، وثَّقه النسائي وغيره. (ت: ١٤٥هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢١٠).

(٢) **المُصَدِّق**: الذي يجمع الصدقات. ينظر: «المصباح المنير» (ص د ق).

(٣) هو عيسى بن موسى بن محمَّد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو موسى الهاشمي، كان فارس بني العباس، وسيفهم المسلول، ولَّاه أبو العباس الكوفة، وجعله وليَّ عهد المؤمنين بعد المنصور، (ت: ١٦٨هـ). ينظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص: ٤١٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٣٤).

(٤) في (ض): (بتحديده فحُدِّد).

(٥) في المطبوع: (المدني)، وهو تصحيف، **والمداني**: نسبة إلى عبد المدان، أو إلى المدان وهو وادٍ في بلاد قضاعة. ينظر: «أخبار القضاة» لوكيع (١/ ٢٢٠)، و«معجم البلدان» (٥/ ٧٤)، و«ذيل لب اللباب» (ص: ٢١٦). **وهو عبد الله بن الربيع الحارثي**، يُكنى أبا الربيع، استعمله المنصور على المدينة عام (١٤٥هـ) بعد عيسى بن موسى. ينظر: «أنساب الأشراف» (٣/ ١٢٠)، و«تاريخ الإسلام» (٩/ ٣٢).

وكَسَرَ[1] السودانُ السجنَ، وأخرجوا أبا بكر -وقال سعيد[2]: فأخرج القرشيُّون أبا بكر- فَحَمَلوهُ على مِنبرِ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنهى عن معصية الله ومعصية أميرِ المُؤمنينَ، وحثَّ على طاعَته.

وقيل له: صلِّ بِالنَّاسِ.

فقال: إنَّ الأسيرَ لا يَؤُمُّ، ورجع إلى محبسه.

فَلَمَّا ولَّى أميرُ المؤمنين المنصورُ جَعفَرَ بنَ سُلَيمان[3] على المدينَة، **قال له:** إنَّ بيننا وبَين أبي بكرِ بن عبد الله رحمًا، وقد أساءَ وأحسنَ، فإذا قَدِمتَ عليه[4]، فأطلقهُ، وأحسن جوارَه.

وقال سعيد: فأمره بإطلاق ابنِ أبي سَبْرَة، وأوصاه به، وقال: إن كانَ قد أساءَ فقد أحسن.

[ض/٥٦] فأَطْلَقَهُ جَعفَرُ بن سليمان، فجاء إلى جعفرٍ فسأَلَه أن يكتب له بوصاة إلى معنِ بن زائِدَة[5]، وهو إذ ذاك على اليمن، فكتب له بوصاةٍ[6] إليهِ.

---

(١) في (ظ، ل): (وكبس).

(٢) سعيد بن عمرو الذي أحد الراويين الذي يروي عنه الزبير بن بكار القصة.

(٣) هو جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي. سبقت ترجمته (١/ ٢٣٨).

(٤) (عليه) في (ظ، ل): (المدينة).

(٥) هو أبو الوليد، معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك بن الصُّلب الشيباني، كان من صحابة المنصور ببغداد لما بُنيت، ثم ولَّاه اليمن وغير اليمن، وكان سمحًا جوادًا، (ت: ١٥٢هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٥/ ٣١٦).

(٦) في (ظ، ل): (بوصية) في الموضعين.

فلقي الراتجيَّ[١]، **فقال له**: هل لك في الخُروج معي إلى العمرة؟

قال: أما والله، ما أخرجني من منزلي إلَّا طلبُ شيءٍ لأهلي، وما تركت عِندهم شيئًا، **قال ابن أبي سَبْرَة**: تُكفاهم. فأَمَرَ لأهله بما يُصلِحُهم[٢]، وخرج معه.

فلمَّا قضيا عُمرَتَهما، **قال للراتجيِّ**: هل لك أن نأتي معن بن زائدة؟

قال: حالُ أهلي ما أخبرتُك. فخرج معه وأَمَر لأهلِه بما يُصلِحُهم[٣].

فقدم ابنُ أبي سَبْرة على معنِ بن زائدة، والراتجيُّ معه، فدخل عليه ابنُ أبي سَبْرَة[٤]، فدفع إليهِ كتابَ جَعفَرِ بن سليمان بالوصاة به[٥]، فقَرأَهُ، ثمَّ قال له: جَعفَرُ أقدر على صلتك منِّي، انصَرِفْ، فَلَيسَ لك عندي شَيءٌ، فانصرفَ مغمومًا.

فَلَمَّا انتصف النَّهار، أرسل إليهِ، فَجاءه. **فقال له**: يا ابن أبي سَبْرَة ما حملك على أن قَدِمتَ عليَّ، وأميرُ المؤمنينَ عليك واجِدٌ؟ ثمَّ سأَلَه: كم دَينُك؟

قال: أربَعَة آلاف دينار.

---

(١) في المطبوع: (الرابحي)، وهو تصحيف، فهو عباءة بن عمر الراتجي المدني، منسوب إلى راتج من آطام يهود المدينة، لحق الدولة العباسية، ومدح معنًا، ورثى عبد الله بن معاوية الجعفري، والحكم بن المطلب المخزومي. ينظر: «معجم الشعراء» (ص: ٣٠٤)، و«سمط اللآلي في شرح أمالي القالي» (٢/ ١٠٣).

(٢) في (ظ): (فأمر له ابن أبي سبرة بنفقة أنفذها إلى عياله).

(٣) قوله: (قال: حالُ أهلي... يُصلِحُهم) في (ظ، ل): (قال: نعم فأمر له بنفقة أنفذها إلى عياله وأخرجه معه).

(٤) في (ظ، ل) زيادة: (وحده).

(٥) في (ظ، ل): (بالرضا عنه).

فأعطاهُ أربَعَة آلاف دينارٍ، وأعطاهُ ألفَي دينارٍ أخرى، **وقال**: أَصْلِحْ بهذه أمرَك.

فانصَرف إلى منزله، فأخبرَ الراتجيَّ خبرَه، فراح الراتجيُّ إلى معن بن زائدة، فأنشدَه: [من الكامل]

الـرَّاتـجِـيُّ يَـقُـولُ فـي مَـدحٍ　　　لأبي الوَلِيدِ أَخِي النَّدى الغَمْرِ[1]
مَـلِـكٌ بِـصَـنـعـاءِ الـمُـلُـوكِ لَـهُ　　　مـا بَـيـن بَـيـتِ الله والـشِّـحْـرِ[2]
لـو جَـاوَدَتْـه الـرِّيـحُ مُـرْسَـلَـةً　　　لـجَـرَى بِـجُـودٍ فَـوقَ مـا تَجرِي
حَـمَـلَـتْ بِـهِ أمٌّ مُـبـارَكـةٌ　　　وَكَـأَنَّـهـا بـالـحَـمْـلِ لا تَـدرِي

فقال له معن: فكانَ ماذا، ويحك؟ **فقال**:

حـتَّـى إذا مـا تَـمَّ تَـاسِـعُـهـا　　　وَلَـدَتْـهُ أوَّل[3] لَـيـلَـة الـقَـدرِ

فقال له معن: ثمَّ ماذا ويحك؟ **فَقال**:

فـأَتَـت بِـهِ بَـيْـضًـا أسـرَّتُـهُ　　　يُـرجَـى لحَملِ نَـوائِـبِ الـدَّهـرِ
مَـسَـحَ الـقَـوَابِـلُ وَجْـهَـهُ فَبَدا　　　كالبَدرِ أَوْ[4] أَبْـهَـى مـنَ البَدرِ

---

(١) **الغَمْر**: الكثير. ينظر: «مختار الصحاح» (غ م ر).

(٢) **الشِّحْر**: صُقعٌ على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، قال الأصمعي: هو بين عدن وعُمان. ينظر: «معجم البلدان» (٣/ ٣٢٧).

(٣) في (ظ، ل): (مولد).

(٤) في (ك): (بل).

فَــنَــذَرْنَ حيـنَ رَأَيْـــنَ غُـرَّتَـهُ ... إن عــاشَ أن سَـيَـفِـيـنَ[1] بالنَّذرِ

لله صَــوْمًــا شُـكـرَ أَنْـعُـمِـهِ ... واللهُ أَهــلُ الـحَـمـدِ والـشُّـكـرِ

فقال له معن: ثمَّ ماذا؟ **فقال:**

فَـنَـشَـا بِـحَـمـدِ الله حـيـنَ نَشَا ... حَـسَـنَ الـمـروءَةِ نَـابِـهَ الـذِّكـرِ

فقال معن: ثم ماذا؟ **فقال:**

حـتَّـى إذا مــا طَـرَّ شَـارِبُـه ... خَـضَـعَ الـمُـلُـوكُ لِـسَـيِّـدٍ قَهرِ

فــإذا وَهَـــى ثَـغْـرٌ يُـقَـال لَـهُ ... يَـا مَـعْـنٌ أنـتَ سِـدَاد ذا الثَّغرِ

فقال معن: أنا أبو الوليد، أعطوهُ ألفَ دينار. فأُعْطِيَها[2].

فرجع إلى ابن أبي سَبْرَة، وخَرَجا جميعًا إلى مَكَّة، فلمَّا قَدِماها قال ابنُ أبي سَبْرَة للراتجيِّ: أمَّا الأربَعَة آلاف دينارٍ التي أعطاني معنُ في دَيني، فقد حَبَسْتُها حتَّى أقضيَ بها ديني، ولا أوثر عليه شيئًا، وأمَّا الألفان اللذان أعطاني، فلي منها ألفٌ، وخذ أنت ألفًا.

فقال له الراتجيُّ: قد أعطاني ألفَ دينارٍ وهي تُجزِئُني، فلا تُضَيِّق على نفسك في الألفي دينار اللذين أعطاك.

فقال له: أقسَمتُ عليك إلا أخذت الألفَ دينار[3]. فأخذَها، وقام بمؤونة الراتجيِّ، حَتَّى بلَّغه أهله بالمَدينَة[4].

---

(١) في (ظ، ل): (يوفين).

(٢) في (ظ، ل): (فأخذها).

(٣) في (ظ، ل): (أقسمت عليك لتأخذنها).

(٤) في (ظ): (وأنفق عليه حتى أتى به المدينة).

ونَمَى الخَبَرُ إلى المنصور، فكتب إلى معن: ما حملك على أن تعطيَ ابنَ أبي سَبْرَة ما أعطيتَه، وقد علمتَ ما صنع؟

فكتب إليهِ معنٌ: إنَّ جَعفَرَ بنَ سُلَيمان كتب إليَّ يوصيني به، فلم أَحسَبْ جعفرًا وصَّاني به حتَّى رَضِي عنه أميرُ المؤمنين[1].

فكتب المنصور إلى جعفرٍ، يُبَكِّتُه[2] بذلك.

فكتب إليه جَعفَرٌ: إنَّك يا أميرَ المُؤمنينَ أوصيتني به، فلَمْ يكن من استيصائي به شَيءٌ أيسرُ من كتابِ وصاةٍ إلى معن بن زائدة[3].

---

(١) في (ظ، ل): (ولم أظن أن جعفرًا يكتب في رجل لم يرض عنه أمير المؤمنين).

(٢) أي: يُقَرِّعُه ويُعَنِّفُه. ينظر: «مختار الصحاح» (ب ك ت).

(٣) ينظر: «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار (٢/ ١٤٢ - ١٤٤)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (٤/ ٩٨)، و«تاريخ بغداد» (١٦/ ٥٣٦)، و«تاريخ دمشق» (٦٦/ ٢٤- ٢٦).

[٥: ٧] [محمَّدُ بنُ الفضل الجَرْجَرَائِيُّ يتخلَّص من حَبْسِ عُجَيْفِ بنِ عَنْبَسَةَ]

وجدتُ في بعض كتبِ أبي الفرج المَخزومي الحنطبي، **عن** أبي طالب الجَعفَري[١]: أنّه سمع رجلًا يحدِّث عَن **محمَّد بن الفضل الجَرْجَرائي**[٢] في وزارته للمعتصم[٣]، **قال:** كنت أتولى ضياعَ عُجَيفٍ[٤] بكَسْكَرَ[٥]، فَرُفِعَ عَليَّ أني خُنتُه، وأخربتُ الضِّياعَ؛ فأنفَذَ إليَّ مَن قيَّدني، وأُدخِلتُ عليه دارَه بسُرَّ مَن رأى[٦]

(١) هو محمَّد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أبو طالب الجعفري، شاعرٌ مُقلٌّ نزل الكوفة. ينظر: «الوافي بالوفيات» (٣/ ٢٧٤).

(٢) في (ض، ل): (الجُرجانيِّ) وهو تصحيف، وهو محمَّد بن الفضل الجرجرائي، أبو جعفر الكاتب، ولي وزارة المتوكِّل، ثم عزله عن قريب، ثم وزر قليلًا للمستعين، ووزر للمعتصم، وكان من أهل الأدب وله شعر حسن. يُنظر: «تاريخ دمشق» (٥٥/ ٩٥)، و«مرآة الزمان» (١٤/ ٢٨١)، و«تاريخ الإسلام» (١٩/ ٣٠٩)، و«نشوار المحاضرة» (٨/ ٤٨).

(٣) (في وزارته للمعتصم) ليست في (ظ، ل).

(٤) هو عجيف بن عنبسة، من كبار قواد الدولة العباسية، وجهه المعتصم سنة (٢١٩هـ) لمحاربة الزط، الذين كانوا قد عاثوا في طريق البصرة، فقطعوا فيه الطريق، (ت: ٢٢٣هـ). ينظر: «تاريخ الطبري» (٩/ ٨)، و«المنتظم» (١١/ ٨٥).

(٥) **كَسْكَر**: كُورةٌ واسعة، ويقال: حدّها من الجانب الشرقي في آخر سقي النهروان إلى أن تصبَّ دجلةُ في البحر. فتدخل فيه على هذا البصرةُ ونواحيها، ومن مشهور نواحيها: المبارك، وعبدسي، والمذار، ونغيا، فلما مصّرت العربُ الأمصارَ فرَّقتها. ينظر: «معجم البلدان» (٤/ ٤٦١).

(٦) في (ظ): (في سامراء).

على تلكَ الحال، وإذا هو يطوف على صُنَّاعٍ فيها، فلمَّا نظر إلَيَّ شَتَمَني، وقال: أخربتَ الضِّياعَ، ونهبتَ الارتفاعَ(١)، والله لأقتُلَنَّك، هاتوا السِّياطَ.

فأُحضِرَتُ، وسُحِبْتُ للضرب؛ فلمَّا رأيت ذلك، ذهب عليَّ من أمري، وبُلْتُ على ساقي.

ونظر كاتبه إلي(٢)، فقال لعُجَيف: أعزَّ الله الأميرَ، أنت مشغولُ القلب بهذا البناءِ، وضربُ هذا وقَتلُه في أيدينا، ليسَ يفوت، فتأمرُ بحبسِه، وتَنظرُ في أمره، فإن كانَت الرَّفيعَةُ(٣) صَحيحَةً، فَلَيسَ يفوتُك عِقابُه، وإن كانَت باطِلَةً لم تتعجَّل الإثمَ، وتنقطع عمَّا أنتَ بسبيلِه من المُهِمِّ. [ظ/٦٩]

فأمر بي إلى الحبس، فَمَكثت أيَّامًا فيه. وغزا أميرُ المُؤمنينَ المعتصمُ عَمُّوريَّة، وكانَ من أمرِ عُجَيفٍ ما كانَ(٤)، فقتَلَه المعتصمُ، واتصل الخَبَرُ بكاتِبه فأطلقني.

وخرجتُ من الحبسِ وما أهتدي إلى حَبَّةِ فضَّةٍ فما فوقها، وقصدتُ إلى صاحب الدِّيوان بسُرَّ مَن رأى، لصداقةٍ كانت بيني وبينه، فلمَّا رآني سُرَّ بإطلاقي، وتوجَّع(٥) من سوء حالي، وعرضَ عليَّ ماله.

فقلت: بل تتفضَّل بتصريفي في شَيءٍ أستترُ بجِرايَته.

---

(١) أي: الغلَّة.

(٢) في (ظ، ل): (فرآني كاتبه).

(٣) أي: القصة المرفوعة إليه. ينظر: «مختار الصحاح» (ر ف ع).

(٤) وذلك أنه اتفق مع العباسِ بنِ المأمون على الفتك بالمعتصم. ينظر: «مرآة الزمان» (١٤/ ٢٧٨).

(٥) في (ظ، ل) زيادة: (لي).

فقلَّدني عملًا بنواحي ديارِ ربيعة، واقترضتُ من التُّجَّار لمَّا سمعوا بِخَبَر ولايتي ما تحمَّلتُ(١) به إلى العَمَل، وخرجتُ.

وكانَ من ضياع العمل ضَيعَةٌ تُعرَفُ بكَرَاثا(٢)، فنزلت بها في بعض طوافي للعَمَلِ، ونزلتُ دارًا مِنها، فلمَّا كانَ من السَّحَر، وجدتُ المُستحَمَّ ضَيِّقًا غيرَ نظيفٍ، فخرجتُ من الدَّار، فإذا بتلٍّ(٣)، فجلست أبول عليه، وخرج [ض/ ٥٧] **صاحبُ الدَّار، فقال لي**: أتدري على أيِّ شيءٍ بُلْتَ؟

قلت: على تلِّ تُرابٍ.

فَضَحِك، **وقال**: هذا قبرُ رجلٍ يُعرَف بعُجَيفٍ، من قواد السُّلطان، كانَ قد سَخِطَ عليه، وحمله مُقَيَّدًا، فَلَمَّا صار إلى هاهُنا(٤) قُتل، وطُرِحَ في هذا المكان تحت الحائط، فلمَّا انصَرف العَسكَرُ، طرحنا الحائِطَ عليه، لنوارِيَه من الكلاب، فهو والله تَحت هذا التلِّ.

قال: فعجبت من بولي خوفًا منهُ، ومن بولي على قَبره(٥).

---

(١) في (ض): (تجملت).

(٢) **كَرَاثا**: قرية من قرى الموصل، تعرف اليوم بتلّ موسى. ينظر: «معجم البلدان» (٤/ ٤٤٢).

(٣) (فإذا بتلّ) في (ظ): (فإذا بتلّ من الصحراء).

(٤) في (ظ، ل): (فلما بلغ هاهنا).

(٥) ينظر: «المنتظم» (١١/ ٨٥)، و«مرآة الزمان» (١٤/ ٢٨١)، و«التذكرة الحمدونية» (٩/ ٢٧٤).

[٥: ٨] [شيخٌ رُوميٌّ يتخلَّصُ من القتل ويتفرَّسُ في رَجُلٍ أنَّه ابنَه]

روى ابن دُرَيدٍ(١)، **عن** أبي حاتِمٍ(٢)، **عن** أبي مَعْمرٍ(٣)، **عن رجلٍ من أهل الكوفَة، قال:**

كُنَّا مع مَسْلَمَة بنِ عبد الملك بِبِلاد الرُّوم، فسَبَا سَبيًا كثيرًا(٤)، وأقام بِبَعض المنازل، فعُرِضَ السَّبيُ على السَّيف، فَقَتَلَ خلقًا، حتَّى عُرِضَ عليه شيخٌ كبيرٌ ضَعيف، فأمر بقتله.

فقال له: ما حاجَتك إلى قتلي(٥)؟ إن تَرَكتني جئتُك بأسيرَين من المسلمين شابَّين.

قال له: ومَن لي بذلك؟

قال: إنِّي إذا وعدتُ وَفَيتُ.

قال: لست أثِق بك.

---

(١) هو محمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، أبو بكر، وقد سبقت ترجمته (١/ ٢٤٦).

(٢) هو سهل بن محمَّد، أبو حاتم السجستاني النحوي، وقد سبقت ترجمته (١/ ٢٩٣).

(٣) كذا في النسخ، ولم نعرفه، ولعلَّه (**أبي عبيدة معمر**) بن المثنى، ويروي عنه أبو حاتم السجستاني، وقد سبقت ترجمته (١/ ١١٦).

(٤) في (ظ): (سبايا كثيرة).

(٥) في (ظ، ل): (قتل شيخ مثلي).

قال: فدَعني أطوفُ في عسكرك، لعَلِّي أعرف من يَكْفُلُ بي إلى أن أمضيَ وأجيءَ بالأسيرين.

فوكَّل به من يطوف به وأمره بالاحتفاظ به، فما زالَ الشَّيخ يطوف ويتصفَّح الوُجوهَ، حتَّى مرَّ بفتًى من بني كلاب، قائِمًا يَحُسُّ فرسًا له[1]. **فقال له**: يا فتى، اضمَنِّي للأمير، وقصَّ عليه القصَّةَ.

قال: أفعَلُ، وجاء الفتى معه إلى مَسْلَمة، فضَمِنَه، فأطلقه مَسْلَمةُ.

فَلَمَّا مضى **قال للفتى**: هل تعرفه؟ **قال**: لا والله.

قال: فَلِمَ ضمنته؟ **قال**: رأيتُه يتصفَّح الوُجوهَ، فاختارني من بينهم، فكرهت أن أُخلِفَ ظَنَّه فيَّ.

فلمَّا كانَ من الغَد، عاد الشَّيخُ ومعهُ أسيران من المسلمين شابَّان، فدفعهما[2] إلى مَسْلَمة، **وقال**: أيأذنُ الأميرُ[3] لهذا الفَتى أن يصير معيَ إلى حِصْني لأكافِئَه على فعله معي.

فقال مسلمة للفتى الكلابي: إن شِئتَ فامضِ معه[4].

فمضى، فلمَّا صار إلى حصنه، **قال له**: يا فتى، هل تعلم أنك -والله- ابني؟

---

(١) في (ظ، ل): (فرسه). وحسَّ **الدابة**: نَفَضَ عَنْهَا التُّرَابَ. ينظر: «لسان العرب» (ح س س: ٦/ ٥٣).

(٢) في (ظ): (فسلمهما).

(٣) في (ظ، ل): (إن رأى الأمير أن يأذن).

(٤) في (ل) زيادة: (إلى حصنه).

قال له: وكيف أكون ابنَك، وأنا رجلٌ من العَرَب مُسلمٌ، وأنت رجل من الرُّوم نَصراني!

قال: أخبرني عَن أمِّك، ما هي؟ **قال**: رُوميَّة.

قال: فإنِّي أصفها لك، فبالله إن صدقتُ، إلَّا صدَّقتني.

قال: أفعل.

فأقبل الرُّوميُّ، يصف أمَّ الفَتى، حتَّى ما خرمَ منها شَيئًا[1].

فقال له الفتى: هي كذلِك، فَكيف عرفتَ أنِّي ابنُها؟ **قال**: بالشَّبَه، وتعارُفِ[2] الأرواح، وصِدقِ الفِراسَةِ، ووجودِ شَبَهي فيكَ.

ثمَّ أخرج إليه امرأةً، فلمَّا رآها الفتى لم يشكَّ أنَّها أمُّه، لشدَّة شَبَهِها بها[3]، وخرجت معها عجوزٌ كأنَّها هي، فأقبلتا تقبِّلان رأسَ الفتى ويديه ويترشَّفانه[4].

فقال له الشيخ: هذه جدَّتُك، وهذه خالتك.

ثمَّ اطَّلَع من حِصْنه، فَدَعا بشبابٍ من الصَّحراء، فأقبَلوا، فَكَلَّمَهُم بالرُّوميَّة، فأقبلوا يُقبِّلونَ رأسَ الفتى ويَديه ويترشَّفونه، **فقال**: هَؤُلاءِ أخوالك، وبنو خالاتك، وبنو عمِّ والدتك. [ظ/٧٠]

---

(١) في (ظ): (ما ذهب عليه من صفتها شيء).

(٢) في (ظ، ل): (وتقارب).

(٣) في (ظ، ل): (لتقارب الشبه).

(٤) (ويترشَّفانه) ليست في (ض).

ثمَّ أخرجَ إليَّ حليًّا كثيرًا، وثيابًا فاخرة، فقال: هذا لوالدتك عندنا مُنذُ سُبِيَتْ، فَخُذْه معك، وادفَعْه إليها، فإنَّها ستعرِفُه.

ثمَّ أعطاهُ لنَفسِهِ مالًا كثيرًا، وثيابًا جليلة(١)، وحَمَلَه على عدَّة دوابَّ وبغالٍ، وألحقه بعسكر مَسْلمة، وانصَرف.

وأقبل الفتى قافِلًا حتَّى دخل منزلَه، فأقبل يُخرِجُ الشَّيءَ بعد الشَّيء مِمَّا عرَّفه الشَّيخُ الرُّوميُّ أنَّه لأمِّه، فتراه فتبكي، فيقول لها: قد وهبته لك.

فلمَّا كثر هذا عليها، قالت له: يا بني، أسألك بالله من أيِّ بلدٍ صارَت إليك هذه الثِّياب، وهل قتلتُم(٢) أهل الحصن الَّذي كانَ فيهِ هَذا؟

فقال(٣) لها الفَتى: من صفة الحصن كذا، وصفة البَلَد كذا، ورأيت فيه قومًا من حالهم كذا؛ فوصف لها أمَّها وأختَها، والرِّجالَ الذين رآهم(٤)، وهي تبكي وتقلق.

فقال: ما يبكيك؟

قالت: الشَّيخ -واللهِ- أبي، والعجوزُ أُمِّي، وتلك أُختي.

فقصَّ عليها الخبر، وأخرج بقيَّةَ ما كانَ أنفذه معه أبوها، فدفعهُ إليها(٥).

---

(١) في (ظ، ل): (وحليًا).

(٢) كذا في النسخ، وفي المطبوع: (وهل تصف لي).

(٣) في (ظ، ل): (فوصف).

(٤) (والرجال الذين رآهم) في (ض): (وأولادَهم).

(٥) ينظر: «التذكرة الحمدونية» (٩/ ٢٧٥)، و«المنتظم» (٦/ ٢٧١).

❁ **وأخبرني محمَّد بن الحسن بن المظفر، قال:** حدَّثنا أبو عمرَ محمَّدُ بن عبد الواحد، **قال:** أخبرنا أبو العباس ثعلب(١)، **قال:** أخبرنا عمر بن [شبَّة](٢)، **قال:** حدَّثني سليمان بن أحمد، **قال:** حدَّثني عمي عبد العزيز بن الكوفي، **عن الحجاج بن هشام**(٣)، **عن أبيه، قال:** كنَّا مع مَسْلمةَ بن عبد الملك ببلاد الروم... فذكر نحوَه(٤).

---

(١) هو أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني البغدادي، المعروف بثعلب، وقد سبقت ترجمته (١/ ١٣٨).

(٢) في (ض): (شيبة)، والصواب ما أثبتناه. ينظر: «شعب الإيمان» (٦/ ٢٨٧)

(٣) هو الحجاج بن هشام كان مع مسلمة بن عبد الملك غازيًا ببلاد الروم. ينظر: «بغية الطلب» (٥/ ٢٠٣٥).

(٤) قوله: (وأخبرني محمَّد بن الحسن بن المظفر... فذكر نحوه) ليس في معظم النسخ والمطبوع، وأثبتناه من (ض). ووردت القصة بتمامها في «بغية الطلب» (٥/ ٢٠٣٥).

[٥: ٩] [إسماعيلُ الصفَّارُ المعتزليُّ يُخرِجُ مُعتَزِليًّا من السجنِ]

حدَّثني أبو الحسن أحمد بنُ **يوسُفَ الأزرَقِ** التنوخيُّ، **قال**: كان إسماعيل الصفَّارُ البَصريُّ[١]، أحد شُيوخ المُعتَزِلَة الأجلاء[٢]، وكانَ النَّاسُ إذ ذاك يتشدَّدون على المُعتَزِلَة، وينالونهم بالمكروه[٣].

فتقلَّد البَصرَةَ نزارُ بنُ محمَّدٍ الضَّبِّيُّ[٤]، فَرُفِع إليه على رجلٍ أنَّه معتزليٌّ، فحَبَسَه، فاستغاث الرجلُ بإسماعيلَ، فكلَّم غيرَ واحِدٍ من رُؤساء البَلَد أن يكلِّم نزارًا فيه، فتجنَّبوا ذلك بِسَبَب المذهَب.

فباتَ إسماعيلُ قَلِقًا، ثمَّ بكَّرَ من غَدٍ فطافَ على كلِّ معتزليٍّ بالبَصرَةِ، **وقال لهم**: إن تمَّ هذا عليكُم هلكتُم متفرِّقين، وحُبِستُم، وأُتِيَ على نفوسكم وأموالكُم، فاقبلوا منِّي فاجتمعوا[٥]، وتدبَّروا برأيي، فإنَّ الرجلَ يتَخَلَّص وتَعِزُّون.

---

(١) في (ظ): (المصري). لعله: إسماعيل بن محمَّد بن إسماعيل، أبو علي الصفار، النحوي، صاحب المبرد، تصدر ببغداد لإقراء الأدب، وكان واسع الرواية. ينظر: «تاريخ بغداد» (٧/ ٣٠١)، و«إنباه الرواة» (١/ ٤٤٠).

(٢) في (ظ، ل): (الأجلاد).

(٣) في (ظ، ل): (بالمكاره).

(٤) هو نزار بن محمَّد الضَّبِّي الخراساني، أبو معد، قائد، ولي شرطة بغداد سنة (٣٠٤-٣٠٦هـ)، وقاتل القرامطة (سنة ٣١٢هـ)، وأصيب بجراح شديدة، وتوفي بعد ذلك. ينظر: «الأعلام» (٨/ ١٦).

(٥) (فاجتمعوا) ليست في (ض، ظ، ل)، وهي من (ك).

فقالوا: لا نُخالِفُ رأيك.

فَوعَدَهُم ليومٍ بِعَينِه، ووعد معهم كلَّ مَن يعرفهُ من العَوامِّ، وأصحابِ المذابِّ[1] ممَّن يتبع قصَّاصَ المعتَزلَة، ويميل إليهم[2].

فلمَّا كانَ ذلك اليَوم، اجتمع إليه منهم أكثرُ من ألف رجلٍ، فصارَ بهم إلى بابِ نزارٍ الأميرِ، فاستأذَنَ عليه، فأذن له ولهم.

فقال له: أعزَّ اللهُ الأميرَ، بلغنا أنَّك حبستَ فلانًا؛ لأنَّهُ قال: «إنَّ القُرآن مَخلوق»، وقد جئناك، ونحن كلُّنا نقولُ: «القُرآن مَخلوق»، وخلفُنا أُلوفُ ناسٍ يقولونَ كما نقول، فإمَّا حبستنا جميعًا، أو أطلقتَ صاحبنا، وإذا كانَ السُّلطان أعزَّه الله تعالى قد ترك المحنةَ، وأقرَّ النَّاسَ على مذاهبهم، فَلمَ نُؤخَذُ نحن بمذهبنا من بين سائر أهل[3] المقالات؟

فَنظر نزارٌ وإذا هي فتنَةٌ تثور، لم يُؤذن له فيها، ولا يدري ما تجرُّ[4]، فأطلقَ الرجلَ وسلَّمه إليهم[5]، وشكره إسماعيلُ، وصَرف الجماعة.

---

(١) في (ن، ر): (المذاهب)، وفي (ض، ظ، ل): (المدات)، والمثبت من (ك). وقد استخدم هذه اللفظة أبو حيان التوحيدي في كتاب «الصداقة والصديق» (ص: ٣٣)، وذكر أنه يقال لهم: همج، ورعاع، وأوباش... وذكر أوصافًا أخرى.

(٢) في (ض): (ومن يميل إليهم).

(٣) ليست في (ظ، ل).

(٤) في (ظ): (ولم يدر ما يجيب).

(٥) (وسلمه إليهم) ليست في (ض).

[٥: ١٠] [هارونُ الرشيد يرسلُ مَنارَةَ لإحضارِ الشيخِ الأمويِّ]

[ض/ ٥٨] وجدتُ في كتاب أبي الفرج المَخزومي الحنطبيِّ[١]، **عن** أبي أُميَّة الهشاميِّ، **عن** أبي سليمان داوُد بن الفضل العَبديِّ، **قال**: أخبرني أبي، **عن** محمَّد بن الحسن بن بشر الأدمي، **قال**: **حدَّثني منارَةُ صاحبُ الخُلَفاءِ**[٢]، **قال**:

رُفِعَ إلى هارون الرشيد أنَّ رجلًا بدمشقَ من بقايا بني أُميَّة، عَظيمَ الجاه، واسعَ الدُّنيا، كثيرَ المالِ والأملاك، مُطاعًا في البَلَد، له جماعَةُ أولادٍ ومماليكٍ وموالي، يركبون الخيل، ويحملون السِّلاحَ، ويغزون الرُّوم، وأنَّه سمحٌ جوادٌ، كثيرُ البَذلِ والضيافةِ، وأنَّه لا يُؤمَن منهُ فَتقٌ لا يمكن رَتقُه؛ فَعَظُم ذلك على الرشيد.

قال مَنارَة: وكانَ وقوفُ الرشيدِ على هذا وهو بالكوفَةِ، وهو في بعض خَرَجَاتِه إلى الحج في سنةِ **سِتٍّ وثَمانينَ ومِئَة**، قد عاد من المَوسِم، وبايَعَ للأمين ثم للمأمون ثم للمؤتمن[٣].

---

(١) المعروف بالببغاء، وقد سبق ذكره (١/ ٢١٩).

(٢) **منارة البربري**، مولى المنصور، وصاحب الخلفاء من بعده، جاء إلى المهدي بخبر وفاة المنصورِ والبيعة له، ومعه خاتم الخلافة. ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ١٣٣).

(٣) في (ض): (الأمين والمأمون والمؤتمن أولاده)، سبقت ترجمة **الأمين** (١/ ٤٠٩)، **والمأمون** (١/ ٢٨٩)، **والمؤتمن**: هو القاسم ابن أمير المؤمنين هارون الرشيد بن محمَّد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمَّد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، كان أبوه بايع له بالخلافة بعد أخيه المأمون، وسماه المؤتمن، فخلعه المأمون، (ت: ٢٠٨هـ). =

فدعاني وهو خالٍ، **وقال**: إنِّي دعوتُك لأمرٍ مهمٍّ يُهِمُّني، وقد مَنَعَني النَّومَ، فانظُر كَيفَ يكون[1]. ثمَّ قصَّ عليَّ خبرَ الأمَويِّ، **وقال**: اخرُج السَّاعةَ، فقد أعدَدتُ لك الجمَّازات[2]، وأزحت علَّتَكَ[3] في الزَّاد والنَّفقة والآلاتِ، فضُمَّ[4] إليك مئَةَ غُلامٍ، واسلُك البَرِّيَّةَ، وهذا كتابي إلى أمير دمشقَ، وهذه قيودٌ، فادخل وابدأ بالرجلِ، فإن سَمِعَ وأطاعَ، فقيِّدْه وجئني به، وإلا فتوكَّل أنت ومَن معك به [ظ/٧١] حتَّى لا يهربَ، وأَنفِذِ الكتابَ إلى أمير دمشق ليركبَ في جَيشه، واقبضوا عليه، وجئني به، وقد أجَّلتُك لذهابك سِتًّا، ولعَوْدِك سِتًّا، ويَومًا لمقامك.

وهذا مَحْمَلٌ تَجعَلُهُ في شِقِّه إذا قيَّدته، وتقعد أنتَ في الشِّقِّ الآخر، ولا تَكِلْ حفظَه إلى غيرك، حتَّى تأتيَني به في اليَوم الثَّالثَ عشر من خُروجك.

وإذا دخلتَ دارَه فتفقَّدها، وجميعَ ما فيها، ووَلَـدَه وأهلَه، وحاشِيَتَه وغلمانَه[5] وما يقولون، وقدِّرْ النِّعمَةَ، والحالَ، والمحلَّ، واحفظ ما يقوله الرَّجل حرفًا بحَرفٍ من جَميعِ ألفاظه، مُنذُ وُقوعِ طَرْفِكَ عليه إلى أن تأتيَني به[6]، وإيَّاك أن يشذَّ عنك شَيءٌ من أمره، انطَلِقْ مُصَاحَبًا.

= ينظر: «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣٩٠).

(١) في (ض): (تعمل ويكون).

(٢) **الجمَّازات**: جمع جمَّازة، وهي البُختيَّة من الإبل، سميت بذلك لسرعة سيرها. ينظر: «المنجد في اللغة» (ص: ١٧٠)، و«شمس العلوم» (٢/ ١١٧٠).

(٣) في (ض): (وأربحت عليك). **وأزحت علَّتك**: أزلت ما تحتجُّ به، فالعلة هنا بمعنى الحُجَّة. ينظر: «المصباح المنير» (ع ل ل).

(٤) في (ظ، ل): (وضممت).

(٥) (وأهله وحاشيته وغلمانه) ليست في (ض).

(٦) قوله: (إلى أن تأتيني به) ليس في (ظ).

قال مَنارَة: فودَّعتُه وخرجتُ، فَرَكِبْت الإبلَ وسرتُ أطوي المنازلَ، وأسير اللَّيلَ والنَّهار، ولا أنزلُ إلا للجَمْع بينَ الصَّلاتَينِ، والبَولِ، وتنفيسِ النَّاس قليلًا.

إلى أن وصلتُ إلى دمشقَ في أوَّل الليلة السَّابِعَة، وأبوابُ المدينةِ مُغْلَقَةٌ، فَكرِهتُ طروقَها، فَنمتُ بظاهرِ البَلَدِ، إلى أن فتح بابه من غدٍ، فدخلتُ على هيأتي، حتَّى أتيتُ بابَ دارِ الرَّجُل، وعليه صُفَفٌ عظيمة[1]، وحاشيةٌ كثيرة، فلم أَسْتأذِنْ، ودخلتُ بغير إذن.

فلمَّا رأى القَومُ ذلك سألوا بعضَ مَن معي عنِّي، فقالوا لهم: هذا مَنارَةُ رسولُ أميرِ المُؤمنينَ الرشيدِ إلى صاحبكُم، فأَمْسِكوا.

فَلَمَّا صرتُ في صحن الدَّار نزلت، ودخلتُ مَجلِسًا رأيت فيهِ قَومًا جُلوسًا، فَظَنَنتُ الرجلَ فيهم، فقاموا إليَّ، ورحَّبوا بي، وأكرموني.

فقلت: أفيكم فلان؟ **قالوا:** لا نَحنُ أولادُه، وهو في الحمَّام.

قلت: فاستعجلوه.

فمضى بعضُهم يستعجلُه، وأنا أتفقَّدُ الدَّارَ، والأحوالَ، والحاشيةَ، فوجدتها قد ماجَتْ بأهلِها مَوْجًا شديدًا.

فلم أزل كذلك، حتَّى خرجَ الرجلُ بعد أن أطالَ، واستربتُ به، واشتَدَّ قَلَقِي وخَوفي من أن يتَوارَى؛ إلى أن رأيتُ شيخًا قد أقبل بزيِّ الحمَّام، يمشي في الصَّحن، وحَوله جماعَةٌ: كُهولٌ، وأحداثٌ، وصبيان. هم أولادُه، وغلمانٌ كثيرة، فَعَلِمتُ أنَّه الرجل.

---

(١) **الصُّفَفُ:** جمع الصُّفَّة، وهي المكان المظلَّل. ينظر: «لسان العرب» (ص ف ف: ٩/ ١٩٥).

فجاء حَتَّى جلسَ، وسلَّم عليَّ سلامًا خَفِيفًا، وسألني عن أمير المُؤمنينَ، واستقامةِ أمرِ حضرته، فأخبَرته بما وجَبَ.

وما قَضى كلامَه حتَّى جاؤوهُ بأطباق فاكِهَةٍ، **فقال لي:** تقدَّم يا مَنارَةُ فكل معنا.

فقلت: ما بي إلى ذلك حاجَة.

فلم يُعاوِدْني، وأقبل يأكُلُ هو والحاضرون عنده، ثمَّ غسل يديه، ودعا بالطَّعامِ، فجاؤوه بمائدةٍ حَسَنَةٍ عظيمةٍ، لم أرَ مثلَها إلَّا للخليفة[1]، **فقال:** تقدَّم يا مَنارَة، فساعدنا على الأكل. لا يزيدني على أن يدعوَني باسمي، كما يدعوني الخليفة؛ فامتنعتُ عليه، فما عاوَدَني، فأكلَ هو وأولادُه، وكان عددُهم تِسعَةً، وجَماعَةٌ كثيرَةٌ من أصحابه، وحاشيته، وجماعةٌ من أولاد أولاده.

وتأمَّلتُ أكلَه في نفسِه، فوجدته أكلَ المُلوك، ووجدت جَأْشَه رابِطًا، وذلك الاضطِرابَ الَّذي كان في داره قد سَكَنَ، ووجدتُه لا يُرفَعُ من بين يَدَيهِ شيءٌ كان على المائدة إلا يوهب[2].

وقد كان غلمانُه لما نزلتُ في الدَّار أخذوا جمالي، وجَميعَ غلماني، فعَدَلُوا بهم إلى دارٍ له، فما أطاقوا ممانَعَتَهم، وبقيتُ وحدي، ليسَ بين يديَّ إلا خمسةُ أو ستَّةُ غلمانٍ وقوفٌ على رأسي.

---

(١) قوله: (لم أر مثلها إلا للخليفة) ليس في (ظ، ل).

(٢) في (ض، ظ): (نهب)، وفي (ل): (انتهب)، والمثبت من (ش). وفي «نوادر الخلفاء» (ص: ١٣٢)، و«مجاني الأدب في حدائق العرب» (٢/ ١٩٠): «إلا تهيأ غيره حالًا أعظم وأحسن منه».

فقلتُ في نفسي: هذا جَبّارٌ عنيدٌ، وإن امتنعَ عليَّ من الشخوصِ لم أُطِقْ إشخاصَه بنفسي، ولا بِمَن معي، ولا حفظه؛ إلَّا[١] أن يلحقَني أميرُ البلد، وجَزِعتُ جزعًا شديدًا، ورابني منهُ استخفافُه بي، وتهاونُه بأمري، وأنَّه يدعوني باسمي، ولا يفكر في امتناعي[٢] من الأكل[٣]، ولا يسألني عمَّا جئت له، ويأكُل مطمئنًّا.

وأنا أفكر في ذلك، إذ فرغ من طَعامِه، وغسل يديه، واستدعى البَخُور، وتبخَّر، وقامَ إلى الصَّلاة، فصلَّى الظُّهرَ[٤]، وأكثر من الدُّعاء والابتهال، ورأيت صلاته حسنة[٥].

فَلَمَّا انفتَلَ من المحراب، أقبل عليَّ، **وقال**: ما أقدمك يا مَنارَة؟

قلت: أمرٌ لك من أمير المُؤمنينَ، وأخرجتُ الكتابَ، فَدَفَعته إليه، ففضَّه، وقرأه، فلما استتمَّ قراءته دعا أولاده وحاشيته، فاجتمع منهم خلقٌ كثيرٌ، ولم أشكَّ [ظ/٧٢] أنَّه يُريد أن يُوقِعَ بي.

فلمَّا تكاملوا، ابتَدأ فَحَلَف أيمانًا غَليظَة، فيها الطَّلاق[٦]، والعتاق، والحج، والصَّدَقَة، والوقف، والحَبس[٧]: إن اجتمعَ منهم اثنان في مَوضِعٍ واحدٍ،

(١) في (ظ، ل): (إلى).

(٢) في (ظ، ل): (وقلة اكتراثه بامتناعي).

(٣) (ظ، ل) زيادة: (والشرب).

(٤) في (ظ) زيادة: (صلاةً حسنةً).

(٥) قوله: (ورأيت صلاته حسنة) ليس في (ظ).

(٦) (فيها الطلاق) في (ض): (بالطلاق).

(٧) (والحج والصدقة والوقف والحبس) ليست في (ظ، ل).

وأن ينصرفوا، ويُدخِلُوا غلمانَه وحاشيتَه[1] مَنازِلهم، فلا يظهر أحدٌ مِنهُم إلى أن ينكَشفَ له أمرٌ يعملُ عليه.

وقال[2]: هذا كتاب أمير المُؤمنينَ يأمُرني بالمصير إلى بابه، ولستُ أُقِيم بعد نَظَري فيهِ لحظةً واحِدَةً؛ فاستَوصوا[3] بِمَن ورائي من الحُرَم خيرًا، وما بي حاجَةٌ أن يصحبَني غُلامٌ، هاتِ قيودك يا منارة. [ص/٥٩]

فدعوت بها، وكانَت في سَفَطٍ، وأحضرتُ[4] حدَّادًا[5]، ومدَّ ساقَيه فقيَّدته، وأمرتُ غلماني بِحَملِهِ حتَّى حصل في المحمل، وركبتُ في الشِّقِّ الآخر، وسرتُ من وقتي، لم ألْقَ أميرَ البَلَد، ولا غَيره.

وسرتُ بالرجلِ، ليسَ معه أحدٌ، إلى أن صرنا بظاهِر دمشقَ، فابتدأ يحدِّثني بانبساطٍ، إلى أن انتهينا إلى بُستانٍ حسنٍ في الغوطة، **فقال لي**: ترى هذا؟

قلت: نعم.

قال: هو لي، وفيه غرائبُ[6] الأشجارِ وكَيتَ وكَيت. ثمَّ انتهى إلى آخرَ، فقال مثل ذلك، ثمَّ انتهى إلى مزارعَ حِسَانٍ، وقرىً سَرِيَّة[7]، **فأقبل يقول**: هذا لي، ويصف كلَّ شيءٍ فيها.

---

(١) (ينصرفوا ويُدخِلُوا غلمانَه وحاشيتَه) في (ظ، ل): (يتفرقوا ويدخلوا).

(٢) في (ظ، ل): (ثم قال لي).

(٣) في (ظ، ل) زيادة: (وقال لغلمانه وأولاده: استوصوا).

(٤) في (ظ): (فأحضر).

(٥) **الحدّاد**: السجّان؛ لأنه يعالج الحديد من القيود. ينظر: «مختار الصحاح» (ح د د).

(٦) في (ظ، ل) زيادة: (من).

(٧) **سَرِيُّ المالِ**: خِيارُهُ. ينظر: «المصباح المنير» (س ر ي).

فاشتَدَّ غيظي منهُ، فقلت له: هل علمتَ أني شديدُ التَّعَجُّب منك؟

قال: ولِمَ تَعْجَبُ؟

قلت: ألستَ تعلم أنَّ أميرَ المؤمنين قد أهمَّه أمرُك، حتَّى أرسلَ إليك من انتزَعَكَ من بين أهلِكَ، وولدك، ومالك، وأخرجك عن جميع حالك، وحيدًا، فريدًا، مُقَيَّدًا، لا تدري إلى ما يصير أمرك إليه، ولا كيفَ تكون، وأنتَ[1] فارغُ القلب من هذا، تَصِفُ بساتينَك وضياعَك، هذا بعد أن رأيتُك[2] وقد جِئتَ وأنت لا تعلمُ فيمَ جِئتَ، وأنت ساكنُ القلب، قليل الفِكر، لقد كنتَ عندي شَيخًا فاضلًا[3].

فقال لي مجيبًا: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، أخطأَتْ فِراسَتي فيك، قدَّرتُك رجلًا كامِلَ العقل، وأنَّك ما حللت من الخُلَفاء هذا المحلَّ إلَّا بعدَ أن عرفوك بذلك، فإذا عقلُك وكلامُك يشبه كلامَ العوامِّ وعقولهم، والله المُستَعان.

أمَّا قَولك في أمير المُؤمنين، وإزعاجه إيَّايَ إلى بابه على صورتي هذه، فإنِّي على ثِقَةٍ بالله عَزَّوَجَلَّ، الَّذي بيدِهِ ناصيةُ أمير المُؤمنينَ، ولا يملك معه لنفسِه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعًا، إلا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ومشيئتِه، ولا ذنبَ لي عند أمير المؤمنينَ أخافُه، وبعد فإذا عرفَ أمري، وعلم سلامَتي[4]، وصلاحَ ناحيتي[5]، وأنَّ الأعداء

---

(١) في (ظ، ل) زيادة: (مع هذا).

(٢) في (ظ): (هذا وقد رأيتك)، وفي (ل): (هذا وقد رأيتك لما وصلت إليه).

(٣) في (ظ، ل): (عاقلًا).

(٤) في (ظ): (وعلم سلامة جانبي).

(٥) (وصلاح ناحيتي) ليست في (ظ، ل).

والحسدَةَ رَمَوْني عنده بما لستُ في طريقه، وتَقوَّلوا عليَّ الأقاويل[1] الكاذبة؛ لم يستَحل دمي، وتحرَّج من أذايَ وإزعاجي، فردَّني مُكرَّمًا، أو أقامني بِبَابِهِ مُعظَّمًا.

وإن كانَ سبق في علم[2] الله جَلَّوَعَلَا أنَّه يَبْدُرُ إليَّ منه بادرةُ سوءٍ، وقد حضر أجلي، وكان[3] سفكُ دمي على يَده؛ فلو اجتهدتِ الملائكةُ والأنبياءُ وأهلُ الأرضِ والسَّمَاء على صرفِ ذلك عنِّي ما استَطاعوا، فَلِمَ أتعجَّلُ الهمَّ، وأستسلف الفكرةَ والغَمَّ[4] فيما قد فرغ اللهُ منهُ؟

وإنِّي أُحسِنُ الظَّن بالله الَّذي خَلَقَ ورزق، وأحيا وأمات، وفَطَرَ وجَبَلَ، وأحسنَ وأَجْمل، وأينَ الصَّبرُ والرِّضا، والتَّسليمُ والتفويضُ إلى مَن يملك الدُّنيا والآخِرَة[5]، وقد كنتُ أحسَبُ أنَّك تعرف هذا، فإذا قد عرفتُ مبلغ فهمك، فإنِّي لا أُكَلِّمك بكلمةٍ حتَّى تفرِّقَ حَضرَةُ أمير المؤمنين بيننا إن شاء الله تعالى.

ثمَّ أعرض عنِّي، فما سَمِعت له لفظَةً بِغَير[6] القُرآن والتَّسبيح، إلاَّ بطلب ماءٍ أو حاجَةٍ تجري مجراه، حتَّى شارفنا الكوفَةَ في اليَوم الثَّالِثَ عشر بعد الظُّهر، وإذا النُّجُب[7] قد استقبلتنا على فراسخَ من الكوفَة، يتجسَّسون خبري.

---

(١) في (ظ، ل): (الأباطيل).

(٢) في (ظ، ل): (قضاء).

(٣) في (ض): (وحان).

(٤) (وأستسلف الفكرة والغم) في (ض): (وأستلف الفكر).

(٥) قوله: (وفَطَرَ وجَبَلَ... الدُّنيا والآخِرَة) في (ظ، ل): (وأفوض أمري إلى الله).

(٦) في (ظ، ل): (غير).

(٧) **النُّجُب**: جمع نجيب، وهي من الإبل عتاقها التي يُسابَق عليها. ينظر: «مختار الصحاح» (ن ج ب).

فلمَّا رأَوْني رجعوا بخبري إلى أمير المؤمنينَ، فانتهيتُ إلى الباب في آخر النَّهار، فحَطَطْتُ رحلي ودخلت على الرشيد، فَقبَّلت الأرضَ بين يَدَيهِ، ووقفتُ[1].

فقال: هاتِ ما عندك، وإيَّاك أن تُغْفل مِنهُ لَفظَةً واحِدَةً.

فسُقتُ الحديثَ من أوَّله إلى آخرِه حتَّى انتهيتُ إلى ذكر الفاكِهَةِ والطَّعام [ظ/٧٣] والغَسْل[2] والبَخُور والصلاة، وما حدَّثتُ به نَفسي من امتِناعه منِّي[3]، والغَضَبُ يظهر في وجه الرشيد ويتزايَدُ، إلى أن انتَهَيتُ إلى فراغِ الأُمَويِّ من الصَّلاة، وانفتاله إليَّ، ومسألتِه لي عن سَبَبِ قدومي، ودفعي الكتاب إليه، ومبادرَتِه إلى إحضار ولَدِه وأسبابِه وأهلِه وأصحابِه[4]، ويمينِه أن لا يتبعَهُ أحدٌ مِنهُم، وصَرْفِه إيَّاهُم، ومدِّ رجلَيهِ حتَّى قيَّدته؛ فما زالَ وجهُ الرشيد يُسفِر.

فلمَّا انتَهَيت إلى ما خاطبني به عند توبيخي إيَّاه لمَّا ركبنا في المحمل، **قال**: صدق والله، ما هذا إلَّا رجلٌ مَحسودٌ على النِّعمَة، مَكذوبٌ عليه لتُزالَ عنه نعمتُه، والله لا كنتُ سببًا لذلك، ولَعَمري لقد أزعجناه، وآذيناه، وروَّعناه، وروَّعنا أهله، فبادِرْ بنَزعِ قيوده عنه، وائْتِني به.

فخرجتُ، فنزعتُ قيودَه، وأدخلتُه على الرشيد، فما هو إلَّا أن رآهُ حتَّى رأيتُ ماء الحياءِ يجول في وجه الرشيدِ، فدنا الأُمَويُّ، فسلَّمَ بالخلافة، ووقفَ، فَردَّ عليه الرشيدُ[5] ردًّا جميلًا، وأمره بالجُلوسِ، فَجَلَسَ.

---

(١) في (ظ، ل): (فقبلت الأرض ووقفت بين يديه).

(٢) في (ك) زيادة: (والطهور).

(٣) (مني) زيادة من (ظ).

(٤) (وأهله وأصحابه) ليس في (ظ، ل).

(٥) في (ظ، ل) زيادة: (السَّلام).

فأقبل عليه الرشيدُ يسائله[1] عن حاله، **ثمَّ قال له**: إنَّه بلغنا عنك فضلُ هَيئةٍ[2] وأمورٌ أحببنا معها أن نراكَ، ونسمعَ كلامك، ونُحسِنَ إليك، فاذكر حاجاتِك.

فأجاب الأمويُّ جوابًا جميلًا، وشكر، ودعا، **وقال**: أمَّا حاجَتي، فما لي إلَّا حاجَة واحدة.

قال: مقضيَّةٌ، فما هي؟

قال: يا أمير المؤمنينَ، تردُّني إلى بلدي، وأهلي، وولدي.

قال: نحن نفعل ذلك، ولكن سَلْ ما تحتاج إليه من مصالح[3] جاهك، ومعاشك، فإنَّ مثلَكَ لا يخلو أن يحتاجَ إلى شيءٍ من هذا.

فقال: عُمَّال أميرِ المؤمنينَ مُنصِفون، وقد استَغنَيتُ بعَدْله عن مسألته شيئًا من ماله، وأموري منتظمةٌ، وأحوالي مُستَقيمَةٌ، وكذلكَ أمورُ أهل بلدي[4] بِالعَدلِ الشَّامِلِ في ظلِّ أمير المُؤمنينَ، وما اسْتُغْنِمَ من مالِه.

فقال الرشيد: انصَرِف راشدًا[5] مَحفوظًا إلى بلدك، واكتب إلينا بأمرٍ إن عَرَضَ لك. فودَّعه الأمَويُّ.

---

(١) في (ظ، ل): (وسأله).
(٢) في (ظ): (همَّة).
(٣) في (ظ، ل): (صلاح).
(٤) في (ض): (أحوالُ أهلي، وسائرِ بلدي).
(٥) (راشدًا) ليست في (ظ، ل).

فلمَّا ولَّى خارِجًا، **قال الرشيدُ**: يا مَنارَة، احمله من وقتك، وسِرْ به راجعًا كما أتيتَ به[1]، حتَّى إذا أوصلته إلى المجلس الَّذي أخذتَه منهُ فدَعْه فيه وانصرف[2].

ففعلتُ ذلك[3].

---

(١) (أتيت به) في (ض): (سيَّرتَه).

(٢) في (ظ، ل): (فارجع وخله).

(٣) ينظر: «التذكرة الحمدونية» (٨/ ٥٥)، و«أنس المسجون» (ص: ١٥٧)، و«مرآة الزمان» (١٣/ ١٨٥)، و«ثمرات الأوراق» (٢/ ١٨١).

[٥: ١١] [ابنُ ثوابةَ يعذِّبُ الوزيرَ أبا الحسنِ بنَ الفرات]

[ص/ ٦٠] **حدَّثني عليُّ بن هِشامِ بنِ عبد الله الكاتِبُ** -ويُعرَف هشام بأبي قيراطٍ- **قال:** كنتُ حاضرًا مع أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجلسِ **أبي الحسنِ ابنِ الفُرات**، في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاث مئة في وزارته الثَّانية[١]، فسمعته **يتحدَّث، قال:**

دخل عليَّ أبو الهيثم العَبَّاس بن محمَّد بن ثوابة الأنباريُّ[٢]، في محبَسي من دار المقتدر، فطالبني بكَتبِ خطِّي بثلاثةَ عشرَ ألفِ ألفِ دينارٍ.

فقلتُ: ما جرى قدرُ هذا المال على يدي للسُّلطانِ في طول وزارتي، فكيف أُصادَرُ على مثله؟

قال: قد حَلَفتُ بالطَّلاق أنَّه لا بُدَّ أن تكتبَ خطَّكَ بذلك.

---

(١) تولى أبو الحسن ابن الفرات الوزارة للمقتدر ثلاث مرات، وكانت وزارته الثانية بين سنة (٣٠٤ - ٣٠٦هـ)، انظر ترجمته (١/ ٣٧٧).

(٢) (أبو الهيثم العَبَّاس بن محمَّد بن ثوابة الأنباريُّ) في (ض، ظ، ل): (أبو العباس بن ثوابة الأنباري)، والمثبت من (ك)، والمصادر. وهو العباس بن محمَّد بن ثَوابة، أبو الهيثم، كاتبُ المقتدر، كان يطمعُ في الوزارة، وكان الوزراءُ يخافونَه لشرِّه، ورد بغداد سنة (٣٠٠هـ)، وقلّده الوزير أبو علي الخاقاني ديوانَ المصادَرين والضياع العبَّاسيَّة والفراتيّة، وردَّ إليه مناظرةَ أبي الحسن ابن الفرات، فأسرف في تعذيبهم، ولَمَّا ولي عليُّ بن عيسى الوزارة اعتقلَه بالكوفة عند إسحاق بن عمران، يقال: إنَّ إسحاق دسَّ إليه سمًّا، فأكله فمات سنة (٣٠٣هـ). ينظر: «تجارب الأمم» (٥/ ٧٤)، و«تحفة الأمراء» (ص: ١١٨)، و«مرآة الزمان» (١٦/ ٤٠٥).

فكتبته بثلاثةَ عشرَ ألفِ ألفِ، من غير أن أذكرَ ما هي أو ضمانًا فيها[1].

فقال لي: فاكتب دينارًا، لتُبرِئَني من يَميني.

فكتبت دينارًا ثمَّ ضربتُ عليه، وأكلتُ الرقعةَ، **وقلت له**: قد بَرِئتَ من يَمينك، ولا سبيلَ لك إلى غير هذا منِّي.

فاجتَهَدَ بي، فلم أُجِبْه إلى ذلك؛ فلمَّا كانَ من الغَد، دخل إلى الحَبسِ ومعهُ أم موسَى[2]، فطالبني بذلك، وأسرفَ في سبِّي وشتمي، ورماني بالزِّنى.

فحلفتُ بالطَّلاق، والعتاقِ، والأيمانِ المُغَلَّظَةِ، على أنَّني ما دخلتُ في مَحظورٍ من هذا الجنس، منذ نَيِّفٍ وثلاثينَ سنة.

فقال لها ابن ثوابة: هذا إنَّما تبطره الأموال[3] التي وراءه، ومَثَلُه في ذلك، كمثل المُزَيِّنِ مع كسرى، والحجَّامِ مع الحجَّاج بن يوسف[4]، فاستأمري السَّادةَ

---

(١) (أو ضمانًا فيها) ليست في (ض)، وفي (ل): (أو ضمانها).

(٢) أم موسى الهاشمية، امرأة أديبة عاقلة حكيمة، جعلها المقتدرُ قهرمانةَ داره سنة (٢٩٨هـ)، فكانت تؤدي الرسائلَ من المقتدر وأمِّه إلى الوزير، وكان لها كلمة نافذة، ثم عزلها سنة (٣٠٨هـ). ينظر: «تاريخ ابن خلدون» (٣/ ٤٨٣)، و«الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» (ص: ٦٣).

(٣) في (ظ): (يبطر بالأموال)، وفي (ل): (يناظر بالأموال).

(٤) في «نشوار المحاضرة» (٥/ ٥٣)، و«تحفة الأمراء» للصابئ (ص: ١٢١) بعد أن ساق هذا الخبر قال: (**قال القاضي أبو علي التنوخي قلت لأبي الحسين بن هشامٍ**: قد عرفنا خبر المزيِّن مع كسرى وهو: أنَّه جلس ليُصلِحَ وجهَهُ، **فقال له**: أيها الملك، زوِّجني بنتَكَ، فأمر بأن يُقامَ، فأُقِيمَ. **وقيل له**: ما قلتَ؟ **فقال**: لم أقل شيئًا. ففعل به ذلك ثلاثَ دفعاتٍ. **فقال الملكُ**: =

في إنزال المكروه به حتَّى يُذعِنَ بالأموال.

قال أبو الحسين عليُّ بن هشامٍ: يعني بالسادة: المقتدرَ، ووالدَتَه[1]،

= لهذا المزيِّنِ خطبٌ، وأحضرَ أهلَ الرأيِ، فأخبرهم بحاله. **فقال جميعهم**: ما أنطقَ هذا المزيِّنَ إلا باعثٌ بعثه من مالٍ وراءَ ظهره. فأنفذَ إلى منزلِه فلم يوجد له شيءٌ. **فقال الملك**: احفروا مكانَ مقعده عند خدمتِه لي، فحُفِر فوُجِدَ تحتَه كنزٌ عظيمٌ. **فقال الملك**: هذا الكنز كان يخاطبني. **ثم قلت لأبي الحسين**: فهل تعرف خبرَ **الحجَّام مع الحجاج**؟ **قال**: نعم. بلغَنَا أنَّ الحجَّاجَ احتَجَمَ ذاتَ يومٍ، فلما رَكَّبَ المحاجِمَ على رقبته، **قال له**: أُحِبُّ أيُّها الأميرُ أن تُخبِرَني بخبرك مع ابن الأشعث، وكيف عصا عليك. **فقال له**: لهذا الحديث وقتٌ آخَرُ، وإذا فرغتَ من شأنِكَ حدَّثتُك. فأعاد مسألتَه وكرَّرها، والحجَّاجُ يدفعه ويعده، ويحلف له على الوفاء له. فلما فَرَغَ ونَزَعَ المحاجِمَ عنه، وغَسَلَ الدمَ، **أَحْضَرَ الحجَّامَ وقال له**: إنَّا وعدناك بأن نحدِّثَك حديثَ ابن الأشعث معنا، وحلفنا لك، ونحن محدثوك: يا غلام، السياطَ. فأُتي بها، فأمر الحجاجُ فجرِّد وعَلَتْه السياطُ، وأقبل الحجَّاج يقصُّ عليه قصَّة ابن الأشعث بأطول حديثٍ. فلما فَرَغَ استوفى الحجَّامُ خمس مئةِ سَوطٍ، ثمَّ رُفِعَ الضربُ وقال له: قد وفينا لكَ بالوعد، وأي وقتٍ أحببتَ أن تسألَ خبرنا مع غير ابن الأشعثِ على هذا الشرطِ أجبناك).

(١) هي شغب الصقلبية مولاة المعتضد، وأمُّ ولده المقتدر، كانت لأم القاسم بنت محمَّد بن عبد الله بن طاهر فاشتراها المعتضد، وكان الأمر لها في خلافة ابنها المقتدر، وهو يتدبر بتدبيرها، كان يرتفع لها من ضياعها في كل عام ألف ألف دينار، وتتصدق بأكثر ذلك، عذَّبها القاهر بعد موت أخيه المقتدر بصنوف العذاب حتى قيل: إنَّه علَّقها مُنَكَّسَةً، وكان يجري بولها على وجهها، (ت: ٣٢١هـ)، ودفنت بالرصافة. ينظر: «المنتظم» (١٣/ ٣٢١)، و«الوافي بالوفيات» (١١/ ٤٧).

وخالَته خاطِف[1]، ودَسْتَنْبُويَه أمُّ وَلَدِ المُعتَضِد؛ لأنَّهم كانوا إذ ذاك يُدَبِّرُون الأُمورَ؛ لحداثة سِنِّ المقتدر.

قال ابن الفُرات: فمَضَتْ أمُّ موسَى، ثمَّ عادَت، فقالت لابنِ ثوابة: يقولون لك: صَدَقتَ فيما قلتَ، ويدك مُطلقَة فيهِ.

[ظ/٧٤] **قال:** وكنتُ في دارٍ ضيِّقَةٍ، في حرٍّ شديدٍ، فأمر بكشفِ البَوَاري[2] حتَّى صرتُ في الشَّمسِ، ونحَّى الحصيرَ من تحتي، وأغلقَ أبوابَ بيوتِ الدارِ[3]، حَتَّى حصلتُ في الشمسِ[4]، ثمَّ قيَّدني بِقَيدٍ ثقيلٍ، وألبسني جُبَّةَ صوفٍ، وقد نُقِعَتْ في ماء الأكارعِ، وغلَّني بغُلٍّ، وأقفل بابَ الحُجرَة وانصَرفَ، فأشرَفتُ على التَّلف[5].

وعددت على نفسي ذُنوبي، فوجدتُني قد عُوملتُ بجميع ما عاملت به النَّاسَ، من المصادرة، ونهبِ الأموالِ والمنازل، وقبض الضِّياع، وتَسليمِ النَّاس إلى أعدائِهم، وحَبسِهم، وتقييدهم، وإلباسِهم جِبَابَ الصُّوفِ، وهَتْكِ حريمهم، وإقامتهم في الشموس، وإفرادِهم في الحُبُوس.

---

(١) في صفر عام (٣٢٢هـ) قبض عليها القاهر، وحبسها عند سابور. ينظر: «مرآة الزمان» (٥٩/١٧).

(٢) **البواري**: جمع بُوري، وهو حصير منسوج من القصب. ينظر: «تاج العروس» (ب و ر: ٢٥٤/١٠).

(٣) في (ظ، ل): (أبواب البيوت).

(٤) في (ض): (صحنها)، وفي (ظ): (الصحن).

(٥) في (ظ): (الموت).

ثمَّ قلتُ: أنا ما غللتُ أحدًا، فكيفَ غُلِلْتُ؟ ثمَّ تذكَّرتُ أنَّ النرسيَّ[1] كاتب الطَّائي[2]، كانَ سلَّمه إليَّ عبيدُ الله بن سُلَيمان، لمالٍ عليه، فسلَّمته إلى الحسن المعروف بالمعلوفِ المُستَخرِج، وكانَ عَسوفًا، وأمرتُه بتقييده، وتعذيبه، ومطالبته بمالٍ حدَّدتُه له، فألطَّ به[3]، فأمرتُ بأن يُغَلَّ، ثمَّ تحوَّبتُ[4] بعد أن غُلَّ بمِقدار ساعتين، فأمرتُ بأخذ الغل عنه.

فلمَّا تجاوَزَت الساعتان، وأنا في الغُلِّ، تذكَّرتُ شَيئًا آخر، فوجدتُني[5] لما قَرُبَ سبكرى[6] من الجبلِ مع رَسول صاحب خُراسان مأسورًا، كتبتُ إلى بعض عُمَّال المشرق، بمطالبته بأمواله وودائعه، فكتب إلَيَّ بإلْطاطِه[7]، فكتبتُ بأن يُغَلَّ، وأكلتُ[8]، فلمَّا غسلتُ يديَّ تندَّمت، وتحوبتُ، فكتبتُ بأن يُحَلَّ غُلُّه

(١) هو عبيد الله بن الحسن النرسي، نسبة إلى النَّرسِ نهرٌ من أنهار الكوفة عليهِ عدَّة قرى، كان هو وإخوته يتقلَّدون عدَّة نواحٍ من سقي الفرات، فاستقصى عليهم أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات في المعاملة استقصاءً غلظ عليهم، وعدلوا إلى استخصامهما ومظاهرة أعدائهما، ومساعدتهم عليهما. ينظر: «تحفة الأمراء» (ص: ١١٩، ١٩١).

(٢) الطائي أحمد بن محمَّد، كان يتولى أمر سواد الكوفة، وفي زمنه فشا أمر القرامطة. ينظر: «تاريخ الطبري» (١٠/ ٢٥).

(٣) **ألطَّ الغريمُ: دافَعَ ومَنَعَ من الحقِّ**. ينظر: «تاج العروس» (ل ط ط: ٢٠/ ٧٠).

(٤) **التحوُّب**: التوجُّع، والتحزُّن. ينظر: «لسان العرب» (ح و ب: ١/ ٣٣٨).

(٥) كذا في النسخ؛ وفي المطبوع، والمصادر: (وهو أنه).

(٦) سبكرى مولى عمرو بن الليث، استولى على فارس، فأرسل المقتدرُ وصيف كامه الديلمي لمحاربته، فهزمه وصيف كامه، وفرَّ سبكرى هاربًا، وذلك في سنة (٢٩٨هـ)، ثم قُبِضَ عليه وحبس. ينظر: «تاريخ الطبري» (١٠/ ١٤١ - ١٤٤)، و«الكامل في التاريخ» (٦/ ٥٥٣).

(٧) أي: مَنعِه ومَطْلِه. ينظر: «البصائر والذخائر» (١/ ٣٨).

(٨) في (ظ، ل): (وكنت أتغدى).

إن كانَ قد غُلَّ، فوصلَ الكتابُ الأوَّلُ فغُلَّ، ووصلُ الكتاب الثَّاني بعد ساعتين، فحُلَّ عنهُ، على ما كتبت به[1].

فلمَّا أن مَضَت عنِّي أربعُ ساعاتٍ، فإذا بِصَوت غلمانٍ مجتازين في المَمَرِّ الَّذي فيه الحُجرَةُ الَّتي أنا مَحبوسٌ فيها، **فقال لي الخدم الموكَّلون بي**: هذا بدرٌ الحُرَمِيُّ[2]، وهو لك صَنيعَة، فاستَغِثْ به. **فصحتُ**: يا أبا الخير، اللهَ اللهَ فيَّ، لي عَلَيك حُقوقٌ، وقد ترى حالي، والمَوتُ أسهل ممَّا أنا فيه، فتخاطبُ السَّادةَ، وتذكِّرُهم حرمتي وخدمتي في تثبيت دولتهم، إذ خَذَلهم النَّاسُ، وافتتاحي البلدانَ المنغلقة، وإثارتي[3] الأموالَ المنكسرة؛ فإن كانَ ذَنبي يوجِبُ القَتلَ، فالسيفُ أروح[4]، فرجع، فدخل إليهم، فخاطبهم ورقَّقهم، ولم يبرح حتَّى أَمَروا بحلِّ الحديد كلِّه عنِّي[5]، وإدخالي الحمَّامَ، وأخذ شعري[6]، وتغيير لباسي، وتسليمي إلى زَيدانَ[7]، وترفيهي.

---

(١) قوله: (يُحَلَّ غُلُّه... على ما كتبت به) في (ظ، ل): (يحل عنه، وكان مقدار ما كتبتُ بتغليله إلى أن يحل مقدار ساعتين).

(٢) **الحُرَمِي**: نسبة إلى الحُرَم، وبدر الحُرَمي الخادم كان يخدم في دار الحريم عند الخليفة. ينظر: «يتيمة الدهر» (١/ ٣١٤)، و«تبصير المنتبه» (١/ ٣٢٧).

(٣) في (ل) (واستخراجي).

(٤) في (ظ) زيادة (لي). ولعله من الرَّوح، وهو الاستراحة. ينظر: «مختار الصحاح» (ر و ح).

(٥) (بحلِّ الحديد كلِّه عنِّي) في (ظ): (بأخذ حديدي).

(٦) (وأخذ شعري) ليس في (ظ، ل).

(٧) هي زيدان القهرمانة في دار المقتدر، وكانت متمكِّنةً من الجوهر، فأخذت سُبْحَةً لم يُرَ مثلُها، فكان يُضرَب بها المثل فيقال: سُبحةُ زيدان. ينظر: «ثمار القلوب» (ص: ١٩٥)، و«مرآة الزمان» (١٧/ ٣٠).

فَجاءَني بذلك، **وقال:** يقولونَ لك: لن ترى بعدها بؤسًا.

فأقمتُ عند زَيدانَ مكرَّمًا، إلى أن رُدِدْتُ إلى هذا المجلس[1].

❖ **وحدَّثني أبو محمَّد القاسمُ بنُ هشامِ بنِ عبدِ الله، ابن أبي قيراط**[2]، أنَّ أباهُ حدَّثهُ، **أنَّه** سمع أبا الحسنِ ابنَ الفُراتِ يذكر نحوَ هذا الحديث، **إلَّا أنَّه زادَ فيه:**

قال: فلما خرجَ ابنُ الفرات[3] من هذه الشدائد الهائلةِ إلى الوزارة الثَّانية، أَمَرَ أبا الحسن[4] محمَّدَ بنَ جَعفَرِ بنِ ثَوابة صاحبِ ديوان الرسائل[5]، أن يكتبَ عن المقتدر بالله إلى أصحاب الأطرافِ، بخبرِ ردِّهِ إيَّاه إلى الوزارة، فكتبَ إلى جميعهم كتابًا بنسخةٍ واحِدَة.

سَمِعت أبي وغَيرُه من مشايخ الكُتَّاب إذ ذاك، يقولونَ: إنَّهُم ما سمعوا في معناهُ أحسنَ منهُ، فأعطانِيه أبي، وأمرني بحفظه، وتلاه عَليَّ القاسِمُ بن هشام[6]، فَحفِظت مِنهُ فصلًا، وهو:

---

(١) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٥/ ٥٣)، و«تجارب الأمم» (٥/ ٧٥)، و«تحفة الأمراء» (ص: ١١٨- ١٢٠).

(٢) وقع في النسخ اضطراب في اسمه، والمثبت من (ر، ك). وهو أخو أبي الحسين عليُّ بن هشام، كما ذكر المؤلفُ ذلك في (٣/ ٢٣٩).

(٣) في (ظ، ل): (أن ابن الفُرات لما خرج).

(٤) (أبا الحسن) ليس في (ظ، ل).

(٥) كاتبٌ بليغٌ منشئٌ، صاحبُ ديوان الرسائل في ديوان المقتدر، (ت: ٣١٢هـ). ينظر: «معجم الأدباء» (٦/ ٢٤٧٠).

(٦) (وتلاه علي القاسم بن هشام) ليس في (ظ، ل).

ولمَّا لم يَجِدْ أميرُ المُؤمنينَ بُدًّا منهُ، ولم يكن بالملكِ غنًى عنهُ؛ انْتَضَاه أميرُ المُؤمنينَ من غِمْدِه، فعاود ما عُرِفَ من حَدِّه، ودبَّر الأُمورَ كأنْ لم يَخْلُ[1] مِنها، وأمضاها كأَنْ لم يُزَلْ عنها، إذ كانَ الحُوَّلَ القُلَّبَ[2]، المُحَنَّك المدرَّب[3]، العالم بدِرَّةِ المالِ كيفَ تُحلَب[4]، ووُجُوهِه من أين تُطلَبُ، وكانَ الكُتَّابُ على اختِلافِ طبقاتِهم، وتبايُنِ مراتبهم، يَقِفُون عندَه إذا استبقوا، وينتهون إليهِ إذا احتكموا، وكانَ هذا الاسمُ حقًّا من حُقوقه، استُعير مِنهُ، ثمَّ رُدَّ إليه[5].

---

(١) في (ظ، ل): (ينحل).

(٢) **حُوَّلٌ قُلَّبٌ**: مُحْتالٌ بصيرٌ بتَقَلُّبِ الأُمورِ. ينظر: «القاموس المحيط» (ق ل ب).

(٣) (المُحَنَّك المدرَّب) في (ظ، ل): (المهذَّب).

(٤) **الدِّرَّة**: كَثْرَةُ اللَّبَنِ وَسَيَلَانُهُ. ينظر: «لسان العرب» (د ر ر: ٤/ ٢٧٩).

(٥) ينظر: «مرآة الزمان» (١٦/ ٤٤١).

[٥: ١٢] [عليُّ بنُ عيسى يخرجُ من الحَبْسِ ليصيرَ وزيرًا]

حدَّثني عَليُّ بنُ هشامٍ أبي قيراطٍ الكاتِب، من حفظه، وكتبتُه بإملائِه، **قال:** [ض/٦١] تطاول الحَبسُ بأبي الحسنِ عليِّ بن عيسَى[١] في دار المقتدر، حتَّى يَئِسَ[٢] مِنهُ.

فلمَّا اجتمعَ أبو الهيجاء[٣]، ونازوك[٤]، والطبقةُ الَّذين تجمعوا وخلعوا المقتدِرَ وأجلسوا القاهِرَ، وحصَّلُوا المقتدرَ في[٥] دار مؤنسٍ؛ كُسِرَتْ الحُبُوسُ، ونُهِبَ بعضُ دار المقتدِر، فأفلَتَ عليُّ بنُ عيسَى من الموضع الَّذي كانَ فيه مَحبوسًا، فخَرَجَ، فاستتر تلكَ الثَّلاثَة الأيَّام الَّتي كانَ المقتَدِرُ فيها محبوسًا عِند مؤنس، والقاهِرُ متَّسِمٌ بالخلافة.

---

(١) هو علي بن عيسى بن داود بن الجراح، أبو الحسن، وزير المقتدرِ والقاهرِ، كان صدوقًا دينًا فاضلًا عفيفًا في ولايته، محمودًا في وزارته، (ت: ٣٣٤هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٣/ ٤٥٩).

(٢) في (ظ، ل): (أيس).

(٣) هو الأمير أبو الهيجاء، عبد الله بن حمدان بن حمدون الحمداني، والد سيف الدَّولة وناصر الدَّولة، قلَّده المقتدر الموصل والجزيرة عام (٣٠٢هـ)، وقُتل عام (٣١٧هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٨/ ١٢٦)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ١٠).

(٤) وهو صاحب الشرطة ببغداد، كان شُجاعًا فاتكًا. ينظر: «مرآة الزمان» (١٦/ ٥٦١).

(٥) في (ظ، ل): (وحملوا المقتدر إلى).

فَلَمَّا جاءَت الرَّجَّالةُ بِغَير مراسلةٍ من المقتدِر لهم، ولا حيلَةٍ في أمر نَفسه، وإنَّما كانَ بصُنع الله عَزَّوَجَلَّ[1]، وسوءِ تَدبيرِ نازوك في خطابهم بما كَرهوا، فثاروا، وقتلوا أبا الهيجاء، ونازوكَ، وكَبَسُوا دارَ مؤنسٍ، وأخذوا المقتدرَ من يده وأعادوه [ظ/٧٥] للخلافة، وردُّوا القاهِرَ إلى دار ابن طاهِر[2]، **ظهر أبو علي بنُ مُقلَة؛ لأَنَّه كانَ وزيرَ المقتدِرِ**، وقد كان استترَ[3].

قال: فَحدَّثني أبو عبد الله محمَّدُ بنُ عُبدُوسٍ الجَهْشياري، وأبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل زَنْجِيٌّ الكاتِب، وأبو الحُسَين محمَّد بن عبد الرَّحمَن الرُّوذْباري[4]، صاحب الفضل بن جَعفَر[5]، **قالوا: كُنَّا**[6] في دار مؤنسٍ،

---

(١) في (ظ، ل): (بصنع طريف)، وفي (ض): (بصنع الله طريف)، وفي (ك): (يصنع له لطفٌ)، والمثبت من (ر).

(٢) **دار ابن طاهِر أو الحريمُ الطّاهريُّ**: هو بأعلى مدينة السلام ببغداد في الجانب الغربي، منسوب إلى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق، وبه كانت منازلهم، وكان من لجأ إليه أمن، فلذلك سمّي الحريم، وكان أول من جعلها حريمًا عبد الله بن طاهر بن حسين. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٢٥١).

(٣) خُلِعَ المقتدر في منتصف المحرم سنة (٣١٧هـ)، وأعيد إلى الخلافة بعد يومين. ينظر: «المنتظم» (١٣/ ٢٧٩)، و«مرآة الزمان» (١٦/ ٥٤٥ - ٥٥٠).

(٤) هو محمَّد بن عبد الرحمن الروذباري، أبو الحسين، صاحب الفضل بن جعفر بن حنزابة، ولي كتابة مصر من قِبله، وحدَّث عنه التنوخي في نشواره، وله كتاب «تاريخ النحويين». ينظر: «الوافي بالوفيات» (٤/ ٣٥).

(٥) هو أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمَّد بن موسى بن الحسن بن الفرات، ويُعرف: بابن حِنْزابة؛ وهي أمه أمُّ ولد، رُوميَّة، كان كاتبًا بارعًا ديِّنًا خيِّرًا، استوزره المقتدر والرَّاضي، (ت: ٣٢٧هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٤٧٩).

(٦) قوله: (قال: فَحدَّثني أبو عبد الله... قالوا: كُنَّا) في (ظ، ل): (وحدَّثني جماعة أنهم كانوا).

والنَّاس يُهَنُّونَه، وعليٌّ بنُ عيسَى مُسْتَتِرٌ، فلم يشعر إلَّا[1] وعليٌّ بنُ عيسَى قد جاءَ بطيلسانٍ، واضعًا في نفسه أن يُرَدَّ إلى الحَبس؛ خوفًا من عواقبِ الاستتارِ، وأن يُوَلَّدَ عليه أكثرُ من الحبس ضررًا[2].

فتَلقاهُ مؤنسٌ أجملَ لقاءٍ[3]، واستصوب رأيَه في الظُّهور، وأرسلَ إلى المقتدرِ في الحال، فجاءَ الجَوابُ من المقتدرِ بأجملِ قولٍ وأحسنِه، وأنَّه قد ردَّ إلى عليٍّ بن عيسى الإشرافَ على ابن مُقلَة، والاجتماعَ معه على سائِرِ أُمورِ المملكة، وأَمَرَ أن يصل[4] بوصوله، وأن لا ينفردَ ابنُ مقلةَ بتدبيرٍ دونَه، وأفردَ عَليَّ بنَ عيسَى بالمظالمِ من غير أن يكون لابنِ مُقلَةَ فيها نظرٌ.

فقال له مؤنس: ليس يجوز مع هذا أن تَلبَسَ هذا الطيلسانَ، ولا أن يُتَلَقَّى هذا الإنعامُ إلَّا بغاية الشُّكرِ.

فانصَرفَ، وعادَ عشيَّةً وعليهِ دُرَّاعةٌ[5]، فجلسَ في دار مؤنسٍ ينتظرُ مَجيءَ الوزيرِ ابنِ مُقْلة، إلى أن جاءَ واجتمعا يتفاوضان في أُمور الأموالِ والأعمال.

فقال له ابنُ مُقلَة: أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عليٍّ الماذرائيُّ[6] يُطِيعُكَ، وهو من أكبر

---

(١) قوله: (وعلي بن عيسَى مستتر، فلم يشعر إلا) زيادة من (ظ، ل).

(٢) (ضررًا) ليست في (ظ، ل).

(٣) في (ل): (بأحسن لقاء وأجمله).

(٤) في (ظ، ل): (يوصل).

(٥) **الدُّراعة**: ضَربٌ من الثياب التي تُلبَس، وقيل: جُبَّة مشقوقة المقدَّم. ينظر: «لسان العرب» (د ر ع: ٨/ ٨٢).

(٦) في (ض، ل): (المارداني)، وفي (ظ، ر، ن): (المادراني). وقد سبق التنبيه (١/ ٢٦٩). إلى أنَّ هذه النسبة إلى (**ماذرايا**) بالذال المعجمة كما في «معجم البلدان» (٥/ ٣٤)، أو إلى (مادرايا) =

صَنائِعِك، ومصرُ[1] مع الاضطِراب الواقِع، ستفور[2] نارًا؛ لِكَثرَة الجَيش فيها، وعِظَمِ مالِ صِلَة البَيعَةِ، والوجهُ أن تكتبَ إليه بخطِّك عن نفسك بما جرى، وما أباحه الله عَزَّوَجَلَّ لأمير المؤمنين، واشتراكنا جميعًا في التدبير.

فقال له: الوجهُ أن تكتبَ إليه بخطِّكَ[3].

فقال مؤنس للوزير ابنِ مقلة: افْعَل ما أشارَ به أبو الحسن.

فقال: لا يَحسُنُ أن أكتُبَ في شيءٍ من هذا، وهذا الشَّيخ حاضرٌ.

فقال أبو الحسن: فأنا أكتبُ بذلك[4] عنك إلى محمَّد بن عليٍّ، فإنَّك أنت الوزيرُ، وكلُّنا أعوانُك وأتباعك. فسُرَّ بذلك ابنُ مقلةَ جدًّا، وصارت له عِند النَّاس جَميعًا منزلةً.

ودعا عَليُّ بن عيسَى بثلث قرطاس، فكتب فيه في الحال بغير نُسخَةٍ بخطِّه[5]، **كتابًا نسختُه:**

= بالدال المهملة كما في «الأنساب» للسمعاني (١٢/ ١٣).

(١) (ومصر) بدلها في المطبوع: (فاكتُب إليه بِحمل مال. فَقال عَليُّ بن عيسَى: إن مصر)، وليس ذلك في النسخ التي عندنا.

(٢) في (ل): (تستعر).

(٣) قوله: (تكتبُ إليه بخطك...) إلى هنا في (ظ، ل): (والوجه أن يكتب الوزير أعزه الله).

(٤) في (ظ، ل): (بخطي).

(٥) (بخطِّه) ليست في (ظ، ل).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أعزَّك الله، وأطال بقاءَكَ، وأكرمكَ وأتمَّ نعمَتَه عليك، وإحسانَه[(١)] إليك، **قد عوَّد الله تعالى أميرَ المؤمنينَ** -أطال الله بقاءه- في تصاريف أحواله، ومُعقِبَاتِ أعماله، وعند الخُطُوبِ إذا ألمَّت، والحوادث إذا أظلَّت؛ **أن لا يُخلِيَه** من نَصْرٍ يُنتِجُه[(٢)] له، ونِعَمٍ يجدِّدُها عِنده، ومِنَحٍ يُضَاعِفُها[(٣)] لَدَيهِ؛ لما يعلمه من صفاءِ نيَّتِه، وخلوصِ طَوِيَّتِه؛ وحسنِ[(٤)] سَريرَتِه لسائِر رَعيَّتِه، عادَةٌ في الصَّلاح والإصلاح، هو -عَزَّوَجَلَّ- مُتَمِّمُها، ومُوَزِّعُ الشُّكر عليها.

وكانَ جماعَةٌ من الأولياء، وجُمهور الرِّجالِ والأصفياء، عَدَلُوا عن طَريق السَّلامَة، وزالوا عن مَذهَب الاستقامَة، وحادُوا عمَّا[(٥)] توالى عليهم من النِّعمَة، ووصل إليهم من الإحسان في طول المدَّة، وحَمَلَهُم الحَيْنُ[(٦)] المتاح لأمثالهم، وما قرَّب الله من آجالهم، عن[(٧)] الخُروج عَن مَدينَة السلام، بغير تَدبيرٍ ولا نظام[(٨)]، والمطالبةِ بما لم يستَحقُّوه من الأرزاق، على سبيل السَّطوة والاقتدار، غيرَ

(١) (وإحسانه) في (ظ، ل): (وزادَ في إحسانه).

(٢) في (ظ): (نظر يتيحه).

(٣) في (ض): (يُظْهِرُها).

(٤) في (ض): (ونقاء).

(٥) في (ر، ك): (وحادّوا ما).

(٦) **الحَين**: الهلاك. ينظر: «مختار الصحاح» (ح ي ن).

(٧) كذا في جميع النسخ، ولعل صوابه: (على).

(٨) (عن الخُروج عَن مَدينَة السلام، بِغَير تَدبير ولا نظام) ليست في (ظ، ل).

ومدينة السلام: بغداد، سميت بذلك لقربها من دجلة، وكانت دجلة تسمى نهر السلام. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٤٥٦) (٣/ ٢٣٤).

مفكرين في ذَمِيمِ المذاهب، ووَخِيمِ العواقِبِ، متردِّدين في بَغْيِهم، متسكِّعين[١] في جهلهم وغَيِّهم.

وأميرُ المُؤمنينَ -أعزَّه الله تعالى- يَعِدُهم بنظره الَّذي لا يُخْلِفُه، والعطاءِ الَّذي لا يُؤَخِّرهُ، ويتوخَّاهم بالموعِظَةِ الحَسَنَة، وينهاهم عن الأفعال القبيحة المُنكرَة، وهم يأبَون ما يدعوهُم إليه، ويُسرِفُون في التحكُّم والبَغْيِ عليه، إلى أن أدَّاهم الجهلُ والطُّغيان، والتمرُّدُ والعصيان، إلى إحضارهم دارَ المملكة مَن لَقَّبوه بالخلافة يومًا واحدًا، ثمَّ صُرِفَ عنها، وأميرُ المؤمنين يُعمِلُ فِكرَه ورويَّته في حَلِّ نظامهم، وحَسْمِ موادِّ اجتماعهم، وتشتيتِ كلمتهم، وتفريقِ جَماعَتهم؛ حتَّى يتَمَكَّنَ مِنهُم تمكُّنًا يفُتُّ في أعضادِهم، ويُوهِن من عنادهم، ثمَّ يعفوَ عَمَّن يرى العَفوَ عنهُ، ويُوقِعَ القصاصَ على مَن يُوجِبُ الحقُّ الاقتصاصَ مِنهُ.

فلم تكن إلَّا وقعَةٌ من الوقعات، وساعةٌ من السَّاعات، حتَّى أخلفَ اللهُ آمالهم، وأَكْذَبَ أطماعَهم، وبدَّد شملَهم، وخيَّب سَعيهم، وأكبى زَنْدَهُم[٢]، [ظ/٧٦] وانفضُّوا بعد أن استُلحِمَ[٣] مَن كانَ مُضرِمًا للفتنة، ومُلهِبًا للنَّائِرة[٤]، وعاد أميرُ المُؤمنينَ على الباقينَ بالصَّفح الشَّامِل، والإنعامِ الكامل، وتغمَّد هَفْوَتَهم، وأَقَالَ عَثْرَتَهم، وأحسنَ صِلَتَهم، واستأنفَ أفضلَ الأحوالِ بهم، وعادت الأُمورُ

---

(١) في (ظ): (متسفِّلين).

(٢) **الزَّنْدُ**: العود الذي تُقدَح به النار، ويقال: كبا الزَّنْدُ إذا لم يخرج منه نارٌ. ينظر: «مختار الصحاح» (ز ن د)، و«لسان العرب» (ك ب ا: ١٥/ ٢١٤).

(٣) **استُلحِمَ**: قُتِلَ. ينظر: «شمس العلوم» (٩/ ٦٠٢٦).

(٤) **النائرة**: الفتنة؛ نارَتْ الفِتنَةُ تَنُورُ، إذا وَقَعَتْ وَانْتَشَرَتْ، فهي نَائِرَةٌ. ينظر: «المصباح المنير» (ن و ر).

كما كانَت، وتكشَّفت الخطوبُ وزالت، وخَلُصَتْ النيَّاتُ وصَلُحَتْ، وهدأت الرَّعيَّةُ وسكنت.

[ص/٦٢] وقد تكفَّل الله عَزَّوَجَلَّ بنصر أمير المُؤمنينَ، وتشييد أركان عزِّه، واللهُ يحِقُّ الحقَّ ويبطل الباطِل ولَو كره المشركون، فأَجْرِ -أعزَّكَ الله- أعمالَك على أجملِ ما كنت[١] تُجريها عليه، وأحسِنْ سيرتَك فيها، مُستعمِلًا فيها أَخْذَ الحَدِّ[٢]، وأبلغَ التشميرِ والجِدِّ[٣]؛ حَتَّى يتسهَّل لك صعابُها، وتَدُرَّ أَخْلافُها[٤]، وتجري على أحسَنِ مجاريها، وأجملِ تأتِّيها[٥]، واحْذَر أن ترخِّصَ لنفسِكَ في تأخير الحمل، فتخرُجَ إلى التَّأنيب والعَذْل.

وبادِرْ بالجواب عن هذا الكتاب، لأعرضَهُ على أمير المُؤمنينَ -أطال الله بقاءه-، فإنَّهُ يتوكَّفُه[٦]، ويُراعِيه ويَتَشَوَّفُه[٧]. والدُّعاء[٨].

---

(١) (كنت) ليست في (ظ، ل).

(٢) **الحَدُّ**: مُنتهى الشَّيءِ. **والحَدُّ** مِنْكَ: بَأْسُكَ ونَفَاذُكَ في نَجْدَتِك، يقال: إِنَّه لَذُو حَدٍّ، وهو مجازٌ. ينظر: «تاج العروس» (ح د د: ٨/ ٦).

(٣) (والجد) ليست في (ظ)، وفي (ل): (أجدَّ الجد وأبلغ التشمير والحدِّ).
والجِدُّ: الاجتهاد في الأمر. ينظر: «مختار الصحاح» (ج د د).

(٤) في (ظ، ل): (أجلابها). **والأخلاف**: جمع خِلْف، وهو طَرَفُ الضَّرْع، وقيل: هو الضَّرْع نفسه، وخصَّ بعضُهم به ضَرْع الناقة، هو مقبض يد الحالب من الضرع. ينظر: «لسان العرب» (خ ل ف: ٩/ ٩٢).

(٥) في (ض): (على حسن مجاريها، وأحسن سيرك فيها).

(٦) في (ظ، ل): (يتوقعه).
التوكُّف: التوقُّع والانتظار. ينظر: «لسان العرب» (و ك ف: ٩/ ٣٦٤).

(٧) أي: يتطلَّع إليه. ينظر: «مختار الصحاح» (ش و ف).

(٨) في (ظ، ل) زيادة: (له).

وكُتِبَ يوم الاثنينِ لثلاث عشرةَ ليلةٍ خلت من المحرَّم، سنة سبعَ عشرَةَ وثَلاث مئة[1].

(١) أورد في المطبوع بعد هذه القصة قصَّةً عن ابن أبي دواد، وهي في النسخ المخطوطة وردت في (٣/ ١٥٤).

[ه: ١٣] [سليمانُ بنُ وَهْبٍ وأحمدُ بنُ الخَصِيب يخرجان من حبسِ ابنِ الزَّيَّاتِ]

حدَّثني عليُّ بن هشامٍ، **قال:** سَمِعت أبا الحسن عليَّ بن عيسَى يتحدَّث **قال:** سَمِعت عُبيدَ الله بن سُلَيمان بن وهب، **يقول:** حدَّثني أبي، **قال:**

كنتُ أنا(١) وأبو العَبَّاس أحمدُ بنُ الخَصِيب مع خَلْقٍ من العمَّال والكتَّاب مُعتَقَلِين في يَدي محمَّدِ بنِ عبد الملك الزَّيَّات، في آخر وزارَتِه للواثق، نُطالَبُ ببقايا مُصادَراتِنَا، ونحن آيَسُ ما كُنَّا من الفرج؛ إذ اشتدَّت عِلَّة الواثقِ، وحُجِبَ سِتَّةَ أيَّامٍ عن النَّاس.

فَدخل عليه أبو عبد الله أحمدُ بنُ أبي دوادٍ القاضي، **فقال له الواثق:** يا أبا عبد الله -وكانَ يَكْنِيهِ- ذهبت منِّي الدُّنيا والآخِرَة.

قال: كلَّا يا أميرَ المؤمنين.

فقال: بلى والله، قد ذهبت منِّي الدُّنيا بما ترى من حضور الموت، وذهبت الآخرةُ بما أسلفتُ من العمل القَبيح، فَهَل عندك من دَواء؟

قال: نعم يا أمير المُؤمنينَ، قد عَزَل(٢) محمَّدُ بنُ عبد الملك الزَّيَّاتُ جماعةً من العمَّال والكُتَّاب، وملأ بهم الحُبوسَ، ولم يُحَصِّلْ على كَبيرِ شَيءٍ منهم،

(١) ليست في (ظ، ل).

(٢) في (ك، ر): (غرَّك).

وهم عددٌ كثيرٌ، ووراءهم ألفُ يَدٍ ترتفع إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالدُّعاءِ عليكَ؛ فتأمرُ بإطلاقهم، لترتفعَ تلكَ الأيدي بالدُّعاءِ لك، فلعلَّ اللهَ أن يَهَبَ لك العافية، وعلى كلِّ حالٍ، فأنتَ مُحتاجٌ إلى أن تُقِلَّ خُصُومَك.

فقال: نِعْمَ ما أشرتَ به. **وقال:** وقِّع إليهِ بإطلاقهم عنِّي.

فقال: إن رأى خطِّي عانَدَ ولَجَّ، ولكن يغتنمُ أميرُ المُؤمنينَ الثَّوابَ، ويتساند[1]، ويحمل على نَفسِه، ويوقِّعُ بخَطِّهِ.

فوقَّع الواثق بخَطٍّ مُضطَرِبٍ إلى ابن الزَّيات بإطلاقهم، وإطلاقِ كلِّ مَن في الحبوس، من غير استئمارٍ ولا مُراجعَةٍ، **وتَقَدَّم**[2] إلى إيتاخَ أن يَمضِيَ بالتوقيع، ولا يَدعه يعملُ شيئًا، أو يُطلِقَهُم، وأن يُحُول بينَه وبينَ الوُصول إليه[3]، أو كَتْبِ رقعَةٍ، أو اشتِغاله بشيءٍ البتَّة[4]، إلَّا بعد إطلاقهم، وأنَّه إن لقيَه في الطَّريق أن يُنزِلَه عَن دابَّته، ويُجلِسَهُ على الطَّريق[5]، حَتَّى يفرغَ من ذلك.

فتوجَّه إيتاخُ، فلقيَ ابنَ الزَّياتِ راكِبًا يُريدُ الخَليفَةَ. **فقال له:** تنزلُ عن دابَّتك، وتجلسُ على غاشيتك[6].

---

(١) في (ظ، ل): (ويستند).

(٢) (وتَقَدَّم) في (ظ، ل): (فقال ابن أبي دواد: يتقدم أمير المؤمنين).

(٣) في (ظ، ل): (إليك).

(٤) في(ض): (أو اشتغالٍ بشيء منه).

(٥) في (ظ، ل): (أنزله عن دابته وأجلسه على غاشيته في الطريق).

(٦) **الغاشية**: الغطاء. ينظر: «لسان العرب» (غ ش ي: ١٥/ ١٢٦).

فارتاعَ، وظنَّ الحالَ قد وقعت به، فَنَزَل وجلسَ على غاشيته، فأوصلَ إليه التوقيعَ، فامتنعَ، **وقال**: إذا أطلقتُ هَؤُلاءِ فمن أين أُنفِقُ الأموال، وأقيم الأنزال؟

فقال له: لا بُد من ذَلِك.

فقال: أركبُ إليه فأستأذِنُه.

فقال: لا سَبيلَ إلى ذلك.

قال: فَدَعني أكاتبه.

قال: ولا هذا.

فما تَرَكَه يبرحُ من مَوضِعه حتَّى وقَّع بإطلاق النَّاس.

فصارَ إيتاخُ إلينا، ونحن في الحَبسِ، آيسُ ما كُنَّا من الفرج، وقد بَلَغَنا اشتدادُ عِلَّة الواثق، وأُرْجِفَ لابنِهِ بالخلافة[1]، وكانَ صَبيًّا، فخفنا أن يتمَّ ذلك، فيجعَل ابنُ الزَّيات الصَّبيَّ شيخًا، ويتولَّى التَّدبيرَ، فيُتلِفَنا، وقد امتنعنا -لفَرطِ الغمِّ- من الأكلِ. [ظ/٧٧]

فَلَمَّا دخل إيتاخُ الحبس لم نشكَّ أنَّه حَضَرَ لبليَّةٍ؛ فأَطْلَقَنا، وعرَّفَنا الصُّورَةَ، فدعونا الله لابن أبي دواد وللخليفة، فانصرفنا إلى مَنازلنا لحظةً، ثمَّ خرجنا فوقفنا لأبي عبد الله بن أبي داود على الطَّريق، نَنتَظِر عَودَه من دار الخَليفَة إلى داره.

فحين رأيناهُ ترجَّلنا، ودعونا له وشكرناه، فأنكر[2] ذلك علينا، ومنعنا من التَّرَجُّل، فَلم نمتنع.

---

(١) **أَرْجَفُوا في الشَّيء**: خاضُوا فيه. ينظر: «مختار الصحاح» (رج ف).

(٢) (فأنكر) في (ك): (فأكبر)، وفي (ظ، ل): (فقال: لا تفعلوا وأنكر).

فَوقف حَتَّى ركبنا وسايرناه، فأخذ يُخبِرُنا بالخبر، ونحن نشكُره، وهو يستقصِرُ[١] ما فعل، **ويقول:** هذا أقلُّ حقوقكم.

وكانَ الَّذي لَقِيَه أنا وأحمدُ بن الخَصِيب. **وقال لنا:** ستعلمان ما أفعلهُ مستأنَفًا[٢].

فَرَجَعَ ابنُ أبي دُوَاد إلى دار الخَليفَة عَشيًّا، **فقال له الواثق:** قد تبرَّكت برأيكَ يا أبا عبد الله، ووجدتُ خفَّةً من العلَّة، ونَشِطْتُ[٣] فأكلت وزنَ خمسَةِ دراهِمٍ خُبزًا بصَدرِ دُرَّاجٍ[٤].

فقال له أبو عبد الله: يا أميرَ المؤمنينَ، تلكَ الأيدي الَّتي كانَت تدعو عليك غُدوةً، صارَت تدعو لك عَشيَّةً، ويدعو لك بسببهم خلقٌ كثيرٌ من رعيَّتِك، إلَّا أنهم قد صاروا إلى دُورِ خرابٍ، وأحوالٍ قبيحةٍ، بلا فُرُشٍ، ولا كسوةٍ، ولا دَوابَّ، ولا ضياعٍ، موتى جوعًا وهُزالًا.

قال: فما ترى؟

قال: يا أميرَ المؤمنين، في الخزائن والإصطبلاتِ بقايا ما أُخِذَ مِنهُم، فلو أمرتَ أن يُنظَر في ذلك، فكلُّ مَنْ وجِدَ له شيءٌ باقٍ من هذا رُدَّ عليه، وأَطلَقْتَ لهم ضياعَهم وأملاكَهم[٥]، لعاشوا، وخَفَّ الألَمُ، وتضاعفَ الدُّعاءُ، وقَرُبَتْ[٦] العافية.

---

(١) في (ظ، ل): (يستصغر).

(٢) في (ظ، ل): (في المستأنف).

(٣) في (ظ، ل) زيادة: (للأكل).

(٤) **الدُّرَّاج:** نوع من الطيور، من طير العراق. ينظر: «لسان العرب» (د ر ج: ٢/ ٢٧٠).

(٥) (وأملاكهم) ليست في (ظ).

(٦) في (ظ، ل): (وقويت).

قال: فوقِّع عنِّي بذلك.

فوقَّع أحمدُ بن أبي دُوَاد عنهُ بذلك؛ فما شعرنا من الغَدِ إلَّا وقد رجعت نعمتُنا علينا.

وماتَ الواثق بعد ثلاثة -أو أربعة[1]- أيَّام، وفرَّج الله عَزَّوَجَلَّ عَنَّا بابن أبي دُوَاد، وبقيت له هذه المكرُمَة العظيمة في أعناقنا.

وقد ذكر محمَّد بنُ عُبدُوسٍ هذا الخَبَرَ في كتاب «الوزراء» عن مُحَمَّد بن داود بن الجراح[2]، عَن عبيد الله بن سُلَيمان، بما يَقرُب من هذه الألفاظ، والمعنى واحد، إلَّا أنَّه لم يذكر فيه أنَّه كان معهم في الحَبس أحمدُ بن الحَصِيب[3].

---

(١) (أو أربعة) ليس في (ظ، ل).

(٢) هو محمَّد بن داود بن الجراح، أبو عبد الله الكاتب، وهو عمُّ علي بن عيسى الوزير، كان من علماء الكتاب، فاضلًا عارفًا بأيام الناس وأخبار الخلفاء والوزراء، وله في ذلك مُصنَّفات معروفة، (٢٩٦هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ١٥٦).

(٣) قوله: (وقد ذكر محمَّد بنُ... أحمدُ بن الحَصِيب) ليس في النسخ المعتمدة للمقابلة، وأثبتناه من (ك). وقد ورد في المطبوع بعد هذه القصة قصةٌ ليست في النسخ التي لدينا في هذا الباب، وهي في الباب الثامن (٤/ ١١٢).

[٥: ١٤] [أحمدُ بنُ خالدٍ يخرجُ من الحبسِ ليُصبِحَ عاملاً على مصرَ]

حدَّثني أبو الحُسَين عليُّ بن هشامٍ، **قال**: سَمِعتُ أبا الحسن عليَّ بنَ عيسَى، وأبا الحسن الأنباري الكاتب[١]، يقولانِ: إنَّهُما سمعا **عُبيدَ الله بنَ سُلَيمان**[٢]، **يقول**:

كنتُ بِحَضرَة أبي في ديوان الخَراج بسُرَّ مَنْ رأى، وهو يَتَولَّاهُ إذ ذاك؛ إذ دخل عليه أحمدُ بنُ خالدٍ الصَّرِيْفِينِيُّ[٣] الكاتِب[٤]، فقامَ أبي إليه من مجلسه، وأجلسه في صَدرِه، وتشاغَلَ به، فلم ينظر في عملٍ حتَّى نَهَضَ، ثمَّ قامَ معه، وأمر غلمانَه بالخروجِ بين يَدَيه.

فاستعظمتُ أنا وكلُّ مَن في المجلس هذا[٥]؛ لأنَّ رسمَ أصحاب الدَّواوين، صغارِهم وكبارِهم: أن لا يقوموا في الدِّيوان لأحدٍ من خلق الله عَزَّوَجَلَّ، ممَّن يدخل إليهم.

---

(١) في (ض، ظ، ل): (الإيادي)، والمثبت من (ر، ح)، وهو علي بْن مُحَمَّد، أبو الحسن الأنباري الكاتب، يعرف بابن حبش، أبوه ابنَ خالة أبي الحسن ابن الفرات الوزير، (ت: ٣٨٠هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٣/ ٥٦٥)، و«تاريخ الإسلام» (٨/ ٤٩٢).

(٢) عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد والمعتمد، وأبوه كان وزير المهتدي. سبقت ترجمتهما (١/ ٢٥٥).

(٣) نسبة إلى صَرِيْفِين أو صريفون، وهي ثلاثة، صريفين واسط، وصريفين بغداد، قُرْبَ أَوَانا وعكبراء، وصريفين من قرى الكوفة. ينظر: «الأنساب» (٨/ ٣٠٠)، و«معجم البلدان» (٣/ ٤٠٣).

(٤) (الكاتب) ليست في (ظ، ل).

(٥) في (ظ، ل): (الديوان لك).

[ض/ ٦٣] فتبيَّن أبي ذلك في وجهي، فقال لي: يا بُنَيّ، إذا خَلَونا فَسَلْني عن السَّبَبِ فيما عَمِلْتُه مع هذا الرَّجل.

قال: وكانَ أبي يأكُل في الدِّيوان، وينام فيه، ويعمل عَشِيًّا الحسابات[١].

فَلَمَّا جلسنا نأكُل لم أُذَكِّرْهُ، إلى أن رأيتُ الطَّعام قد كاد يَنقَضي، **فقال لي:** يا بُنَيَّ شَغَلَكَ الطَّعامُ[٢] عمَّا قلتُ لك أن تُذَكِّرني فيه.

قلت: لا، ولكنِّي أردتُ أن يكونَ ذلك على خلوةٍ.

قال: يا بُني، وهذا وقتُ خلوةٍ، **ثمَّ قال:** أليسَ قد أنكرتَ أنتَ والحاضرونَ قيامي لأحمدَ بنِ خالدٍ في دُخوله وخُروجه، وما عاملتُه به؟

فقلت: بلى.

فقال: كانَ هذا يتقلَّد مصرَ، فَصَرَفتُه عنها، وكانَت مدَّتُه طالت فيها، فوطئت[٣] آثارَ رجلٍ لم أَرَ أجملَ آثارًا مِنهُ، ولا أعفَّ عن أموال السُّلطان والرَّعية، ولا رأيتُ رعيَّةً لعاملٍ أشكرَ من رَعيَّته له.

وكان الحسين الخادم المعروف بعِرقِ الموت[٤] صاحبُ البَريدِ بمصرَ أصدقَ النَّاس له، وكان مع هذا من أبغض النَّاس لي، وأشدِّهم اضطرابًا في أخلاقِه[٥]، فلم أتعلَّق عليه بِحُجَّةٍ.

---

(١) (الحسابات) ليست في (ض).
(٢) في (ظ، ل) زيادة: (عن إذكاري).
(٣) (فوطئت) في (ظ): (فتتبَّعتُهُ أنا فوجدتُ).
(٤) خادم المتوكل، قدم من بغداد إلى مصر متقلِّدا للبريد بعد سنة (٢٥٠هـ)، وكان جيّد العقل، راجح الوزن، توفي بعد (٢٦٥هـ). ينظر: «الجليس الصالح الكافي» (ص: ٣٨٨)، و«المقفى الكبير» (٣/ ٣٦٣).
(٥) في (ض): (اضطرابَ أخلاقٍ).

ووجَدتُه قد أخَّرَ رفع الحساب لسنةٍ مُتَقَدِّمَةٍ ولسنَتِه التي هو فيها، ولم يستتمَّها لصرفي له عنها، ولم ينفذهُ إلى الدِّيوان، فسُمْتُهُ[1] أن يحطَّ لي من أصول الدَّخلِ، ويزيدَ في النَّفَقات والأرزاقِ، ويُكثِرَ من البقايا في كلِّ سنةٍ مئةَ ألفِ دينارٍ، لآخذَها لنفسي، فامتنعَ من ذَلِك، فأغلظتُ عليه[2]، وتوعَّدته، ونزلتُ معه إلى مئَةِ ألفٍ واحِدَةٍ للسَّنتين[3]، وحلفت بأيمانٍ أكيدةٍ[4] أنِّي لا أقنعُ منهُ بأقَلَّ منها. [ظ/٧٨]

فأقامَ على امتِناعه، **وقال**: أنا لا أخونُ لنفسي، فكيف أخونُ لغيري وأُزِيلُ ما قامَ به جاهي من العفاف؟

فقيَّدتُه وحَبَسْتُه، فلم يُجِبْ، وأقام مُقَيَّدًا في الحبس شهورًا.

وكتب عِرقُ الموتِ يُضَرِّبُ عَليَّ إلى المتوكِّل، ويحلفُ[5] أنَّ أموالَ مصرَ لا تفي بنفقتي ومؤني، ويصفُ أحمدَ بن خالدٍ، ويذكر مَيلَ الرَّعيَّة إليه، وعفَّتَه.

فأنا ذاتَ يَومٍ على المائِدَة آكُلُ، إذ ورَدَتْ عليَّ رُقعَةُ أحمدَ بنِ خالدٍ، يسألني استدعاءَه لمهمٍّ يُلقِيه إليَّ، فلم أشكَّ أنَّه قد غَرِضَ[6] بالقيد والحبس، وقد عزمَ على الاستجابةِ لمرادي.

---

(١) **سَامَهُ الأمرَ سَومًا**: حَمَلَه عليه وكلفَه إيَّاه. ينظر: «لسان العرب» (س و م: ١٢/ ٣١١).

(٢) في (ض): (فاعتبطت له).

(٣) قوله: (فامتنع من ذلك فأغلظت له وتوعدته) ليس في (ظ، ل).

(٤) في (ظ، ل): (مؤكدة).

(٥) في (ظ، ل): (وكتب عرق الموت صاحب البريد إلى المتوكل وحلف).

(٦) أي: ضَجِرَ وقَلِق. ينظر: «لسان العرب» (غ ر ض: ٧/ ١٩٤).

فَلَمَّا غسلتُ يَدي دعوتُه، فاستخلاني، فأخليتُه، **فقال لي**: أما آن لكَ يا سيِّدي أن ترقَّ لي ممَّا أنا فيهِ من غير ذَنبٍ أذنبتُه إليك، ولا جُرْم، ولا قديمِ ذَحْلٍ[1]، ولا عَداوة.

فقلت: أنتَ اختَرتَ لنفسك هذا، وقد سَمِعتَ يَميني، وليس منها مَخرَجٌ، فاستَجِبْ لما أُريد منك واخرُج.

فأخذ يَستَعطِفُني، وجاءني ضدُّ ما قدَّرتُه فيهِ، وغاظَني، فشتمته، **وقلت**: الأمرُ المهمُّ الَّذي ذكرتَ في رقعتك أنَّك أردت إلقاءه[2] إليَّ هو أن تَستَعطِفَني، وتسخر منِّي[3]، وتخدعني! وشَتَمْتُه[4].

فقال لي: يا سيِّدي، فليسَ عندكَ الآن غيرَ هذا؟

فقلت: لا.

فقال: إذا كانَ ليسَ غير هذا، فاقرأ يا سَيِّدي هذا.

وأخرج إليَّ كتابًا لطيفًا مَختومًا في ربعِ قرطاسٍ، ففَضَضْتُه، فإذا هو بِخَطِّ المتَوكِّلِ الَّذي أعرفهُ إليَّ بالانصراف[5]، وتسليمِ ما أتولَّاه إلى أحمدَ بنِ خالِدٍ، والخروجِ إليه ممَّا يلزَمُني، ورفعِ الحساب إليه، والامتثالِ لأمره.

---

(١) **الذَّحْلُ**: الحِقْدُ والعَداوَةُ، يقالُ: طَلَبَ بذَحْلِهِ؛ أي: بِثَأْرِهِ. ينظر: «مختار الصحاح» (ذ ح ل).
وفي (ض): (دَخل)، **والدَّخَل**: المكر والخديعة. ينظر: «مختار الصحاح» (د خ ل).

(٢) في (ظ، ل): (تريد أن تلقيه).

(٣) في (ض، ل): (وتَسْتَخْرِمُني).

(٤) (وشتمته) ليست في (ض).

(٥) في (ل): (بالصرف).

فوَرَدَ عَليَّ أقبحَ مَورِدٍ؛ لقُربِ عَهدِ الرجلِ بشَتْمي له، فإنَّه في الحال تحت حديدي ومكارهي، فأمسَكتُ مَبْهوتًا.

ولم أَلبَثْ أن دخلَ أميرُ البَلَدِ في أصحابِه وغلمانِه، فوُكِلَ بداري، وجميعِ ما أملكهُ، وبأصحابي وغلماني وجَهَابِذتي[١] وكتَّابي، وجعلتُ أَزْحَفُ[٢] من الصَّدر حَتَّى صرتُ بين يَدي أحمدَ بن خالِدٍ، وهو في قيودِه بعدُ.

ودَعا أميرُ البلد بحدَّادٍ، فحَلَّ قيودَه، فوثب قائمًا، **وقال لي**: يا أبا أيُّوب[٣]: أنتَ قريبُ عهدٍ بعمالة هذا البلد، ولا منزلَ لك فيهِ، ولا صديقَ، ومعك حُرَمٌ وحاشية كبيرة، وليسَ يسعك إلَّا هذه الدَّار -وكانَت دارَ العَمَالَة- وأنا أجدُ عدَّةَ مواضِعَ، وليسَ لي كبيرُ حاشيةٍ، ومن نكبةٍ خرجتُ، فأَقِمْ مكانَكَ[٤].

وخَرَجَ، وصرفَ التوكيلَ عنِّي، وعَن الدَّار، وأخذ كتَّابي وأسبابي إليهِ، فلمَّا انصَرفَ، قلتُ لغلماني: هذا الَّذي نراهُ في النَّوم! انظُروا من وكَّل بِنا؟

قالوا: ما وَكَّلَ بِنا أحدًا.

فعجبتُ من ذلك عجبًا شديدًا، وما صلَّيتُ العَصرَ حتَّى عاد إليَّ جميعُ مَن كان حَمَلَه معه من المتصرِّفين والكُتَّاب والجهابذةِ مُطلَقين، **فقالوا**: أخذ خطوطنا بِرَفعِ الحساب، وأمرَ بالملازمةِ، وأطلقنا. فازداد عَجَبي.

(١) **الجِهْبذ**: النَّقَّادُ الخبيرُ بغوامِض الأُمور. ينظر: «تاج العروس» (جهبذ: ٩/ ٣٩٢).

(٢) في (ل): (أرجف).

(٣) هو سليمان بن وهب، راوي القصة، وقد سبقت ترجمته (١/ ٢٥٥).

(٤) في (ظ، ل): (بمكانك).

فلمَّا كانَ من غَدٍ باكَرَني مُسلِّمًا، ورحت إليهِ في عَشيَّة ذلك اليَوم مُسلِّمًا عليه.

وأقمت على ذلك ثلاثينَ يومًا، إن سَبَقَني إلى المجيء وإلَّا رُحتُ إليه، فإن راحَ إليَّ وإلَّا باكَرْتُه(١)، وفي كلِّ يومٍ تجيئني هداياه وألطافُه من الثلج، والفاكِهَة، والحيوان، والحلوى.

فلمَّا كانَ بعد ثلاثينَ يومًا جاءَني، فقال لي: قد عَشِقتَ مصرَ يا أبا أيُّوب، واللهِ ما هي طيِّبةُ الهواء، ولا عَذْبةٌ، وإنَّما تطيبُ بالولايةِ والاكتسابِ، ولو دخلتَ إلى سُرَّ مَنْ رأى لما أقمتَ بها إلَّا شهرًا حتَّى تتقلَّد أجلَّ الأعمال.

فقلت له: واللهِ، ما أقمتُ إلا توقُّعًا لأمرِكَ في الخُروج.

فقال: أَعْطِني خطَّ كاتبكَ، بأنَّ عليه القيامَ بالحسابِ، واخرُجْ في حفظ الله.

فأحضرتُ كاتبي، وأخذَ خطَّه كما أرادَ، وسلَّمتُه إليه، **وقال**: اخرُجْ أيَّ وقتٍ شِئتَ.

[ظ/٧٩] فخرجتُ من غَدٍ، فَخَرَجَ هو وأميرُ البَلَدِ وقاضِيه(٢)، ووجوهِ وأهلِه، فشيَّعوني إلى ظاهر البَلَد، **وقال لي**: تقيمُ في أوَّل منزلٍ على خَمسة فراسخَ، إلى أن أزيح عِلَّةَ قائِدٍ يصحبك برجالِه إلى الرَّمْلةِ، فإنَّ الطَّريقَ فاسدٌ.

فاستوحشتُ من ذلك، **وقلت**: هذا إنَّما غرَّني حتَّى أخرجَ بكل ما أَملِكهُ، فيتمكَّنَ مِنهُ في ظاهر البَلَد، فيقبِضُه، ثمَّ يردُّني إلى الحَبسِ والتَّوكيلِ(٣) والمطالبة، ويحتجُّ عليَّ بكتابٍ ثانٍ يذكر أنَّه وَرَدَ(٤).

---

(١) في (ظ، ل): (يغدو إليَّ وأروح إليه، وربما راح هو وغدوتُ أنا).

(٢) في (ظ): (وخاصته)، وفي (ل): (وخاصتهم).

(٣) (والتَّوكيلِ) ليست في (ظ، ل).

(٤) في (ظ، ل): (ويحتج بكتاب ورد عليه ثانيًا).

فَخرجتُ، وأقمتُ بالمرحلة التي آثَرَها[1]، مُسْتَسْلِمًا، مُتَوَقِّعًا للشَّر، إلى أن رأيتُ أوائِلَ عَسكَرٍ مُقبلٍ من مصرَ.

فقلت: لَعَلَّه القائِدُ الَّذي يُرِيد أن يُصحِبَني إيَّاه، أو لَعَلَّه[2] الَّذي يُرِيدُ أن يقبض عَليَّ به، فأمرتُ غلماني بمعرفة الخَبَرِ. [ض/ ٦٤]

فقالوا: العامِلُ أحمدُ بنُ خالِدٍ قد جاءَ بنفسِه. فلم أشكَّ في أنَّه قد ورد البلاءُ بوروده، فخرجتُ من مَضرَبي، فَتَلَقَّيتُه وسلَّمتُ عليه، فلمَّا جلسَ، **قال**: أَخْلُونا. فلم أشكَّ أنَّه للقبض، وطار عقلي، فقامَ مَن كانَ عندي.

فلمَّا لم يبق عندي أحدٌ[3]، **قال لي**: أنا أعلمُ أنَّ أيَّامَكَ لم تَطُلْ بمصرَ، ولا حَظيتَ بكبير فائِدَةٍ، وذلكَ الباب الذي[4] سألتَنيه في ولايتك فلم أستَجِب إليهِ، إنَّما أخَّرتُ الإذنَ لك في الانصِراف من أوَّلِ الأمر إلى الآن؛ لأنِّي تشاغلتُ لك بالفراغ مِنهُ، وقد حططتُ من الارتفاع، وزدتُ في النَّفَقات في كلِّ سنةٍ خمسةَ عشرَ ألفَ دينارٍ، ويكون للسنتين ثلاثينَ ألفَ دينارٍ، وهو يقربُ ولا يظهر، ويكون أَيسرَ ممَّا أردتَه منِّي ذلك الوقت، وقد تشاغلتُ به حتَّى جمعته لك[5]، وهذا المال على البغال قد جئتُك به، فتقدَّم إلى مَن يتسلَّمُه.

---

(١) في (ظ، ل): (أمر).

(٢) (أو لعله) في (ض): (ولعلَّه).

(٣) في (ظ، ل): (ولم يبق غيري وغيره).

(٤) في (ل): (والأمر الذي).

(٥) (وقد تشاغلتُ به حتَّى جمعته لك) في (ض): (وقد جمعته).

فتقدَّمت بِقَبضِهِ، وقبَّلتُ يده، **وقلت**: قد -واللهِ يا سَيِّدي- فعلتَ ما لم تَفعَل البرامكةُ، فأنكر ذلك، وتقبَّض مِنهُ[1]، وقبَّل يدي[2].

وقال: هَاهُنا شيءٌ آخرُ أريد أن تقبلَه منِّي.

فقلت: وما هو؟

قال: خمسة آلافِ دينارٍ قد استَحْقَقْتُها من أرزاقي.

فامتنعتُ من ذلك، **وقلتُ**: فيما تفضَّلتَ به كفاية.

فحلف بالطَّلاق أنِّي أقبَلُها منهُ، فَقَبلتُها.

فقال: هَهُنا ألطافٌ من هدايا مصر، أحبَبتُ أن أُصحِبَك إيَّاها، فإنَّك تمضي إلى كتَّابِ الدَّواوين ورؤساءِ الحَضْرةِ، فيقولونَ لك: وُلِّيتَ مصرَ، فأينَ نصيبُنا من هَداياها؟ ولم تَطُلْ أيَّامُك، فتُعِدَّ ذلك لهم، وقد جمعتُ لك منه ما يشتَمل عليه هذا الثَّبَتُ.

وأخرجَ إليَّ دَرْجًا[3] فيهِ ثَبَتٌ جامعٌ لكلِّ شَيءٍ في الدُّنيا[4] حسنٍ طريفٍ[5]، جليلِ القَدرِ، من دَبيقيٍّ[6]، وقصبٍ، وخدمٍ، وبغالٍ، ودوابَّ، وحميرٍ، وفرشٍ،

---

(١) أي: اشمأزَّ. ينظر: «مختار الصحاح» (ق ب ض).

(٢) في (ض) زيادة: (ورجلي).

(٣) **الدَّرجُ**: الذي يُكتَبُ فيه. ينظر: «مختار الصحاح» (د ر ج).

(٤) (في الدُّنيا) ليس في (ل).

(٥) **الطريف**: المال المُستحدَث. ينظر: «مختار الصحاح» (ط ر ف).

(٦) **الدَّبِيقِيّ**: نوعٌ من الأقمشة الحريريَّة المزركشة، كانت تصنع في «دَبيَق»؛ بلدةٌ بمصر، قديمة من القرى المندثرة، وموضعها اليوم «تل دبيق» في الشمال الشرقي لقرية «صان الحجر» =

وطِيبٍ، وجوهرٍ، حتَّى أقلامٍ ومدادٍ، ما يكون قيمَةُ الجميع مالًا عظيمًا(١). فأمرتُ بتسلُّمِه، وزدتُ في شُكرِه.

فقال لي: يا سيِّدي، أنا مُغرًى(٢) بحبِّ الفَرْشِ(٣)، وقد استُعمِلَ لي(٤) بيتٌ أَرْمنيٌّ بإِرْمِينِيَة(٥)، وهو عشرُ مصلَّياتٍ(٦) بمَخَادِّها، ومَسانِدها، ومَسَاوِرِهَا(٧)، ومَطَارِحِها(٨)، وبُسُطِها، وهو مُذْهَبٌ بطُرُزٍ مُذْهَبَةٍ، قد قامَ عليَّ بخمسةِ آلافِ دينارٍ، على شدَّة احتياطي، وقد أهديتُه إليكَ، فإن أَهدَيتَه إلى الوزيرِ عَبَدَك(٩)، وإن أهديتَه إلى الخليفةِ ملكته به، وإن أبقيتَه لنَفسك وتجمَّلت به، كانَ أحبَّ إليَّ.

= بمحافظة الشرقية. ينظر: «المصباح المنير» (د ب ق)، و«المعجم العربي لأسماء الملابس» (ص: ١٦٨).

(١) (ظ): (ما يكون قيمته مالًا كثيرًا).

(٢) في (ر): (مغرم).

(٣) **الفَرْشُ**: المفروشُ من مَتاعِ البيتِ. ينظر: «مختار الصحاح» (ف ر ش).

(٤) (استعمل لي) في (ض، ظ، ل): (استعملت)، والمثبت من (ك). وبعدها في المطبوع زيادة كلمة (فرش)، ليست في النسخ، ولا في «المستجاد من فعالات الأجواد» (ص: ٤٢).

(٥) ليست في (ظ، ل). **إرمِينِيَة**: بكسر أوله ويفتح، وآخره ياء خفيفة، اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال، والنسبة إليها «أَرمنيٌّ» على غير قياس، بفتح الهمزة وكسر الميم، وفي «الأنساب» (١/ ١٧٢): (بفتح الميم). ينظر: «معجم البلدان» (١/ ١٦٠).

(٦) **المصَلَّيات**: جمع مصلًّى، وهو ما يُصَلَّى عليه. ينظر: «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» (ص: ١٦٢).

(٧) **المساور**: جمع مِسوَرْ: وهو متكأٌ من أَدَمٍ. ينظر: «لسان العرب» (س و ر: ٤/ ٣٨٨).

(٨) **المطارح**: جمع مَطْرَح، وهو المفرش، وهو الوِطاء الذي يُجعَلُ فوقَ الصُّفَّةِ. ينظر: «تاج العروس» (ف ر ش: ١٧/ ٣٠٧).

(٩) في (ل): (استعبدته).

قال: وحمله إليَّ، فما رأيتُ مثلَه قطُّ، ولم تسمح نفسي بإهدائه إلى أحدٍ، ولا استِعمالِه، ولا ابتذلتُ منه شيئًا إلَّا في يوم إِعْذَارِك(١)، فإنِّي تَخِذْتُ(٢) منه الصَّدرَ ومِسْنَده ومَسَاوِرَه، ومخادَّه(٣). أَفَتلُومُني أن أقومَ لهذا الرجُلِ يا بُنيَّ؟

فقلتُ: لا والله يا أبي(٤)، ولا على ما هو أكثرُ من القيام لو كانَ مستطاعًا.

قال: وكان أبي بعد ذلك إذا صَرَفَ رجلًا عَامَلَه بكُلِّ جميلٍ يَقدِر عليه(٥)، ويقول: علَّمَنا أحمدُ بنُ خالدٍ حُسنَ الصَّرْف أحسنَ الله جزاءه(٦).

---

(١) **الإِعْذار**: الخِتَانُ، ثمَّ قِيلَ للطَّعامِ الذي يُطْعَم في الخِتانِ إِعْذارٌ. ينظر: «لسان العرب» (ع ذ ر: ٤/ ٥٥١).

(٢) **تَخِذَ** -كعَلِمَ-: أَخَذَ. ينظر: «تاج العروس» (ت خ ذ: ٩/ ٣٧٧).

(٣) قوله: (إلَّا في... ومخادَّه) في (ظ، ل): (غيرَ هذا الصَّدرِ ومسندَه ومساوِرَه يومَ إعذارك).

(٤) في (ل): (يا أبت)، وفي (ظ): (أبه).

(٥) (يقدر عليه) ليس في (ظ، ل).

(٦) ينظر: «المستجاد من فعالات الأجواد» (ص: ٣٥ -٤٢).

[٥: ١٥] [القاسِمُ بنُ عبيدِ اللَّه الوزيرُ يقبضُ على مَن يتجسَّس عليه للخليفةِ ويعفُو عنه]

حدَّثنا أبو عَلي الحسين[١] بن محمَّد بن عَلي بن موسَى الأنباري الكاتِب، الَّذي كانَ زوجَ ابنةِ أبي محمَّدٍ المهلَّبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وخليفتَه على الوزارة[٢]، وكانَ جدُّه مُحدِّثًا، **قال: حدَّثني بعض شُيوخ الكتاب.**

وحدثني أبو محمَّد يحيى بن محمَّد بن فهد[٣] عن بعض شيوخ الكتاب، قالا:

إنَّ القاسِمَ بنَ عبيدِ الله الوزيرَ، لمَّا انفردَ بالوزارة بعد موت أبيه[٤]، كانَ يحبُّ اللعبَ، ويخاف أن يتَّصل بالمعتضد خَبَرُه فيَسْتَنْقِصَهُ، ويَنسُبَه إلى الصبيانيَّة والتَّهَوُّكِ في اللَّذَّات[٥]، والتشاغُلِ عَن الأعمال.

---

(١) كذا في النسخ، وفي المطبوع: (الحسن)، وهو تصحيف. ينظر: «تاريخ بغداد» (٨/ ١٢٦)، و«المنتظم» (١٣/ ٦٥)، و«معجم الأدباء» (١/ ١٤٤).

(٢) وكان يكتب لأبي يوسف البريدي، ثمَّ التحق بخدمة معز الدولة، وفي سنة (٣٣٩هـ) زوَّجه أبو محمَّد المهلّبي ابنته. ينظر: «نشوار المحاضرة» (١/ ٧٢)، و(٢/ ٣٦٣)، و«تجارب الأمم» (٦/ ١٥٦ - ١٥٧).

(٣) هو أبو محمَّد يحيى بن محمَّد بن سُلَيمان بن فَهد الأزديُّ المَوصِليُّ، سيذكرهْ المؤلف (٢/ ١١١، ٢٩٧).

(٤) هو عبيدُ الله بن سُلَيمان بن وهب، أبو القاسم الكاتب، سبقت ترجمته (١/ ٢٥٥).

(٥) **التَّهَوُّكُ**: مثلُ التَّهَوُّر، وهُوَ الوُقُوعُ في الشَّيءِ بقلَّةِ مُبالاةٍ وغَيرِ رَوِيَّةٍ. ينظر: «لسان العرب» (هـ و ك: ١٠/ ٥٠٨).

ثمَّ إنَّه خلا يومًا مع جواريه، ولبس ثيابهنَّ المصَبَّغاتِ، وأحضرَ فواكهَ كثيرةً، ولَعِبَ من نصف نهارِ يومٍ إلى نصف اللَّيلة التي وَلِيَتْه[١]، ونام بَقيَّة الليل، وبكَّر إلى المعتضِدِ للخدمَة على رسمه فما أنكر شيئًا، وبكَّر في اليوم الثَّاني[٢]، فحين وقعت عينُ المعتضِد عليه، **قال له**: يا قاسم، ما كان عليك لو دعوتَنا إلى خلوتك، وأَلْبستنا معك من ثيابك المصبَّغة.

فقبَّل الأرضَ، وورَّى عن الصِّدق، وأظهر الشُّكرَ على هذا البَسْط، وخرجَ وقد كاد يتلفُ غمًّا؛ لوقوف المعتضد على هذا السِّرِّ، وكيف رقى إليه، وأنَّه إذا لم يخفَ عليه هذا القدرُ من أمره، فكيف تخفى عليه مَرافِقُه؟ فجاء إلى داره كئيبًا.

وكانَ له في داره صاحبُ خَبَرٍ جَلْدٌ، يرفع إليهِ أُمورَها، فأحضَرَهُ، وعرَّفَه ما جرى بينه وبين المعتضد، **وقال له**: ابحث لي عمَّن أخرجَ هذا الخَبَرَ، فإن فعلتَ زِدتُ في رزقك كذا وكذا، وأجزتك بِكَذا وكَذا[٣]، وإن لم تُخرِجْه نَفَيتُكَ إلى عمان. وحَلَفَ له على الأمرينِ جميعًا.

فخرج صاحبُ خَبَرِه من حَضرتِه متحيِّرًا كَئِيبًا، لا يدري ما يعمل في يومِه ذلك، يُفَكِّر ويحتالُ ويجتَهِدُ[٤]؛ فما وقع له رأيٌ يعمل عليه.

---

(١) في (ظ، ل): (وشرب من نصف النهار إلى نصف الليل).

(٢) (فما أنكر شيئًا وبكر في اليوم الثَّاني) ليست في النسخ (ض، ظ، ل)، وأثبتناها من (ك).

(٣) قوله: (وأجزتك بكذا وكذا) ليس في (ظ، ل).

(٤) في (ظ، ل): (مفكرًا كيف يجهد ويحتال).

قال صاحب الخبر: فلمَّا كانَ من الغَدِ، بكَّرتُ إلى دار القاسِمِ، زيادَةَ بُكورٍ على ما جرى به رسمي؛ لفَرطِ قَلَقِي وسَهَرِي تلكَ اللَّيلَة، وإرادتي[1] للبحث.

فجئتُ ولم يُفتَح باب[2] القاسِمِ بنِ عبيدِ الله بعدُ، فَجَلَستُ، فإذا بِرَجُلٍ زَمِنٍ يزحَفُ في ثياب المُكْدِيين[3]، ومعهُ مِخْلاةٌ[4]، كما يكونُ مع المُكْدِيين.

فلمَّا جاءَ إلى الباب جَلَسَ إلى أن فُتِحَ، فسابَقَنِي إلى الدُّخول، فوَلِعَ به البَوَّابُون[5]، وقالوا: أَيْشٍ خَبرُكَ[6] يا فلان؟ وصَفَعُوه، ومازَحُوه، ومازحهم، وطايَبَهُم، وشَتَمُوه وشَتَمَهم، وجلسَ في الدِّهليزِ؛ **فقال**: الوزير يركب اليوم؟ [ن/١٤٨]

قالوا: نعم، السَّاعَة يركبُ.

قال: وأيَّ وقتٍ نامَ البارحة؟

قالوا: وقتَ كذا وكذا.

---

(١) في (ض): (ومحبتي)، وفي (ل): (وحيلتي).

(٢) (باب) في (ض): (دار).

(٣) **المُكْدِي**: السائل المُلِحّ. وأصله من الكُدية، وهي صلابة في الأرض، يقال: حَفَرَ فأكدى، فاستُعِير ذلك للطالب المُخفِق، والمعطي المُقِلّ. ينظر: «شرح درة الغواص» للشهاب الخفاجي (ص: ٥٤٦)، و«تاج العروس» (ك د ي: ٣٩/ ٣٨١).

(٤) **المِخْلاة**: ما يُجعَلُ فيهِ الخَلَى، وهو الحشيش. ينظر: «مختار الصحاح» (خلا).

(٥) أي: لجُّوا في أمره وحرصوا على إيذائه. ينظر: «تاج العروس» (و ل ع: ٢٢/ ٣٧٣).

(٦) في (ظ، ل): (وقالوا له: ما خبرك).

فلمَّا رأيتُه يسألُ عن هذا، خمَّنتُ أنَّه صاحبُ الخبرِ، فأصغَيتُ إليه، ولم أُرِهِ حَفْلًا بأمره[1]، وهو يسأل إلى أن لم يُبقِ شيئًا[2] يعلَمُهُ البَّوابون، ممَّن وصَلَ إلى الوزيرِ، ومَن لم يَصِلْ، ومتى خرجوا؛ إلَّا سألهم عنهُ، وحدَّثوه، وبَدَرُوه بأحاديثَ أُخَر[3] على سَبيلِ الفُضول.

ثمَّ زَحَفَ فدخل إلى حيثُ أصحاب السُّتُور، فأخذَ معهم في مثل ذلك، وأخذوا معه في مثله، ثمَّ زَحَفَ فدَخَلَ إلى دار العامَّة.

فقلت لأصحاب الستورِ: من هذا؟

فقالوا: رجلٌ زَمِنٌ فَقيرٌ أبلهُ، طَيِّبُ الخُلُق[4]، يدخل الدَّارَ يُتَصَدَّقُ عليه[5] ويَتَطايَبُ فيَهَبُ له الغلمانُ والمتصرفون.

فتَبِعتُه إلى أن دخل المطبخَ، فسألَ عمَّا أكلَ الوزيرُ، ومَن كان معه على المائِدَة، وفي أيِّ شيءٍ أفاضوا، والطباخُ وغلمانُه وغلمانُ صاحبِ المائدة[6]، [ص/٦٥] وكلُّ واحِدٍ يُخبرُهُ بِشَيءٍ.

ثمَّ خرجَ يزحفُ حتَّى دخل حجرةَ الشَّراب، فلم يَزَلْ يبحثُ عن كلِّ شيءٍ فيُحَدَّثُ به، حتَّى خرجَ إلى خزانَةِ الكسوةِ، فكانَت صورتُه كذلك، ثمَّ جاءَ

---

(١) **الحَفْلُ**: المبالاة. ينظر: «لسان العرب» (ح ف ل: ١١/ ١٥٩).

(٢) في (ك) زيادة: (يجوز أن).

(٣) في (ظ، ل): (وحدثوه هم أحاديث أخر).

(٤) (الخُلُق) ليست في (ظ، ل).

(٥) (عليه) ليست في (ظ، ل).

(٦) قوله: (وفي أي شيء... صاحب المائدة) ليس في (ظ، ل).

إلى مجلِس الكتَّاب في الدِّيوان، فَتَصَدَّق[1]، وأقبل يسمع ما يجري، ويسأُل الصَّبيَّ بعد الصَّبيِّ، والحَدَثَ بعد الحَدث[2]، عَن الشَّيء بعد الشَّيء، ويستخبر الخَبَرَ في كلِّ مَوضِعٍ من تِلكَ المَواضِع، ويَستَقِيه، ويخلط الجِدَّ بالمزح والتَّطايُب بكلامِه، والأخبارُ تنجرُّ إليه، وتتساقط عليه، والقِطَع والزَّلَّات[3] تجِيئُه، وهو يملأُ تلكَ المِخْلاةَ، فلمَّا فرَغَ من هذا أقبل راجعًا يريد البابَ.

إلى هاهُنا باتِّفاق الرِّوايَتَينِ، ثمَّ قال أحدهما في حَديثه:

فلمَّا بلغ البابَ، قَبَضتُ عليه، وأدخلته بيتًا، وأقفلتُ عليه، وجَلَستُ على بابه، فلمَّا خلا الوزيرُ أَعلَمتُه به، **فقال:** أَحْضِرْني الرجلَ.

وقال الآخر[4]:

فلمَّا بلغ البابَ تَبعتُه، فَخرجَ حتَّى جاءَ إلى مَوضِعٍ من الخُلْد[5]، فدخل إليه، فوقفت أنتظِرُه، فإذا هو بعد ساعةٍ قد خرج شابٌّ بثيابٍ حسانٍ، ماشيًا، بِغَير قَلَبَة[6]، فتَبِعتُه حتَّى جاءَ إلى دارٍ بِقُربِ دارٍ تُعرَف بدارِ الخادِم الموكَّلِ بِحِفظ دارِ ابن طاهِر، فَدَخلها.

(١) أي: سأل الصدقة. ينظر: «تاج العروس» (ص د ق: ٢٦/ ١٥).

(٢) في (ظ): (ويسأل الصبيَّ والحدث).

(٣) **الزَّلَّة**: اسمٌ لما يُحمَل من المائدة من طعامٍ. ينظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٣/ ١٣٥)، و«المصباح المنير» (ز ل ل).

(٤) في (ظ، ل): (وفي رواية أخرى).

(٥) **الخُلْد**: قصرٌ بناه المنصورُ ببغداد على شاطئ دجلة، سنة (١٥٩هـ)، وكان موضعَ البيمارستان العضديّ، وبنيت حواليه منازلُ فصارت محلَّةً كبيرةً عُرِفَت بالخُلد، والأصل فيها القصرُ المذكور. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٣٨٢).

(٦) في (ظ، ل): (علّة). ومعناهما واحد.

فَسألت عَنها، فقالوا: هذه دارُ فلانٍ الهاشِميِّ، رجلٌ مُتَجَمِّلٌ.

فرَصَدْتُه إلى وقت المغرب، فجاء خادِمٌ من دار ابن طاهِرٍ، فدقَّ البابَ، فَكَلَّمهُ من خَوخةٍ له[1]، ورمى إليه برقعةٍ لطيفةٍ، فأخذها الخادِمُ وانصَرفَ.

فجئت، وطلبتُ من الوزير غلمانًا، فسلَّم إليَّ ما طلبتُ، فبكَّرتُ في السَّحَر إلى الدَّار التي في الخُلد، فإذا بالرجلِ قد جاءَ بزيِّه الَّذي دخل به داره بقرب دارِ [ظ/٨١] ابنِ طاهِرٍ، فكَبَسْتُه[2] في الموضع، فإذا هو قد نزع ثيابه، ولبِسَ ثيابَ المُكْدِيين التي رأيتُها عليه أوَّلًا؛ فَحَمَلْتُه، وغطَّيتُ وجهَه، وكتمتُ أمرَه، حتَّى أدخلتُه دارَ القاسِمِ، ودخلتُ إليهِ وقصصت عليه الخَبَرَ.

اتفقت الآن الرِّوايَتان:

قال: ففَوَّضَ القاسِمُ شُغلَه، واستدعاه[3]، **فقال له:** اصدُقْني عن أَمرِك، أو لا ترى ضوءَ الدُّنيا، ولا تخرجُ من هذه الحُجرَةِ -واللهِ- أبدًا.

قال: تُؤَمِّنِّي؟

قال: أنتَ آمِنٌ. قال: فَنَهَضَ لا قَلَبَةَ به.

فتحيَّر القاسِم، وقال له: خبرك؟

---

(١) **الخَوْخَة**: كَوَّةٌ في الجدارِ. ينظر: «مختار الصحاح» (خ و خ). وفي (ض) زيادة: (ففتح له)، ولا داعي لها، لمخالفَتِها ما سيذكره في نهاية القصة.

(٢) أي: اقتحمت عليه. ينظر: «لسان العرب» (ك ب س: ٦/ ١٩١).

(٣) في (ظ، ل): (فلما فرغ القاسم من شغله استدعاه).

قال: أنا فلانُ بن فلانٍ الهاشِميُّ، وأنا رجلٌ متجمِّلٌ، وأنا أتخبَّر عَلَيك للمعتضد منذُ كذا وكذا، وأنزل في درب يعقوبَ[١] بقُربِ دار ابن طاهِرٍ، يُجري عليَّ المعتضدُ خمسين دينارًا في الشهر، فأَخرُجُ كلَّ يَومٍ من بَيتي بالزِّيِّ الذي لا يُنكره جيراني، وأدخل دارًا في الخُلْد، بِيَدي منها بَيتٌ بأُجرَةٍ، فيظنُّ أهلُها أنِّي مِنهُم، ولا يُنكرونَ تَغييري[٢] الزيَّ.

وأخرج من هناكَ بِهَذِهِ الثِّيابِ، وأَتَزامَنُ[٣] من الموضع، وألبَسُ لحيةً فوق لحيتي، مُخالفَةَ اللَّونِ[٤]، حتَّى إذا لقيني في الطَّريق بالاتِّفاقِ بعضُ من يعرفني أنكرني.

وأمشي زحفًا من الخُلد إلى دارِك، فأعمل جَميعَ ما حَكاهُ لك صاحبُ خَبَرِك، وأَسْتَقِي أخبارَك من غلمانِك، وهم لا يعرفونَ غرضي، فَيُخرجونَ إليَّ[٥] بالاسترسال، ما لو بُذِلَ[٦] لهم فيه الأموالُ ما خَرجوا به.

ثمَّ أخرجُ فأجيءُ إلى موضعي من الخُلدِ، فأغيِّرُ ثيابي، وأُعطِي الَّذي قد اجتمع لي في المخلاة للمُكْدِيين، وأَلبَسُ ثيابيَ التي يعرفني بها جيراني، وأعود إلى منزلي، فآكل، وأشرب، وألعب، بَقيَّةَ يومي.

---

(١) **درب يعقوب:** منسوب إلى يعقوب بن سوار أحد قواد المهدي، وتقع في آخر شارع دار الرقيق. ينظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٣١٥)، و(٥/ ٥٢٦).

(٢) في (ظ، ل): (تغيير).

(٣) أي: يتظاهر أنه زَمِنٌ.

(٤) في (ظ، ل): (للون لحيتي).

(٥) في (ظ) زيادة: (الأسرار).

(٦) في (ل): (بذلتُ).

فإذا كانَ المغربُ جاءَني خادِمٌ من خَدَمِ دارِ ابن طاهِرٍ، مندوبٌ لهذا، فأرمي إليه من رَوْزَنةٍ[1] لي برقعَةٍ فيها خبرُ ذلك اليوم، ولا أفتح له بابي؛ فإذا كانَ بعد تِسعَةٍ وعشرين يومًا جاءَني الخادِمُ، فأنزِلُ إليهِ فأعطيه رقعَةَ ذلك اليَوم، ويعطيني جاريَ ذلك الشَّهر الخارج[2] على هذا.

ولولا أنِّي لم أَرَ صاحبَ خَبَرِك، ولا فَطِنتُ له؛ لما تمَّ عليَّ هذا، ولو كنتُ لحظتُه لَحظَةً واحِدَةً؛ لما خَفِيَ عليَّ أنَّه صاحبُ خبرٍ، ولكنتُ أرجعُ من الموضع الذي أراهُ فيهِ، فلا يعرف خبري بعد ذلك، وإنَّما تمَّ عليَّ هذا لأنَّ أجلي قد حضر، فاللهَ اللهَ في دَمِي.

قال له: فاصدقني عمَّا رَفَعته عنِّي إلى المعتضد.

قال: فحَدَّثَه بأشياءَ رَفَعَها، منها خبرُ الثِّيابِ المصبَّغة[3].

قال: فحَبَسَه القاسِمُ أيَّامًا، وأخفى أمرَه، وأَنْفَذَني إلى منزله، **وقال لي**: راعِ أَمرَهم، وانظُر ما يجري.

فمضيتُ إلى داره الَّتي وَصَفَها بدرب يعقوب، فجلستُ إلى المغرب، فجاء الخادِمُ، فصاح به.

فقالت له الجارية: ما رَجَعَ اليوم، ولم يكن له بهذا عادةٌ قطُّ، وقد -واللهِ- قامَت قيامَتُنا. فانصَرف الخادِمُ، وانصرفتُ.

---

(١) **الرَّوْزَنَة**: الكُوَّة؛ معرَّبة. ينظر: «لسان العرب» (ر ز ن: ١٣/ ١٧٩).

(٢) قوله: (ولا أفتح له بابي؛ فإذا كانَ بعد... الشَّهر الخارج) في (ل): (ويعطيني جائزتي شهرًا بشهرٍ ولا أفتح له بابي)، وفي (ظ): (ويعطيني جائزتي ولا أفتح له بابي شهرًا بشهرٍ).

(٣) في (ل): (المصبَّغات).

وعدت أيضًا المغربَ من الغَدِ، وعاد الخادِمُ، **فقالت له**: ما جاء اليوم أيضًا، وقد -والله- اشتدَّ همُّنا، وأشفقنا أن يكونَ قد حَدَثَ عليه حادثةٌ لا نعرفها، فانصَرف الخادِمُ، وانصرفتُ.

وعدتُ من غدٍ[١]، وعاد الخادم، فقالوا: يا هذا، قد -والله- يَئِسْنَا منه، ولا نشكُّ في أنَّه قد هَلَكَ، والمأتم قد أقيم عليه في منزل أبيه وعمومته. وانصرف الخادمُ، وجئتُ إلى القاسِمِ بالخبر.

فَلَمّا كانَ من غَدٍ[٢]، رَكِبَ القاسِمُ إلى المعتضِد، فحين رآهُ استدعاه[٣] وسارَّه، **وقال له**: يا قاسم بحياتي أطلق الهاشميَّ المتزامِنَ وأحسِنْ إليهِ، وأنت آمِنٌ بعدها أن أنصب عليكَ صاحبَ خبرٍ، ووالله لَئِن حَدَثَ به حادِثَةٌ، لا عاقبتُ[٤] في دَمِهِ غَيرَك.

فَقبَّل الأرضَ، وتخلَّج[٥] وانصَرف، فعاد إلى داره، فحَمِدَ الله إذ لم يُعجِّل قتله، وأخبرنا الخبر، وجاء بالهاشميِّ فَخَلَع عليه، ووَصَلَه بمالٍ له قدرٌ، وصَرفَه.

وانقطعت أخبارُه عن المعتضد[٦].

---

(١) في (ظ، ل): (وعدت إلى الموضع في اليوم الثالث عشيًا).

(٢) في (ظ، ل): (الغد).

(٣) في (ظ، ل): (استدناه).

(٤) في (ل، ك): (لا عرفتُ).

(٥) في (ل، ظ): (ولجلج). **واللَّجْلجةُ**: ثِقَلُ اللِّسانِ، ونَقْصُ الكلامِ، وأن لا يَخْرُجَ بَعْضَهُ في أثر بَعضٍ. ينظر: «لسان العرب» (ل ج ج: ٢/ ٣٥٥).
والتَخَلُّجُ: التحرك والاضطراب. يُنظر: «لسان العرب» (خ ل ج: ٢/ ٢٥٨).

(٦) ذكر المؤلِّف هذه القصة في «نشوار المحاضرة» (٣/ ٢٧٦)، بسردٍ مختلف قليلًا.

[٥: ١٦] [سليمانُ بنُ وَهْبٍ وابنُ الزيَّاتِ وابناهما]

حدَّثني أبو القاسِم عَليُّ بن شيران[١] المُتَكَلِّم القاضي[٢] من أهل عسكَرِ مُكْرَم[٣]، بها، **قال:** أخبرني أبو الحُسَين الخصيبي، ابن بنت ابن المُدبَّر، ببغداد، **قال: قال لي أبو عبد الله محمَّدُ بن داوُدَ بنِ الجرَّاح:** [ظ/٨٢]

جلس عُبَيدُ الله بنُ سُلَيمانَ بنِ وَهْبٍ يومًا للمظالم في دار المعتَضِد، وهو وزيرٌ، فتقدَّم إليه عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ عبد الملكِ الزَّيَّات[٤]، يتظلَّم من أحمدَ بنِ إسرائيل بِسَبَب الضَّيعَةِ المعروفة ببناصفت[٥].

[ض/٦٦] فنظر في أَمرِه **وقال له:** أنتَ عمرُ بن محمَّدٍ؟

فقال: نعم.

---

(١) في (ك): (شهران)، وفي (ظ، ل): (شيراز)، ولسيت في باقي النسخ. وهو علي بن شيران بن سهل، روى عنه المؤلف قصة أخرى في الباب الحادي عشر (٤/ ٢٧٣).

(٢) في (ك، والمطبوع): (القاص)، وهو تصحيف. ينظر الباب الحادي عشر (٤/ ٢٧٣).

(٣) **عَسْكَرُ مُكْرَم**: بلد مشهور من نواحي خوزستان، منسوب إلى مُكرَم بن معزاء الحارث. ينظر: «معجم البلدان» (٤/ ١٢٣).

(٤) عُمَر بن محمَّد بن عبد الملك بن أبان، الكاتب، المعروف بابن الزيات، حدث عن علي بن محمَّد النوفلي، وأبي زيد عمر بن شبة النميري، روى عنه محمَّد بن عَبْد الملك التاريخي. ينظر: «تاريخ بغداد» (١٣/ ٥٨).

(٥) كذا (ض، ك)، وفي (ظ): (ساصيت)، وفي (ل): (ببناصت). ولم نقف على اللفظ الصحيح في المصادر، ففي «التذكرة الحمدونية»: (بتناضب).

قال: وأينَ كنتَ؟

فَقَصَّ عليه أمره وخبره، **وقال له:** أنت ابن سَكران[1]؟ **فقال:** نعم.

فلمَّا كانَ عَشيٌّ[2] يومنا ذلك خلا، وكنتُ أنا وابناه بين يديهِ، فتحدث واستروح بذلك، **ثمَّ قال لنا:** سُبحانَ الله، ما أعجبَ ما كنتُ فيهِ اليوم!

فلم نسأله عن ذلك؛ إجلالًا له، **فقال:** قال لي أبو أيُّوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: إنَّه كانَ في أيَّام الواثق بالله، في ذلك البَلاء[4] والضَّرب[5] والقيدِ، وإنَّهُ حُمِلَ إلى محمَّد بن عبد الملك الزيَّاتِ ليُناظِرَه ويُرَدَّ إلى محبَسِه.

فَوضع بَين يَدَيهِ على تلكَ الحال، فجعل يُناظِره، والحسنُ بنُ وَهْبٍ، كاتبه حينَئِذٍ، وهو بين يديه، فربَّما تكلَّم بالكلمةِ يرقِّقُه عليه، ورُبما أمسكَ، ومحمَّد[6] دائبٌ في الغِلْظة على أبي أيُّوب، والتشفي منه؛ إذ مرَّ بعضُ خَدَمِ محمَّد ومعه صبيٌّ يحملهُ، وقد خُضِب[7]، وعليهِ لَبُوسٌ[8] مثلِه من أولاد المُلوك.

---

(١) في (ظ، ل، ف): (الزيات). وسكران اسم أمِّه، وذكر أبو الفرج الأصفهاني أنَّ اسمَها سكرانة. ينظر: «الأغاني» (٢٣/ ٥٨)، و«التذكرة الحمدونية» (٩/ ٣٠٠)، و«إعتاب الكتاب» (ص: ١٤٢).

(٢) في (ظ، ل): (عشية).

(٣) أبو أيوب، سليمان بن وهب، والد عبيد الله صاحب القصة. سبقت ترجمته (١/ ٢٥٥)، وانظر محنته مع ابن الزيات (١/ ٢٦٨).

(٤) في (ظ، ل): (في تلك الملازمة).

(٥) في (ك): (والصوف).

(٦) هو محمَّد بن عبد الملك الزَّيَّات، وقد سبقت ترجمته (١/ ٢٥٥).

(٧) في (ظ، ل): (مزين مخضوب).

(٨) **اللَّبُوسُ**: ما يُلْبَسُ. ينظر: «مختار الصحاح» (ل ب س).

فلما رآه محمَّد صاحَ بالخادم: هاتِه. فقرَّبه منه، فَقبَّله، وترشَّفه، وضمَّه إليه، وجعل يلاعبه، وحانت مِنهُ التفاتةٌ إلى أبي أيوب، فإذا دمعتُه قد سبقته، وهو يمسح عينيه بالجُبَّةِ الصُّوفِ الَّتي كانت عليه.

فقال له محمَّد: ما الَّذي أبكاك؟

قال: خيرًا، أصلحك الله.

قال: والله لا تَبرَحُ، أو تُخبرُني بالأمر على حَقِّه[١].

فلمَّا رأى ذلك أبو عليٍّ الحسنُ بنُ وهبٍ، **قال له:** أنا أصدُقُك، إنَّه لما رأى[٢] عُمَرَ -أمتعك الله ببقائه، وجَعَلنا جميعًا فداه- ذَكَرَ ابنًا له في مثل سِنِّه.

فقال: وما اسمه؟ **قال:** عبيد الله.

قال: وكانا وُلِدَا في شهرٍ واحدٍ[٣].

فالتَفتَ إليه محمَّدٌ كالهازِئ به، **ثمَّ قال:** أتُراه يُقَدِّرُ أن يكونَ ابنُه هذا وزيرًا؟

قال أبو علي الحسن: فلمَّا أمر بحمله إلى محبَسِه التفت إليَّ، **وقال:** لو لا أن هذا من أُمور السُّلطان الَّذي لا سَبيلَ إلى التَّقصير فيها، ما سُؤْتُكَ فيه، ولو أعانني على نفسه لخلَّصتُه.

---

(١) في (ظ، ل): (حقيقته).

(٢) في (ض) زيادة (أبا محمَّد)، وفي (ك): (أبو محمَّد)، وليست في (ظ، ل).

(٣) (قال: وكانا ولدا في شهرٍ واحدٍ) ليس في (ظ، ل).

فقال له أبو علي[1]: والله، ما رأيتُه مُنذُ حبس، فإن رأيتَ أن تأمرَ بالعدول به إلى بعض المجالِس، والإذنَ لي في القيام إليهِ، والخلوةِ به؛ لأُشيرَ عليه بامتثال أمركِ.

قال: فأمر بذلك[2]؛ فقمت إلى أبي أيُّوبَ[3]، وتعانقنا، وبكينا[4].

فقال لي قبل كل شَيء: رأيتَ أعجبَ من بغيه عليَّ، ومن قوله بالتَّطَانُزِ[5] والهُزْء: «أتراه يقدِّرُ أن يكون ابنُه هذا وزيرًا»؟ فكيف يأمَنُ أن يكون هذا، وأن يجلس ابني وزيرًا[6]؟ ووالله إنِّي لأرجو أن يبلِّغَه الله تعالى الوزارةَ، ويتقدَّمَ إليه عمرُ هذا مُتَظَلِّمًا.

فلمَّا كانَ في يومنا هذا، تقدَّم إلَيَّ عمرُ متظلِّمًا، وما كنتُ رأيتُه قبل ذلك، ولا عرفتُ له خبرًا[7].

❁ ووقع إليَّ هذا الخبرُ من وجهٍ آخر[8]:

---

(١) في (ظ، ل): (فقال له الحسن).

(٢) في (ظ، ل): (فقال: أفعل).

(٣) هو سليمان بن وهب، والد عبيد الله صاحب القصة. سبقت ترجمته (١/ ٢٥٥).

(٤) في (ظ، ل) زيادة: (طويلًا).

(٥) **التطانُزُ**: تفاعُل؛ من الطَّنْزِ، وهو السخرية. ينظر: «لسان العرب» (ط ن ز: ٥/ ٣٦٩)، و«تكملة المعاجم العربية من الألفاظ العباسية» (ص: ١٨).
وفي (ف): (بالبطر)، وفي (ل): (النظر)، ولعله تصحيف (الطَّنْز).

(٦) (وأن يجلس ابني وزيرًا) ليس في (ظ، ل).

(٧) ينظر: «التذكرة الحمدونية» (٩/ ٣٠٠)، و«إعتاب الكتاب» (ص: ١٤٢).

(٨) في (ظ): (وفي خبر آخر)، وفي (ل): (وفي رواية أخرى).

فَحَدثني أبو الحسن أحمدُ بنُ يوسفَ بن يَعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ البهلولِ التنوخيُّ، **قال:** أخبرنا أبو الحسن عَليُّ بن الفَتح الكاتب المعروف بالمطوَّق[١] مناولةً من كتابه كتاب «مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم»، **قال:** حدَّثني أبو عبد الله الحُسَين بن عبد الله بن عمر بن حَفص الكاتِب، **عن** أبيه أبي القاسِم عبد الله، أو عن أبي القاسِم مَيمون بن إبراهيم بن يزيد -الشَّك من المطوَّق- **قال:**

كُنَّا في مجلِس أبي القاسِم عبيدِ الله بنِ سُلَيمانَ، وهو وزيرٌ، في يومٍ من أيَّام جُلوسه للمظالم، إذ وقَعت في يدِهِ قصَّةٌ فقرأها، وتوقَّف ساعَةً كالمفكِّرِ، **ثمَّ قال:** عمر بن محمَّد بن عبد الملك. فأُدخِلَ إليه.

فقال له: أنتَ عمرُ؟

قال: نعم، أعزَّ الله الوزيرَ، أنا عمرُ بن محمَّدِ بنِ عبد الملك.

قال: فتوقَّف أيضًا ساعَةً، ثمَّ قامَ إلى خلوةٍ له، ولم يُطل، وعادَ إلى مَوضِعِه، فَوقَّع لعمرَ بجائزةٍ، ونُزُلٍ، وصلَةٍ، وبرٍّ[٢]، ولم يزل مفكِّرًا، إلى أن تقوَّضَ النَّاسُ[٣]، وخلا المجلسُ ممَّن يُحتَشَمُ[٤].

---

(١) البغدادي، له كتاب «الوزراء» وصل به كتابَ محمَّد بن داود بن الجراح، وعَمِلَه إلى أيَّام أبي القاسم الكلوذاني، وذَكَرَ التنوخيُّ في (٢/ ١٧٦) أنه توفي بعد (٣٢٠هـ). ينظر: «الفهرست» للنديم (ص: ١٦٢)، و«تاريخ دمشق» (٤٣/ ١٣١).

(٢) قوله: (ثمَّ قامَ إلى خلوةٍ له،... وصلَةٍ، وبرٍّ) في (ظ، ل): (ثم قال: ادفعوا إليه كذا وكذا من المال صلة وبرًّا).

(٣) أي: تفرَّقوا. ينظر: «لسان العرب» (ق و ض: ٧/ ٢٢٤).

(٤) **الحِشمَةُ**: الحياءُ والانقباض، وقد **احْتَشَمَ عنه ومنه**، وفي «أساس البلاغة» (١/ ١٩١): «أنا أَحْتَشِمُكَ، وأَحْتَشِمُ منك؛ أي: أستحي». وقال في «المحكم» (٣/ ١١٨): «ولا يقال: احتشمه».

فقال لنا: قد وقفتم على خبر هذا الرجل؟

فقُلنا له: قد وقفنا على ما كانَ من الوزير أعزَّه الله في أمره[١]، ولم نَقِفْ على السَّبَبِ.

فقال: أُحدِّثُكم[٢] بحَديثه، فإنَّه ظريفٌ: حدَّثني أبو أيُّوب[٣]، **قال:** كنت في يَدي محمَّدِ بن عبد الملك الزيات يطالبني، وأنا منكوبٌ، وكانَ يحضرني في كلِّ يَومٍ بغير سَبَبٍ، ولا مُطالبَةٍ، إلَّا ليَكِيدَني بحاله[٤]، وأنا في قيودي، وعليَّ جُبَّةُ صوفٍ. وكانَ أخي الحسن[٥] يكتب بين يَدَيهِ، ولم يكن يتهيَّأُ له في أمري شَيءٌ، إلَّا أنَّه كانَ إذا رآني مُقبلًا استقبلني، وإذا رجعتُ إلى موضعي شيَّعني؛ إذ أقبل في يومٍ من الأيَّام خادِمٌ لمحمَّدٍ ومعهُ ابنٌ له صَغيرٌ، فَوثَبَ كلُّ مَن في المجلس إلى الصَّبيِّ، يُقَبِّلونه، ويدعونَ له، سوايَ، فإنِّي كنتُ مَشغولًا بنفسي، فلم أتحرَّك، فأخذ الصَّبيَّ فضمَّه إليه، **وقال لي:** يا سُلَيمان، لِمَ لَمْ تفعل بهذا الصَّبيِّ كما فعله [ظ/٨٣] به كلُّ مَن في المجلس؟

قلت: شَغَلَني عن ذلك ما أنا فيه.

قال: لا، ولَكِنَّك لم تُطِق ذلك عَداوةً لأبيهِ وله، وكأنِّي بك، وقد ذكرتَ عبيدَ الله، وأمَّلتَ فيه الآمالَ، ووالله لا رأيتَ شيئًا ممَّا تؤمِّلُه فيه.

---

(١) في (ظ، ل): (من أمر الوزير وبره).

(٢) في (ظ، ل): (أخبركم).

(٣) أي: أبوه سليمان بن وهب، والد عبيد الله صاحب القصة. سبقت ترجمته (١/ ٢٥٥).

(٤) (بحاله) ليست في (ظ، ل).

(٥) هو الحسن بن وهب، عم عبيد الله صاحب القصة. سبقت ترجمته (١/ ٢٥٥).

وأسرفَ بعد ذلك في الإسماع؛ فَعَلِمتُ[1] أنه قد بغى، ووثقتُ من الله عَزَّوَجَلَّ بجميلِ عادَته[2]، وأنَّه سَيُبَلِّغُني ما أُؤَمِّله فيك عنادًا لبَغيِه.

قال: ولم تمضِ إلا مُدَّةٌ يسيرَةٌ حتَّى سَخِطَ المتوكِّلُ على محمَّد بن عبد الملك، وقلَّدني مُناظَرَته، وإحصاءَ مَتاعه[3]، فوافيتُ دارَه، فرأيت ذلك الخادِمَ بعينه، ومعه ذاك الصَّبي يبكي.

فقلت: ما خبر هذا الصَّبي[4]؟

قال: قد مُنِعَ من كلِّ ماله، وأُدخِلَ في الإحصاء.

فقلت: لا بأسَ عليه. ودخلتُ فسلَّمت إليه كلَّ ما كانَ باسمه.

فَيَنبَغي، يا بني، إن تهيَّأَتْ لك حالٌ، ورأيتَ الصَّبيَّ -وهو عمرُ بن محمَّد بن عبد الملك- أن تُحسن إليه، وتقابِلَ نِعْمَةَ الله عَزَّوَجَلَّ فيك وفيه بما يَجِبُ لها.

فَلَمَّا رأيتُه في هذا الوقت تذكَّرتُ ما قاله أبو أيوب[5]، فامتثلتُ ما قاله وأشارَ به، وأنا أتقدَّم بعد الَّذي فعلتُه به إلى أبي الحُسَينِ[6] بتصريفه.

---

(١) في (ظ، ل): (فقلت).

(٢) (من الله عَزَّوَجَلَّ بجميلِ عادَته) في (ظ، ل): (بجميل عادة الله تعالى).

(٣) في (ظ): (أمواله).

(٤) في (ك) زيادة: (يبكي).

(٥) في (ظ، ل): (ذكرت ما قاله أبي).

(٦) يعني ابنَه أبا الحسين، القاسم بن عبيد الله، سبقت ترجمته (٢/ ١٢).

وكانَت لعُمَرَ حَرَكَةٌ[1] قَوِيَتْ بها حالُه عند أبي الحُسَينِ، إلى أن استَخلَفَهُ في دارِ أبي النَّجمِ بدر[2] بين يَدَيه[3].

❁ **حدَّثني أبو الحُسَين عليُّ بن هِشام بن عبد الله الكاتِب، قال:** حدَّثني أبو عليِّ بنِ مُقلَةَ، **قال:** حدَّثني محمَّدُ بنُ سعيدٍ الدِّينارِيِّ[4].

قال أبو الحُسَين: وحدَّثني أبو عبد الله زَنْجِيٌّ، **قال:** حدَّثني أبو العَبَّاس ابنُ الفُراتِ[5].

قال: وحدَّثَنِيه أبو عبد الله الباقَطَائيُّ.

قالوا كلُّهم[6]: كُنّا بِحَضرَة عبيدِ الله بن سُلَيمان أوَّلَ وزارته للمعتضد، وقد حضرَ رجلٌ رثُّ الهَيئَة، شابٌّ غليظُ الجُثَّةِ[7]، فَعَرَضَ عليه رُقعةً، وهو ينظر

---

(١) في (ر): (حِفْظَة). **والحِفْظة:** الحَمِيَّةُ والغَضَبُ لحُرْمَةٍ تُنتَهَكُ من حُرُمَاتِكَ، أو جَارٍ ذي قَرَابَةٍ يُظْلَمُ من ذَوِيكَ، أو عَهْدٍ يُنْكَثُ. ينظر: «تاج العروس» (ح ف ظ: ٢٠/ ٢١٩).

(٢) هو بدر أبو النجم، المعروف بالحمامي. سبقت ترجمته (٢/ ٧).

(٣) في (ض): (يدور بين يَدَيهِ)، والمثبت من (ر).

(٤) هو محمَّد بن سعيد الديناري، أبو عيسى الكاتب، ذُكر في «تحفة الأمراء» (ص: ١٣).

(٥) هو أحمد بن محمَّد بن موسى بن الحسن بن الفرات، أبو العباس الكاتب، أخو الوزير علي، كان أكتب أهل زمانه وأقومهم للآداب والفضائل والفقه، بل مدحه البحتري الشاعر، (ت: ٢٩١هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٦/ ٨٨٩).

(٦) من أول السند إلى هنا في: (ظ، ل): (وروى الباقطاني قال)، وفي (ر): (ووقع إلي هذا الخبر من وجهٍ آخرَ على خلاف ذلك، حدثني به جماعة من الكتاب قالوا كلهم).

(٧) (شابٌّ غليظُ الجُثَّةِ) في (ل، ك): (بثياب غلاظ).

في المظالِم، فقَرَأَها متثاقِلًا بها[1]، مُفكِّرًا مُتعَجِّبًا، **ثمَّ قال:** «نعم، وكرامةً»، ثلاث مَرّات، «أفعلُ ما قال أبي، لا ما قال أبوك»، يُكَرِّر القَول ثلاثَ مَرَّاتٍ.

ثمَّ قال له: عُدْ إليَّ عند العَصر؛ لأنظرَ في أمرك. **وقال لحاجِبه:** إذا حَضَرَ فأدخله[2] إليَّ.

فلما خلونا قال: ألا أُحَدِّثُكم بِحَديثٍ عجيبٍ. حدَّثني أبي، قال: كنت في مَحْبِسِ محمَّد بن عبد الملك، في أَيَّام الواثِق، لمصادرتي[3] عن كتابة إيتاخَ على أربعِ مئَةِ ألفِ دينارٍ[4]، وقد أدَّيت ثُلُثَها[5] فاستَحضَرَني يَومًا، فطالبني بالباقي، وجدَّ بي، وأَرْهَقَني، ولم يرضَ منِّي إلى أن أجبتُ إلى أن أُؤَدِّيَ خمسين ألفَ دينارٍ قاطِعَةٍ للمُصادرة، على أن يُطلِقَ ضِيَاعي.

قال: ونحن في ذلك، ولم يأخُذ خطِّي بعدُ بها؛ إذ خرج إليه خادِمٌ من دارِ الحُرَمِ برقعةٍ، فقرأَها، ونَهَضَ -وكانَ بِحَضرَتِهِ أخي أبو علي الحَسَن بن وهبٍ، وهو غالبٌ على أمره، إلَّا أنَّه يخافه أن يتكلَّم في أمري[6]- فلمَّا قامَ الوزيرُ **رمى إليَّ أخي برقعةٍ،** فَوقَعت في حِجْرِي، **فإذا فيها:** جاءَني الخَبَرُ من داركَ أن قد رُزِقتَ ابنًا، خَلْقًا سوِيًّا، وهو جسمٌ بلا اسمٍ، فما تحبُّ أن تسمِّيَه[7]؟

---

(١) (متثاقِلًا بها) في (ر): (قراءةَ متناقلٍ لها)، وفي المطبوع: (قراءة متأمل لها).

(٢) في (ك): (وقال لبدر العدامي حاجِبه: إذا حضر فأوصله).

(٣) في (ل): (لما صادرني).

(٤) كان سليمان بن وهب كاتبًا لإيتاخ بن عبد الله التركي، وعندما أمر المتوكِّل بقتل إيتاخ، حَبَسَ كاتِبَه سليمان بن وهب. ينظر: «مرآة الزمان» (١٥/ ١١).

(٥) في (ل): (ثلثيها)، وفي (ك): (مِنها مِئَتي ألفٍ ونيِّفًا وأربَعين ألفًا).

(٦) في (ل) زيادة: (وهو يرى ما يجري عليَّ ولا يقدر أن يتكلم في أمري).

(٧) في (ك): (يسمى ويكنى).

فقلت: عبيدُ الله، أبو القاسِم. فَكتبَ بذلك في الحال إلى منزلي.

قال: فوجدتُ بذلك سرورًا قَوِيَتْ به نفسي[1]، وحدَّثتُ نفسي بأنك ستعيشُ، وتبلُغُ، وأَنتَفِعُ بك.

قال: وعاد محمَّدٌ إلى مَجلِسه، فأعاد خطابي، فلم أستَجِب له إلى ما كنتُ أجبت إلَيهِ، وأخذت أُدافِعُ.

فقال لي: يا أبا أيُّوب، ما وَرَدَ عليك؟ أرى عَينَيكَ ووجهك بِخِلاف ما فارقتك منذ ساعَة.

فقلت: ما وردَ عليَّ شيءٌ.

فقال: والله، لَئِن لم تصدُقْني لأفعَلَنَّ بك، ولأصنعنَّ.

فقلتُ: ما عندي ما أصدق عنه. **فأقبل عَلَى أخي، فقال:** أَخبِرْني بشأنه. فخافَه أخي، فَصَدَقَهُ[2] عَن الصُّورَة.

فسَكَنَ، ثمَّ قال: أتعرف لأيِّ شَيءٍ قُمت أنا؟

قلت[3]: لا.

قال: كوتبت بأن ولدًا ذكرًا سويًا قد ولد لي، فدخلتُ، ورأيتُه، وسمَّيتُه باسم أبي، وكنَّيتُه بأبي مروانَ.

---

(١) في (ك): (وتداخلني سرورٌ بذلك، وقوَّةُ نفسٍ).

(٢) قوله: (فأقبل على أخي، فقال: أَخبِرْني بشأنه. فخافَه أخي، فَصَدَقَهُ) في: (ظ): (فصدقته).

(٣) في (ل): (قال).

قال سُلَيمان: فَقُمت إليه، وهنَّأتُه، وقبَّلتُ يَدَيهِ، **وقلت:** أَيُّها الوزير، هذا يومٌ مبارك، وقد رزقنا الله جميعًا ولدين، فارحمني، وارْعَ لي سالِفَ خدمتي لك، واجعَل ابْنِي موسومًا بِخِدمَة ابنك، يُسَلِّمُ معه في المكتب، ويتَعَلَّم معه، وينشأان[1] في دولتك، فيكون كاتبًا له، فَحَمَلَتْه الكزازةُ[2] والقَسْوةُ التي فيهِ، **أن قال:** يا أبا أيُّوب، أعليَّ تجوزُ[3]، ولي تَسْتَفِزُّ وتُخاتِل[4]؟ قد حَدَّثَتْكَ نفسُك أنَّ ابنَك هذا سيبلغ المبالغَ، ويُؤَهَّلُ للوزارة، ورجوتَ من نَوائِب الزَّمانِ، وقلت: [ظ/٨٤] أرجو أن يحتاجَ ابنُه إلى ابني، حتَّى يطلبَ منهُ الإحسانَ والفضل. وأنا أَسْتَحْلِفُك بالله، وأُحَرِّجُ عَلَيكَ، إن بلغَ ابنُك هذه المنزلَة، وجاءه ابني يسأله الإحسانَ إليه[5] أن لا يُحسِنَ إليه.

قال: فأعظمتُ هذا الخطابَ، وتفاءلت، واعتذرت[6]، ووقع في الحال بقلبي أنَّ هذا غايَةُ البَغيِ، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيُحوِجُ ابنَه إلى ابْنِي ويحقِّقُ ما قاله. فما مَضَت إلَّا مُدَيدَةٌ حتَّى فرَّج الله عنِّي.

---

(١) رسمت في (ظ): (يَنْشَوَان)، وفي (ل): (ينشوا معه)، والمثبت من (ر). **ونَشَا يَنْشُو لُغَةٌ** في نشأَ ينشأُ، حكاها قطرب. ينظر: «المحكم» (٨/ ٩١)، و«لسان العرب» (ن ش ا: ١٥/ ٣٢٦).

(٢) **الكَزَازَةُ:** الانْقِباضُ واليُبْسُ. ينظر: «مختار الصحاح» (ك ز ز).

(٣) **جازَ:** وَجَدَ مَسْلَكًا مضى فيهِ، ومنه الجوازُ في الطَّرِيق. ينظر: «الفروق اللغوية» (م ر ر: ١٤/ ١٠١).

(٤) **استفزَّ فلانٌ فلانًا:** استخفَّه. **وخاتله:** خدعه. ينظر: «التقفية في اللغة» (ص: ٤٣٦)، و«مختار الصحاح» (خ ت ل).

(٥) (وجاءه ابني يسأله الإحسانَ إليه)، في (ك): (إلَّا وصيتَه، إن جاءَهُ ابني لشَيء من هَذا).

(٦) في (ك): (وتنصلت واعتذرت).

ثمَّ قال لي: يا بُنَي، إنْ رفعك الزَّمانُ، ووضعَ ابنَه، حَتَّى يحتاج إليك، فأَحسِنْ إليهِ.

قال: وضربَ الدَّهرُ من ضَربِه، فما عرفتُ لأبي مروانَ خبرًا، حتَّى رأيتُه اليَوم، فكانَ ما شاهدتم.

ثمَّ أمر بِطَلَب أبي مَروانَ، فأُحضِرَ، فوَهَبَ له مالًا، وخلع عليه، وحمَّلَه، وقلَّده ديوان البَريد والخرائطِ. **قال أبو الحسين**[1]: فما زالَ يتقلَّده منذ ذلك الوقت إلى آخر وزارة ابن الفُرات الثَّالِثَة، فإنَّهُ ماتَ فيها، وقد تقلَّده ثَلاثينَ سنة[2].

وكانَ يكتبُ إلى عبيد الله أوَّلَ ما كاتبه، بعد تَقليده هذا الدِّيوان: «عبدُ الوزير وخادِمُه عبد الملك بن محمَّد»، فتكرَّم عليه عبيدُ الله، **وقال**: أنت ابن وزيرٍ، ما أحبُّ أن تتعبَّدَ لي، اكتُب اسمَكَ فقط على الكتب.

فقال: لا تسمحُ نَفسي بهذا، ولكن أكتبُ: «عبد الملك بن محمَّد، عبد الوزير وخادمه[3]».

فقال: افْعَل، فكتب بذلك، وصارَت عادَةً له يكتُبُ بها إلى جميعِ الوزراءِ من بعده، إلى أن ماتَ في وزارة ابنِ الفُرات الثَّالِثَة، فَصارَ كالمترتِّبِ عليهم بما عامله به عبيدُ الله، وغلب عليه أن عُرِفَ بأبي مَروانَ الخرائطيِّ، ونسِيَ نسبُه

---

(١) وهو علي بن هشام الذي يروي عنه التنوخي هذه القصة.

(٢) توفي في جمادى الأولى سنة (٣١١هـ) وعمره سبع وثمانون سنة. ينظر: «تحفة الأمراء» (ص: ١٧٨)، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (١٦/ ٧٤).

(٣) (عبد الوزير وخادمه) في (ل): (خادم الوزير).

إلى ابن الزيَّات إلَّا مَن كانَ يعرفهُ من الكتَّاب وغيرهم أخبرني بذلك جماعَة من الشُّيوخ(١).

(١) من قوله: (حدَّثني أبو الحُسَين عليُّ بن هِشام بن عبد الله الكاتِب... جماعَة من الشُّيوخ) ليس في (ض).

[٥: ١٧] [أعرابيٌّ في سجن ابنِ زيادٍ يفرِّجُ اللَّه عنه، ويهربُ ابنُ زيادٍ]

[ص/ ٦٧] **وجدت في بعض الكتب، بِغَير إسنادٍ**[١]: أنَّ عُبيدَ الله بنَ زياد، لما بنى داره البَيضاءَ بالبَصرَةِ، بعد قتل الحُسَين بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، صوَّر على بابها رُؤوسًا مقطَّعَة، وصوَّر في دهليزها أسدًا، وكلبًا، وكبشًا، وقال: «أسدٌ كالِحٌ، وكبشٌ ناطِحٌ، وكلبٌ نابحٌ».

فَمرَّ بالبابِ أعرابيٌّ، فرأى ذلك، فقال: أما إنَّ صاحبَها لا يسكنُها إلا ليلَةً لا تتمُّ. فَرُفع الخَبَرُ إلى ابن زيادٍ، فأمر بالأعرابيِّ أن يُضرَبَ، ويُحبس.

فما أمسَى حتَّى قدم رَسولُ ابنِ الزُّبَير إلى قيسِ بنِ السَّكن[٢]، ووجوهِ أهل البَصرَةِ في أخذ البيعَة له، ودعا[٣] النَّاس إلى طاعَته، فأجابوهُ، وراسلَ بعضُهم بعضًا في الوُثوب عليه من ليلتهم، وأنذره قومٌ منهم كانَت له عندهم صنائعُ[٤]، فهربَ من داره في ليلته تلكَ، واستجار بالأزْدِ، فأجاروه، ووقعت الحَربُ المَشهورَة بينهم وبين بني تَميمٍ بِسَبَبِهِ، حتَّى أخرجوهُ، فألحقوه بالشَّام.

---

(١) (بغير إسناد) ليس في (ظ، ل).

(٢) في (ظ، ل، ص، ف): (السكون). **ولعلَّه** قيس بن السكن الأسدي الكوفي، روى عن علي، وابن مسعود، وأبي ذر، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وتوفي بالكوفة في زمن مصعب بن الزبير بن العوام، وكان ثقةً له أحاديث. ينظر: «الطبقات الكبرى» (٦/ ١٧٦)، و«الثقات» لابن حبان (٥/ ٣٠٩).

(٣) في (ل): (ودعاء).

(٤) في (ظ، ل): (فأنذره كاتب له كان عندهم).

وكُسِرَ(١) الحَبسُ، فَخَرَج الأعرابيُّ، ولم يَعُدْ ابنُ زيادٍ إلى داره، إلى أن قتل في وقعَة الخازِر(٢).

(١) في (ظ، ل): (وكُبِسَ).

(٢) وفي (ل): (الحرب). وفي (ظ): (الحرث). **والخازِر**: نهر بين إربل والموصل، ثم بين الزاب الأعلى والموصل، وعليه كورة يقال لها نخلًا، وهو موضعٌ كانت عنده وقعةٌ بين عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن مالك الأشتر النخعي في أيَّام المختار، ويومئذٍ قُتِل ابنُ زيادٍ الفاسقُ، وذلك سنة (٦٦هـ). ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٣٣٧). والقصة وردت في «جمهرة الأمثال» (١/ ٣٦١)، و«الهفوات النادرة» (ص: ٢٢)، و«التذكرة الحمدونية» (٨/ ٣٢)، و«مرآة الزمان» (٨/ ٤١٦).

[٥: ١٨] [العبَّاسُ بنُ عمرٍو الغَنَوِيُّ ينجو من أبي سعيدٍ القِرمِطيِّ]

حدَّثني القاضي أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ عبد الواحِد الهاشِميُّ، **قال**: سَمِعت **العَبَّاسَ بنَ عَمرٍو الغَنَويَّ**(١)، يقول:

لمَّا أَسَرَني أبو سعيدٍ الجَنَّابي القِرْمِطيُّ(٢)، فكسرَ العَسْكَرَ الَّذي كانَ أنفذه معي المعتضدُ لقتاله، وحصلتُ في يَدِه أسيرًا، أَيِسْتُ من الحياة؛ فإنِّي يومًا على تلكَ الصُّورَة، إذ جاءَني رسولُه، فأخذ قيودي، وغيَّر ثيابي، وأدخلني إليهِ، فسلَّمت عليه، وجَلَستُ.

فقال لي: أتدري لما استدعيتك؟

قلتُ: لا.

قال: أنت رجلٌ عَرَبيٌّ، ومن المحال أن أستودِعك أمانةً فتُخفِرَها(٣)، لا سيَّما منِّي، وقد مننتُ عليك بنفسِك(٤).

---

(١) هو العبَّاس بن عمرو الغنوي، ولَّاه المعتضد اليمامة والبحرين سنة (٢٨٧هـ)، وأمره بمحاربة القرامطة، فقاتلوه وكسروه وأسروه، ثم أطلقوه، (ت: ٣٥٠هـ). ينظر: «تجارب الأمم» (٥/ ٩)، و«وفيات الأعيان» (٥/ ٢٦٢).

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن بهرام الجَنَّابي القِرمطي، رأسُ القرامطة، والجَنَّابي نسبة إلى جنَّابة، بلدة بالبحرين، تغلَّب على القطيف وهَجَر، واليمن، جهَّزَ إليه المعتضدُ جيوشًا وهو يهزمها، كان ظهوره سنة (٢٩٦هـ)، قتله غلام سنة (٣٠١هـ). ينظر: «مرآة الزمان» (١٦/ ٤١٨)، و«مسالك الأبصار» (٢٤/ ١٥٥).

(٣) **أخفَرَهُ**: نَقَضَ عَهْدَهُ وَغَدَرَ. ينظر: «المصباح المنير» (خ ف ر).

(٤) في (ظ، ل): (ولا سيما مع مني عليك بنفسك).

فقلت: هو كذلك.

فقال: إنِّي قد فكَّرتُ، فإذا لا طائلَ في قَتلِك، وإذا[1] في نَفسي رسالةٌ إلى المعتضد، لا يجوز أن يُؤَدِّيها غيرُك، فرأيتُ إطلاقَك، وتحميلَك إيَّاها، فإن حَلَفتَ لي أن تُؤَدِّيَها سَيَّرْتُك إلَيهِ. فَحَلَفتُ له.

فقال: تقول للمعتضد: يا هذا لم تَخرِقُ هيبَتَك، وتَقتُلُ رجالَك، وتُطمِعُ أعداءَك في نفسِك، وتُتْعِبُها في طَلَبِي وإنفاذِ الجيوش إليَّ، وإنَّما أنا رجلٌ مُقيمٌ في فلاة[2]، لا زرعَ عندي ولا ضَرْعَ، ولا غلَّةَ ولا بَلَدَ، وقد رضيتُ لنَفسي بخشونة العَيش، والأمنِ على المُهجَةِ، والعزِّ بأطراف الرِّماح، وما اغتصبتُك بَلَدًا كانَ في يدك، ولا أزلتُ سلطانك عن عملٍ جليلٍ.

[ظ/٨٥] ومع هذا، فوالله لو أنفذتَ إليَّ جيشَك كُلَّه، ما جازَ أن تظفرَ بي، ولا تنالني؛ لأنِّي رجلٌ نشأتُ في هذا القَشَفِ[3]، واعتدته[4] أنا ورجالي، ولا مشقَّةَ علينا فيه، ونحن في أوطاننا مع هذا مُستَرِيحون، وأنت تُنفِذُ جيشك من الخُيُوشِ[5]،

---

(١) في (ر): (وإنَّ).

(٢) في (ظ، ل): (بلاد).

(٣) **القَشَفُ**: يُبْسُ العَيْشِ، وقيل: رَثاثةُ الهَيئةِ، وسُوءُ الحالِ، وضِيقُ العَيشِ. ينظر: «لسان العرب» (ق ش ف: ٩/ ٢٨٢).

(٤) في (ظ): (واغتذيته).

(٥) **الخيوش**: جمع خيش، وهو ثيابٌ رِقاقُ النسجِ غلاظُ الخيوط، تتَّخذُ من مشاقةِ الكتَّان ومن أَرْدَئِه، توضع هذه الثياب فوق قبة، وتبلل بالماء لترطيب الجو. ينظر: «أنساب الأشراف» (٤/ ٢٤١)، و«لسان العرب» (خ ي ش: ٦/ ٣٠١).

والثلجِ، والريحانِ، والندِّ[1]، فيجيئون من المسافَة البَعيدَة، والطَّريقِ الشاقِّ[2]، وقد قَتَلَهم السَّفرُ قبل قتالنا، وإنَّما غَرَضُهم أن يُبْلُوا عُذْرًا[3] في مُوَاقَفَتِنا ساعةً[4]، ثمَّ يهربون، وإن حقَّقوا[5] فما لحِقَهُم من وعثاءِ السَّفر وشدَّة الجَهدِ أكبرُ أعواني عليهم، فما هو إلَّا أن أحقِّقَ عليهم حتَّى ينهزموا، وإن استراحوا فأقاموا وكانوا عددًا لا قبلَ لنا بهم، فيهزمونا -لا يقدر جيشُك على أكثرَ من ذلك- فأَنهَزِمُ عنهم مقدار عشرين فرسخًا، أجول في الصَّحراء شهرًا أو شهرين، ثمَّ أكبسهم على غرَّة، فأقتلهم، وإن لم يستوِ لي هذا، وكانوا متحرِّزين؛ فَما يُمكنهُم الطَّواف خَلفي في الصحاري، ثم لا يحملهم البَلَدُ في المُقَامِ، ولا الزَّادُ إن كانوا كثيرين، وإن انصرفَ الجُمهورُ منهم، وبقيَ الأقَلُّ؛ فهم قَتلَى بسيوفي في أوَّل يَومٍ ينصَرف الجَيشُ، ويبقى مَن يتَخَلَّف.

هذا إن سلموا من وَباءِ هذا البَلَدِ، ورداءةِ مائِه وهوائِه الَّذي لا طاقة لهم به؛ لأنهم نشأوا في ضِدِّه، ورُبُّوا في غَيرِه، ولا عادَة لأجسامهم بالصبرِ عليه.

---

(١) **النَّدُّ**: عُودٌ يُتَبَخَّرُ به. ينظر: «المصباح المنير» (ن د د).

(٢) في (ظ، ل): (الشاسع).

(٣) هو في الأصل متعدٍّ إلى مفعولين؛ يقال: أَبْلَيتُ فلانًا عُذرًا؛ إذا بيَّنتَه له بيانًا لا لومَ عليك بعده. ينظر: «مقاييس اللغة» (١/ ٢٩٤)، و«المغرب» (ب ل و).

(٤) **المُواقَفَةُ**: أن تَقِفَ معه ويَقِفَ معك في حَرْبٍ أو خُصومةٍ. ينظر: «تاج العروس» (و ق ف: ٢٤/ ٤٧٥).

(٥) أي: ثبتوا على القتال. ينظر: «لسان العرب» (ح ق ق: ١٠/ ٤٩).

ففكِّرْ في هَذا، وانظُر هل يَفِي تعبُك وتَغرِيرُك بجيشك وعسكرك، وإنفاقُك الأموالَ، وتجهيزُك الرِّجالَ، وتكلُّفُك هذه الأخطارَ، وتحمُّلُك هَذِه المشاقَّ بِطَلَبِي؟ وأنا مع هذا خالي الذَّرْعِ منها[1]، سليمُ النَّفس والأصحابِ من جميعها.

وهَيبَتُك تنخرق في الأطراف وعِند مُلوكها، كلَّما جرى عَلَيك شَيءٌ من هذا، ثمَّ لا تظفَرُ من بلدي بطائلٍ، ولا تَصِلُ منهُ إلى مالٍ ولا إلى حالٍ.

فإن اختَرتَ بعد هذا محاربتي فاستَخِرِ اللهَ تعالى، وأرسل مَن شِئتَ، وإن أمسَكتَ فذاك إليك.

قال: ثمَّ جهَّزَني، وأَنْفَذَني مع عشرَةٍ من أصحابه، فسرت منها إلى الحضرة، فدخلت على المعتضد، فتعجَّب من سلامتي، **وقال:** ما خبرك؟

فقلت: شيءٌ أذكرهُ سرًّا لأمير المُؤمنينَ.

فتشوَّف إليه، وخلا بي، فقَصَصْتُ عليه القِصَّة بأسرها، فرأيته يتمعَّطُ[2] في جِلْدِه[3] غيظًا، حتَّى ظَنَنت أنَّه سيسير بِنَفسِهِ إليه؛ وخرجتُ من بين يَدَيهِ، فما رأيته بعد ذلك ذَكَرَه بحرفٍ[4].

---

(١) **الذَّرْع**: البدن. ينظر: «لسان العرب» (ذ ر ع: ٨/ ٩٥).

(٢) في (ر): (يتمغط). **التَّمَعُّط** في الشَّعر والجِلْد: أن يَسْقُط من داءٍ يَعْرِضُ له. **والمُتَمَعِّطُ والمُتَمَغِّطُ -بالعين والغين-**: المتَغَضِّبُ. ينظر: «المنجد في اللغة» (ص: ١٥٤)، و«النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٣٤٣).

(٣) قوله: (في جلده) زيادة من (ظ، ل).

(٤) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٤/ ١٣٠)، و«تجارب الأمم» (٥/ ١٣)، و«المنتظم» (١٢/ ٣٢١).

[ه: ١٩] [ابنُ أبي قُبَيصَةَ يخرجُ سالمًا من حَبسِ زَوجَةِ ناصرِ الدولةِ]

حدَّثني أبو محمَّد يحيى بن محمَّد بن سُلَيمان بن فَهد الأزديُّ المَوصِليُّ، **قال:** حدَّثني جماعةٌ من ثقات أهل المَوصِل: **أنَّ فاطِمَةَ** بنتَ أحمدَ بنِ عليٍّ الهزاردي[١] الكرديِّ، زَوجَةَ ناصِرِ الدولة[٢]، أمَّ أبي تَغْلِبَ[٣]، **اتَّهمت عاملًا**[٤] كانَ لها -يُقال له: ابن أبي قُبَيصَة، من أهل المَوصِل- بخيانة في مالها، فقبضت عليه، وحبسته في قلعتها، ثمَّ رأَتْ أن تقتُلَه، فكتبت إلى الموكَّل بالقلعةِ بقتله، فوَرَدَ عليه الكتابُ، وكانَ لا يُحسِنُ أن يقرأَ ويكتبَ[٥]، وليسَ عنده مَن يقرأ ويكتبُ إلَّا ابنُ أبي قُبَيصةَ، فَدَفَع الموكَّل به الكتابَ إليه، **وقال:** اقرأ عليَّ. [ض/٦٨]

فَلَمَّا رأى فيهِ الأمرَ بقتله قرأَ الكتابَ بأَسرِه، إلَّا حديثَ القَتلِ، وردَّ الكتاب عَلَيه.

---

(١) في (ظ، ل): (الرهزاديِّ)، وفي «التذكرة الحمدونية» (٨/ ٦٤): (الهزارمردي).

(٢) هو الحسن بن عبد الله التغلبي. سبقت ترجمته (١/ ٢٨١).

(٣) هو أبو تغلب بن الحسن (ناصر الدولة) بن عبد الله التغلبي، الحمداني الغضنفر فضل الله، عدة الدولة، كان بطلًا سائسًا، قبض على أبيه لما تسودنَ، وحبسه في قلعة كواشي، وتملك الموصل، وحارب عضد الدولة، وحارب إخوتَه، ثم قتله دغفل بن الجراح سنة (٣٦٩هـ). ينظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» (٢٦/ ١٤٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٠٦).

(٤) في (ظ، ل): (غلامًا).

(٥) في (ظ): (القراءة ولا يكتب).

وقال ابن أبي قُبَيصة: ففكَّرتُ، وقلتُ: أنا مقتولٌ، ولا آمن أن يَرِدَ كتابٌ آخَرُ في هذا المعنى، ويتَّفِقَ حُضورُ مَن يقرؤه غيري فيُنفِذُ فيَّ الأمرَ، وسبيلي أن أحتالَ عليه[1] بحيلةٍ، فإن تمَّت سَلِمتُ، وإن لم تتمَّ فَلَيسَ يلحقني أكثرُ من القَتل الَّذي أنا حاصِلٌ فيه.

قال: فتأمَّلتُ القلعةَ، وإذا فيها مَوضِعٌ يمكنني أن أطرحَ منه نفسي إلى أسفَلِها؛ إلَّا أنَّ بَينَه وبَين الأرض أكثرُ من ثلاثَةِ آلاف ذِراعٍ، وفيه صَخرٌ لا يجوز أن يَسْلَمَ معه من يَقَعُ عليه.

قال: فلم أجسُرْ، ثمَّ ولَّدَ لي الفِكرُ أن تأمَّلت الثَّلجَ قد سقط عدَّة لَيالٍ، فغطَّى تِلكَ الصخورَ، وصارَ فَوقَها منه أمرٌ عَظيمٌ يجوز إن سَقَطتُ عليه -وكانَ في أجلي تأخيرٌ- لم ينكسر منِّي شيءٌ، وأَسْلَمُ[2]. [ظ/٨٦]

قال: وكنتُ مُقَيَّدًا، فَقُمت لمَّا نام النَّاسُ، وطرحتُ نفسي من الموضع، قائمًا على رِجلَيَّ، فحين حَصَلْتُ في الهواءِ نَدِمتُ، وأقبَلتُ أَسْتَغفِرُ اللهَ تعالى، وأتشهَّد، وأُغْمِضُ عَينِي حتَّى لا أرى كيفَ أموت، وجمعتُ رجليَّ بعضَ الجمعِ؛ لأنِّي كنت سَمِعت قَديمًا أنَّ من اتَّفق له أن يسقطَ قائِمًا من مكانٍ عالٍ، إذا جمع رجلَيهِ، ثمَّ أرسلهما إذا بقي بينه وبين الأرض ذِراعٌ أو أكثرُ قليلًا؛ فإنَّهُ يَسْلَمُ، وتنكسرُ حِدَّةُ السَّقطةِ، ويصير بمَنزِلةِ مَن سقط من ذراعين.

قال: فَفَعَلتُ ذلك، فلمَّا سَقَطتُ إلى الأرض، ذهبَ عليَّ أمري، وزالَ عَقلي، ثمَّ ثاب إليَّ بعد ذلك عقلي، فلم أَجِدْ ما كانَ يَنبَغي أن يلحقَني من ألم السُّقوط

---

(١) ليست في (ظ، ل).

(٢) في (ظ، ل): (أن تنكسر يَدي أو رجلي وأسلم).

من ذلك الموضع شيئًا، فأقبَلتُ أجسُّ أعضائي شيئًا شيئًا، فأجِدُها سالمةً، وقمت وقَعَدتُ، وحرَّكت يَدَيَّ ورِجلَيَّ، فوجدت ذلك سليمًا كُلَّه، فحَمِدتُ الله تعالَى على هذه الحال.

وأخذتُ صَخرَةً، وكان الحديد الَّذي في رجلَيَّ قد صار كالزُّجاج لشدَّة البردِ، **قال**: فضربتُه ضربًا شديدًا، فانكسرَ، وطنَّ الجَبَل حتَّى ظَنَنتُ أن سيَسْمَعَه مَن في القلعة لعِظَمِه، فيَنتَبِهُون عليَّ، فسَلَّم الله عَزَّوَجَلَّ من هذا أيضًا، وقطعتُ تَكَّتِي، فشددتُ[1] بِبَعضِها القَيدَ على ساقي، وقمتُ أمشي في الثَّلج.

فمشيت طويلًا، ثمَّ خفتُ أن يرَوا آثاريَ من غَدٍ في الثَّلج على المَحَجَّة، فيتبعوني، فلا أَفُوتُهم، فعَدَلتُ عن المحجَّة إلى نهرٍ، يُقال له: الخابور[2]، فَلَمَّا صرتُ على شاطِئِه، نزلتُ في الماء إلى ركبتي، وأقبَلتُ أمشي كذلك فَرسَخًا، حتَّى انقَطعَ أَثَري، وخَفِيَ مكان رجلي، ثمَّ خرجتُ لمَّا كادَت أطرافي تسقطُ من البرد، فمشيتُ على شاطئه، ثمَّ عدتُ أمشي فيهِ، ورُبما حصلتُ في مَوضِعٍ لا أقدر على المشي فيه؛ لأنَّهُ يكون جُرفًا، فأسبحُ.

فأقمتُ على ذلك أربعة فراسخ، حتَّى حصلتُ في[3] خِيَمٍ فيها قومٌ، فأنكروني، وهمُّوا بي، فإذا هم أكراد، فقصصتُ عليهم قصَّتي واستَجَرتُ بهم،

---

(١) في (ض): (وسددت).

(٢) **الخابور**: نهرٌ كبيرٌ بين رأس العين والفرات من أرض الجزيرة. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٣٣٤).

(٣) في (ل) زيادة: (موضع فيه).

فرَحِمُوني، ودفَّؤُوني وغطَّوني، وأوقدوا بين يَديَّ نارًا، وأطعموني[1]، وستروني، وانتهى الطَّلبُ من غَدٍ إليهم، فما أعطَوا خبري أحدًا.

فلمَّا انقَطع الطَّلب سيَّروني، فدخلت المَوصِلَ مستَتِرًا، وكانَ ناصِرُ الدولة بِبَغداد إذ ذاك، فانحدرتُ إليه، وأخبَرتُه بخبري كُلِّه، فعَصَمَني من زوجتِه، وأحسن إليَّ، وصرفني[2].

(١) (ودفوني وغطوني، وأوقدوا بَين يَدي نارًا، وأطعموني) ليس في (ظ، ل).

(٢) ينظر: «التذكرة الحمدونية» (٨/ ٦٤).

[٥: ٢٠] [ابنُ الجصَّاص الجوهريُّ ينجو بنفسِه وبعضِ مالِه من حَبسِ المقتدرِ]

حدَّثني أبو عليٍّ بنُ أبي عبدِ الله الحُسَينِ بنِ عبد الله المعروفُ بابن الجَصَّاص الجَوهَريِّ(١)، **قال**: سَمِعت أبي(٢) يحدِّث، **قال**:

لمَّا نَكَبَني المقتدرُ، وأخذ منِّي تلكَ الأموالَ العَظيمة، أصبَحتُ يومًا في الحبس آيَسَ ما كنتُ من الفرجِ؛ فأتاني خادِمٌ، **فقال**: البُشرَى.

فقلت: ما الخبر؟

فقال: قُم، فقد أُطْلِقتَ.

فَقُمت معه فأجازني في بعض دور الخليفة(٣)، يُريد إخراجي إلى

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن عبد الله، روى عنه التنوخي أيضًا في «نشوار المحاضرة» (٢/ ٣١٢)، وحكى أنَّه اجتمع فيه ببغداد سنة نيف وخمسين وثلاث مئة، قال: فرأيتُ شيخًا طيِّبًا، حسنَ المحاضرة، فسألتُه عن الحكايات التي تنسب إلى أبيه. ينظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١٣/ ٢٦٧).

(٢) هو أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن الجصاص البغدادي، التاجر الصفار، ذو الأموال، أودعته بنتُ خمارويه وزوجةُ المعتضد نفائسَ ثمينة، وماتت في النِّفاس بغتةً، وزادت أموال ابن الجصاص إلى الغاية، فقبض عليه المقتدرُ، وكبست داره، وأخذوا له من الذهب والجوهر ما قوِّم بأربعة آلاف ألفِ دينار، (ت: ٣١٥هـ). ينظر: «نشوار المحاضرة» (١/ ٢٩)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٤٦٩).

(٣) في (ظ): (فاجتاز بي في بعض الطرق في دار الخلافة).

دار السيدةِ(١)، لتكونَ هي التي تُطْلِقُنِي؛ لأنَّها هي التي شَفَعَتْ فيَّ، فوقَعَت عيني في اجتيازي على أعدالِ خَيشٍ لي أعرفها، وكان مَبلَغُها مئةَ عدلٍ، **فقلت للخادم**: أَلَيسَ هَذا من الخيش الَّذي حمل من داري؟ **قال**: بلى.

وتأمَّلتُه، فإذا هو بشَدِّه وعلاماته، وكانَت هذه الأعدالُ قد حُمِلَت إليَّ من مصرَ، ولي في كلِّ عدلٍ منها ألفُ دينارٍ من مالٍ كان لي هناك، كتبتُ بِحملِهِ إليَّ مالًا، فخافوا عليه من الطَّريق، فجعلوه في أعدالِ الخَيشِ؛ لأنَّها ممَّا لا تكاد تَحمِلُهُ اللُّصوصُ لو وقَعوا عليه، ولا يفطنون لما فيه، فوَصَلَتْ سالِمَةً، ولاستغنائي عن المال لم أُخرِجْه من الأعدالِ، وتركتُه في بيتٍ من داري، وأقفلت عليه، وتوخَّيت أيضًا بذلك سترَ حَدِيثه، فتركتُه شهورًا على حاله؛ لأنقلَه كما أرى في [أيِّ](٢) وقتٍ أرى؛ وكُبِسَتْ، فأُخِذَ الخيشُ في جملَةِ ما أُخِذَ من داري، ولخِسَّتِه عِندَهم تهاونوا به، ولم يعرِفْ أحدٌ ما فيه، وطُرِحَ في تلكَ الدَّار.

فلمَّا رأيتُه بشَدِّهِ، طَمِعتُ في خلاصِه، والحيلَةِ في ارتجاعه؛ فَسكتُّ. [ظ/٨٧]

فلمَّا كانَ بعد أيَّامٍ من خروجي، راسلتُ السيِّدةَ ورقَّقتُها، وشكوتُ حالي لها، وسألتُها أن تدفعَ إليَّ ذلك الخيشَ؛ لأنَّهُ لا قدرَ له عندَهم، وأنا أنتفعُ بثَمَنِهِ.

قال: فاستَحْمَقَتْني، **وقالت**: أيُّ شَيءٍ قدرُ الخَيشِ؟ رُدُّوهُ عليه.

---

(١) هي أمّ المقتدر، واسمها شغب صقلبية. سبقت ترجمتها (٢/ ٥٤).

(٢) إضافة من «المقفى الكبير» (٢/ ١١٣).

فسُلِّمَ إليَّ بأسْرِه، ففتحتُه، وأخذت منه المئةَ ألفِ دينارٍ، وما ضاعَ منها دينارٌ واحد، وأخذت من الخيش ما احتجتُ إليهِ لمروءتي[1]، وبعثُ باقيه بجملةٍ وافرة.

وقلت في نفسي: إنَّه قد بقيت لي بقيَّةُ إقبالٍ جَيِّدَة[2].

(١) (لمروءتي) ليست في (ظ، ل).

(٢) ينظر: «المقفى الكبير» للمقريزي (٣/ ٢٩٤).

[٥: ٢١] [حامدُ بنُ العبَّاسِ يَتخلَّصُ من مصادرةِ ابنِ بُلبُلٍ بنصيحةِ خادمٍ]

حدَّثني عليُّ بنُ هِشامٍ، قال: سَمِعتُ حامِدَ بنَ العَبَّاسِ، يقول:

«رُبَّما انتفع الإنسانُ في نَكبَتِه بالرجُلِ الصَّغيرِ القدر[١]، أكثرَ من مَنفَعَتِه بالكبير القدرِ[٢]»؛ فمن ذلك: أنَّ إسماعيلَ بن بُلبُلٍ، لما حَبَسَني، جعلني في يَدِ بوَّابٍ كانَ يخدُمُه قديمًا.

قال: وكانَ رجلًا[٣] حُرًّا، فأحسنتُ إليهِ وبَرَرْتُه، وكنتُ أعتَمِدُ على عناية أبي العَبَّاسِ ابنِ الفُرات بي، وكانَ ذلك البوَّابُ لقديمِ خدمته لإسماعيلَ يدخلُ إلى [ض/٦٩] مجالِسَه الخاصَّةَ، ويقف بين يديهِ، فلا يُنكَرُ ذلك عليه، لسَالِفِ الصُّحبة[٤].

فصارَ إليَّ في بعض اللَّيالي، فقال: قد حَرِدَ[٥] الوزيرُ[٦] على ابنِ الفُراتِ بسببك، وقال له: «ما يَكسِرُ المالَ[٧] على حامِد غَيرُك، ولا بُدَّ من الجِدِّ في مُطالَبَته بباقي مصادرَتِه»، وسيدعوكَ الوزيرُ في غدٍ إلى حضرته، ويُهدِّدك.

---

(١) (القدر) ليست في (ض).

(٢) (القدر) ليست في (ض).

(٣) في (ظ) زيادة: (كبيرًا).

(٤) في(ظ): (لسالف خدمته وصحبته).

(٥) أي: غَضِبَ. ينظر: «مختار الصحاح» (ح ر د).

(٦) أي: إسماعيل بن بلبل.

(٧) أي: يصرفه. ينظر: «المصباح المنير» (ك س ر).

فشَغَلَ ذلك قلبي، **فقلت له:** هل عندك من رأيٍ؟

قال:[1] تكتبُ رقعةً إلى رجلٍ من مُعامِليك تعرفُ شُحَّه وضيقَ نَفسِه، فتلتمسُ مِنهُ لعيالِكَ ألفَ دِرهَمٍ يُقرِضُك إيَّاها، وتسألُه أن يُجيبَكَ على ظهرِ رُقعَتِك؛ لترجِعَ إليكَ؛ فإنَّهُ لشُحِّه يردُّكَ بِعُذرٍ، وتحتَفِظُ بالرُّقعةِ؛ فإذا طالبَكَ الوزيرُ أَخْرَجْتَها له على غير مواطأةٍ، وقلتَ: قد أَفْضَتْ حالي إلى هذا. فَلَعَلَّ ذلك ينفعُك.

قال: ففعلتُ ما قاله، وجاءَني الجَوابُ بالرَّدِّ كما خمَّنَّا، وشَدَدْتُ الرُّقعة معي، فلمَّا كانَ من الغَدِ، أخرجني الوزيرُ، وطالبني، فأخرجتُ الرُّقعةَ، ورقَّقتُه، وأَقْرَأتُه إيَّاها، وتكلَّمتُ بما أمكنَ، فَلَانَ واستحيا[2]، وكانَ ذلك سَببَ خفَّةِ أمري، وزوالِ مِحنَتِي.

فلمَّا تقلَّدتُ أيَّامَ عبيد الله بنِ سُلَيمانَ[3] سألتُ عن البوَّابِ، واجتذبتُه إلى خدمتي، وكنتُ أُجرِي عليه خمسينَ دينارًا كلَّ سنة[4]، وهو باقٍ إلى الآن[5].

(١) في (ظ، ل) زيادة: (نعم).

(٢) (فَلَانَ واستحيا) في (ظ، ل): (فاستحيا).

(٣) في (ظ، ل) زيادة: (ما تقلدت).

(٤) في (ظ، ل): (في كل شهر)، والمثبت موافق لـ«نشوار المحاضرة».

(٥) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٨/ ٦٣)، و«الأذكياء» لابن الجوزي (ص: ١٤١).

[٥: ٢٢] [أبو العتاهيةِ يُحبَسُ لامتناعِهِ عن قولِ الشِّعرِ]

أخبرني أبو الفرج عليُّ بنُ الحُسَين المعروف بالأصبَهانيِّ، قال: حدَّثني عمِّي الحسنُ بن محمَّدٍ، **قال:** حدَّثنا محمَّدُ بن القاسِمِ بنِ مهرويه، **قال:** حدَّثني **محمَّد بنُ أبي العَتاهية**[(١)]، **قال: حدَّثني أبي**[(٢)]، **قال:**

لمَّا امتنعتُ من قَولِ الشِّعر وتَركتُه، أَمَرَ المهديُّ بحبسي في سجن الجرائم، فأُخرِجتُ من بَين يَدَيهِ إلى الحَبس، فلمَّا دخلتُه دَهِشتُ، وذَهَلَ[(٣)] عقلي، ورأيتُ منظرًا هالني، فرميتُ بطرفي أطلبُ موضعًا آوي فيه، أو رَجُلًا آنَسُ بمجالسته، فإذا أنا بكَهلٍ حَسَنِ السَّمتِ، نظيفِ الثَّوبِ، تتبيَّنُ عليه سيما الخيرِ، فقصدتُه، وجَلَستُ إليهِ من غير أن أسلِّمَ عليه، أو أسأَلَه عن شيءٍ من أمره؛ لما أنا فيهِ من الجَزَعِ والحَيرة.

فَمَكثتُ كذلك مَلِيًّا، وأنا مطرقٌ مفكِّرٌ في حالي، **فأنشد الرَّجل** [من الطويل]:

تَـعَـوَّدتُ مَـسَّ الضُّرِّ حَتَّى أَلِفتُه وَأَسْلَمَنِي حُسْنُ العَزاءِ إلى الصَّبرِ

---

(١) هو أبو عبد الله، محمَّد بن إسماعيل بن القاسم، ويُلقَّب عتاهية، وكان ناسكًا شاعرًا، حذا طريقة أبيه في القول في الزُّهد. ينظر: «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٥٧).

(٢) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، أبو إسحاق العنزي، المعروف بأبي العتاهية الشاعر، وأبو العتاهية لقب لُقِّب به لاضطراب كان فيه، وقيل: بل كان يحب المجون والخلاعة، فكُنِّي لعُتوِّه: أبا العتاهية، (ت:٢١١هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٢٦).

(٣) في (ل، ر): (وذهب).

وَصَيَّرني يَأْسِي مِنَ النَّاسِ وَاثِقًا بِحُسْنِ صَنِيعِ اللهِ من حَيثُ لا أَدرِي

قال: فاستحسنتُ البَيتَينِ، وتبرَّكتُ بهما، وثاب إليَّ عقلي، وأقبلتُ على الرَّجل، **فقلت له:** تفضَّل -أعزَّك الله- بإعادة هذين البيتين.

فقال لي: ويحكَ يا إسماعيل[1] -ولم يُكَنِّنِي- ما أسوأَ أَدَبَك، وأقلَّ عقلَكَ ومروءتَكَ، دخلتَ ولم تُسَلِّم عليَّ تسليمَ المُسلِم على المُسلِم، ولا توجَّعتَ لي [ظ/٨٨] توجُّع المُبتلَى للمبتلَى، ولا سألتَني مسألةَ الوارِدِ على المُقِيم، حتَّى إذا سَمِعتَ منِّي بيتين من الشِّعر الَّذي لم يَجعَلِ الله عَزَّوَجَلَّ لك فيه خَيرًا[2]، ولا أدبًا، ولا جعل لك معاشًا غيرَه؛ لم تَذْكُرْ ما سَلَفَ منكَ فتتلافاه، ولا اعتذرتَ ممَّا قَدَّمته، وفرَّطت فيهِ من الحقِّ، حتَّى اسْتَنْشَدْتَني مُبتَدِئًا، كأنَّ بينَنا أُنْسًا قديمًا، أو معرفَةً سالفةً، وصُحبةً تَبسُطُ المُنقَبِضَ.

فقلت له: تَعذُرُني مُتَفَضِّلًا، فإنَّ دون ما أنا فيه يُدهِشُ.

فقال: وفي أيِّ شَيءٍ أنت؟ إنَّما تركتَ قولَ الشِّعر الَّذي هو[3] جاهُك عندهم، وسَبَبُكَ إليهم، فحبسوكَ حتَّى تَقوله، وأنت لا بُدَّ أن تَقوله، فتُطلَق، وأنا يدعى بي السَّاعة حتَّى أطالبَ بإحضار عيسَى بن زيدٍ[4]، وهو ابن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) هو أبو العتاهية.

(٢) في (ظ): (فضلًا).

(٣) في (ظ): (الذي كان به قوام).

(٤) هو أبو يحيى، عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ثائر، من كبار الطالبيين، ويلقب بموتم الأشبال، قتل لبوة فقيل له: أيتمت أشبالها، فقال: نعم، أنا موتم الأشبال!، فكان لقبًا له. (ت: ١٦٨هـ). ينظر: «مقاتل الطالبيين» (ص: ٣٤٢)، و«الأعلام» (٥/ ١٠٢).

فإن دَلَلتُ عليه قُتِل، ولقيتُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بدَمِه، وكانَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصمي فيهِ، وإن لم أدلَّ عليه قُتِلتُ، فأنا أَولى بالحَيرة منك، وأنت ترى احتسابي وصبري.

فقلت: يكفيك الله عَزَّوَجَلَّ. وأطرقتُ خَجَلًا منهُ.

فقال لي: لا أجمع عليك التَّوبيخَ والمنعَ، اسمَع البَيتَينِ واحفظهما. فأعادهما عليَّ مرارًا حتَّى حفظتُهما.

ثمَّ دُعِيَ به وبي، فلمَّا قمنا، **قلتُ له:** مَنْ أنتَ أعزَّك الله؟

قال: أنا حاضرُ، صاحبُ عيسَى بنِ زيدٍ[1].

فأُدخِلْنا على المهديِّ، فلمَّا وقفَ بين يَدَيهِ، **قال له:** أين عيسَى بن زيد؟

قال: ما يدريني أين عيسَى بن زيد، طَلَبْتَه، وأَخَفْتَه، فهربَ منك في البِلاد، فأخذتَني، وحبستَني، فمِنْ أين أَقِفُ على مَوضِعِ هاربٍ منكَ وأنا محبوسٌ؟

قال: أينَ كانَ مُتَواريًا، ومتى آخرُ عهدك به، وعند مَن لَقِيتَه؟

قال: ما لَقِيتُه مُنذُ توارى، ولا أعرف له خَبرًا.

قال: واللهِ لَتَدُلَّني عليه أو لأضربنَّ عُنُقك السَّاعة.

---

(١) هو من أحد دعاة عيسى بن زيد، وقد جدّ المهدي في طلب عيسى بن زيد حينًا فلم يقدر عليه، وبلغه خبر دعاة له ثلاثة وهم: ابن علاق الصيرفي، وحاضر مولى لهم، وصباح الزعفراني، فظفر بحاضر فحبسه، وقرّره ورفق به، واشتدَّ عليه ليعرّفه موضع عيسى فلم يفعل، فقتله. ينظر: «مقاتل الطالبيين» (ص: ٣٥٥).

قال: اصْنَعْ ما بدا لك، أنا أدلُّك على ابن رسولِ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لتقتُلَه، وأَلْقى اللهَ عَزَّوَجَلَّ ورسولَه وهما يطالباني بدمه! واللهِ لو كانَ بين ثوبي وجِلْدي ما كشفتُ عنهُ.

فقال: اضربوا عُنُقَه. فَقُدِّم، وضُرب عُنُقه[١].

ثمَّ دعاني، فقال: أتقولُ الشِّعرَ، أو أُلحِقُكَ به؟

قلتُ: بل أقولُ الشِّعر.

قال: أطلقوهُ.

قال محمَّد بن القاسِم بن مهرويه: والبيتان اللَّذان سمعهما أبو العتاهية من حاضرَ في شعره الآن[٢].

قال القاضي أبو علي[٣]: وأنشدني بعضُ أصحابنا معهما بيتًا آخرَ، وهو[٤]:

إِذَا أَنَا لَمْ أَقْنَعْ[٥] مِنَ الدَّهْرِ بِالَّذِي ... تَكَرَّهْتُ مِنْهُ طَالَ عَتْبِي على الدَّهْرِ

(١) في (ظ، ل) زيادة: (من ساعته).

(٢) ينظر: «مقاتل الطالبيين» لأبي الفرج الأصبهاني (ص: ٣٥٩- ٣٦١).

(٣) المحسن بن علي التنوخي، صاحب الكتاب.

(٤) قوله: (قال القاضي.... وهو) ليست في(ض).

(٥) في (ظ): (أرضى).

[٥: ٢٣] [داودُ كاتب أمِّ جعفرٍ يخرجُ من حبسها بفَضلِ الفيضِ بنِ أبي صالحٍ]

وجدتُ في كتابٍ أعطانيه أبو الحسين[١]، عبدُ العزيزِ بنُ إبراهيمَ صاحبِ[٢] النُّعمانِ، وهو يَومئِذٍ كاتبُ الوزيرِ أبي محمَّدٍ المهلَّبيِّ على ديوان السَّواد، وذكر لي أنَّه نَسَخَه من كتابٍ أعطاهُ إيَّاه أبو الحُسَين عبدُ الواحِد بنُ محمَّدٍ الخَصِيبيُّ، وكانَ فيه إصلاحاتٌ بخَطِّ أبي الحسَن بن مابنداذ[٣]:

قال أبو الحسن عَليُّ بن الحُسَين بن عبد الأعلى الإسكافي:

كانَ داوُدُ كاتبُ أمِّ جَعفرٍ[٤] قد حَبَسَ وكيلًا لها، قد وجبَ لها عليه[٥]

---

(١) في (ض، ظ): (أبو الحسن) وهو كذاك في بعض الكتب، **وهو** عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان، أبو الحسين، كان أحد الكُتَّاب الحُذَّاق بصنعة الكتابة، وأمور الدواوين، وله كتب منها: «نشوة النهار في أخبار الجوار»، و«الصبوة»، وكان أبوه حاجبَ النعمان أبي عبد الله الكاتب، (ت: ٣٥١هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٢٦)، و«الفهرست» (ص: ١٦٦).

(٢) كذا في النسخ، وفي أغلب المصادر (حاجب النعمان).

(٣) هو أبو الحسن أحمد بن محمَّد بن مابنداذ، قلده وزيرُ المقتدر عليُّ بن عيسى أعمال الأهواز. ينظر: «تجارب الأمم» (٥/ ٢٢٧).

(٤) هو داود بن سليمان الكاتب، المعروف بداود النَّبطي. ينظر: «البلدان» لليعقوبي (ص:٣٨).
وأم جعفر: هي **أَمَةُ العزيز** بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور الهاشمية العباسية، وُلِدت في زمان المنصور، وكان يرقصها ويقول: أنت زبدة وأنت **زبيدة**، فغلب ذلك الاسم عليها، وهي والدة الأمين محمَّد بن هارون الرشيد، وكان لها حرمة عظيمة وبر وصدقات، وآثار حميدة في طريق الحج، (ت: ٢١٦هـ). ينظر: «المنتظم» (١٠/ ٢٧٦)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ٣١٤).

(٥) وفي (ظ) زيادة: (في حسابها)، وفي (ل): (في حسابه).

[ص/٧٠] مئَتا ألف دِرهَم، فكتب الوكيلُ إلى عيسَى بنِ فلان(١)، وسهلِ بن الصَّباح(٢)، وكانَا صديقين له، يسألهما الرُّكوبَ إلى داوُدَ في أمره، فركبا إليهِ.

فلقيهما الفَيضُ بن أبي صالح(٣)، فسألهما عن خبرهما، فأخبَراهُ، **فقال لهما**: أتحبَّان أن أكون معكما.

قالا: نعم.

فصاروا إلى داوُدَ، فكلَّموه في إطلاق الرَّجل، **فقال**: أَكتُبُ إلى أمِّ جَعفرٍ. فكتب إليها يُعلِمُها خبرَ القَومِ وحضورَهم، ومسألَتَهم في إطلاق الوكيل.

فَوقَّعت في الرُّقعة أن يُعَرِّفَهُم ما وجبَ لها عليه من المال، ويُعْلِمَهُم أنَّه لا سبيلَ إلى إطلاقه دون أداءِ المال.

قال: فأقرأهم التوقيعَ، واعتذرَ إليهم.

قال: **فقال عيسَى وسَهلُ بن الصَّباح**: قد قَضَينا حقَّ الرَّجلِ، وقد أبَت أمُّ جَعفرٍ أن تُطلِقَه إلَّا بالمالِ، فقوموا ننصرف.

فقال لهما الفَيض بنُ أبي صالح: كأنَّا إنَّما جئنا لنؤكِّدَ حبسَ الرَّجل.

---

(١) ذكره الجهشياري بـ(عيسى بن دواد). ينظر: «الوزراء والكتاب» (ص: ١٦٥).

(٢) هو سهل بن الصَّباح المدائني. ينظر: «الوزراء والكتاب» للجهشياري (ص: ١٦٥).

(٣) هو الفيض بن أبي صالح شيرويه، الوزير الكبير، أبو جعفر الفارسي، كان نصرانيًّا فأسلم، وَزَرَ للمهديِّ في أواخِرِ دولته، ولم يزل وزيرًا حتى مات المهدي، ثم ولي ديوانَ الجيش إلى أن مات، وكان سخيًّا، جوادًا، يضرب بكرمه المثل، (ت: ١٧٣هـ). ينظر: «معجم الشعراء» (ص: ٣٢٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٢٧٥).

[ظ/٨٩]

قالوا له: فماذا نصنَعُ؟

قال: نُؤَدِّي عنهُ المالَ. ثمَّ أخذ الدَّواةَ فكتب إلى وكيله في حمل المال عن الرَّجل كتابًا، ودَفَعَه إلى داوُدَ كاتبِ أمِّ جَعفرٍ، **وقال:** قد أزحنا عِلَّتك في المال، فادفع إلينا صاحِبَنا.

قال: لا سبيل إلى ذلك حتَّى أُعَرِّفَها الخبرَ.

قال: فكتب إليها بالخبرِ، فوقَّعت في رقعته: أنا أَولى بهذه المكرمةِ من الفَيضِ بنِ أبي صالحٍ، فارْدُدْ عليه كتابَه بالمالِ، وادفع إليه الرَّجلَ، **وقُلْ له:** لا يعاود مثلَ ما كانَ منهُ(١).

قال: ولم يكن الفَيضُ يَعرِف الرَّجلَ، وإنَّما ساعدَ عيسَى وسَهْلًا(٢) على الكَلام في أمره(٣).

---

(١) في (ظ، ل): (لا تعاود إلى مثل ما كان منك).

(٢) في (ض): (ساعده عيسى وسهل).

(٣) ينظر: «الوزراء والكتاب» للجهشياري (ص: ١٦٥)، ووردت القصَّة بسردٍ مختلفٍ في «الفخري في الآداب السلطانية» (ص: ١٨٦).

[٥: ٢٤] [إبراهيمُ بنُ المدبَّر يخرجُ من حبسِ نَجاحِ بنِ سَلَمَةَ]

ذكر ابن عُبدوسٍ في كتاب[١] «الوزراء»: أنَّ نجاحَ بنَ سَلَمَةَ حبسَ إبراهيمَ بنَ المدبَّر؛ مكايدةً لأخيهِ[٢]، وذلكَ في أيَّام المتوكِّل.

فلمَّا طالَ حبسُ إبراهيمَ، ولم يجد حيلَةً في الخلاص، عمل أبياتًا، أنفذها إلى المسدودِ الطنبوري[٣]، فإذا سأله المتوكّل عن قائلها عرَّفَه أنَّها له.

ففعل المسدودُ ذلك، وسأله المتَوكِّلُ عن قائلها[٤].

فقال: لعبدكَ إبراهيمَ بنِ المُدبَّر، فذكره المتوكِّلُ، فأَمَرَ بإطلاقِهِ.

والأبيات هي هذه: [من مجزوء الرمل]

بِــأَبِــي مَــنْ بَــاتَ عِــنْدِي ... طَــارِقًــا مِــنْ غَــيْــرِ وَعْــدِ
بَــاتَ يَــشْــكُــو أَلَــمَ الــشَّــوْ ... قِ وَأَشْــكُــو فَــرْطَ وَجْــدِي

---

(١) في (ظ، ل): (أخبار).

(٢) هو أحمد بن محمَّد بن عبيد الله بن المدبَّر. سبقت ترجمته (١/ ٢٨٧).

(٣) هو أبو علي، الحسن، المعروف بالمسدود، من أهل بغداد، وكان منزله في ناحية درب المفضل في الموضع المعروف بخراب المسدود منسوب إليه، كان أبوه قصابًا، وكان مسدودَ فردِ مَنْخرٍ ومفتوح الآخر، وكان يقول: لو كان منخري الآخر مفتوحًا لأذهلت بغنائي أهل الحلوم وذوي الألباب. ينظر: «الأغاني» (٢٠/ ٤٠٩).

(٤) (عن قائلها) ليست في (ض، ظ).

ثُمَّ حَيَّا[1] فَبَكَى فَانْهَلَّ دُرٌّ فَوقَ وَرْدِ
فَيَدٌ تَحْتَ يَدٍ طَوْرًا وَخَدٌّ تَحْتَ[2] خَدِّ

(١) (ثُمَّ حَيَّا) في (ظ، ل): (وتجنَّى).
(٢) في (ظ، ل): (فوق).

[٥: ٢٥] [يحيى بنُ خاقان يتخلَّصُ من مطالبة المأمون له بخمسةِ آلافِ ألفِ دِرهَمٍ]

وذكر أيضًا[١]: أنَّ إسحاقَ بنَ سعدٍ[٢]، **قال**: حدَّثني أبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ عيسَى المَرْوَزِي[٣] صاحبُ يحيى بنِ خاقان[٤] **[عنه]**[٥]، **قال**:

كانَ المأمونُ ألزمني خمسةَ آلافِ ألفِ دِرهَم، فأعلمتُه أنِّي لا أملكُ إلَّا سبعَ مئَةِ ألفِ دِرهَم، وحلفتُ له على ذلك أَيْمانًا مُغَلَّظَةً اجتهدت فيها، فلم يقبلْ منِّي، وحَبَسَنِي عند أحمدَ بنِ هِشامٍ[٦]، وكانَ بيني وبَينَه شَيءٌ[٧] قد عُرِفَ وشُهِرَ، وكانَ يتقلَّد الحرسَ.

---

(١) أي: ابنُ عُبدُوسٍ الجهشياري.

(٢) هو إسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان بن عامر الشَّيباني النَّسوي، أبو يعقوب، قال أبو القاسم التنوخي: شيخ ثقة، (ت: ٣٧٤هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٧/ ٤٤٥)، و«تاريخ الإسلام» (٨/ ٣٩٨).

(٣) في (ظ، ر) والمطبوع: (المَرْوَرُّوذي).

(٤) هو يحيى بن خاقان بن موسى الخراساني مولى الأزد، والد الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان، تقلَّد ديوان الخَرَاج في أيام المتوكِّل سنة (٢٣٣هـ)، وهو كاتب الحسن بْن سهل، (ت: ٢٤٠هـ). ينظر: «تاريخ الطبري» (٩/ ١٦٢)، و«نشوار المحاضرة» (٨/ ٥١)، و«الجليس الصالح الكافي» (ص: ٥٢٣)، و«البصائر والذخائر» (٢/ ٦٢).

(٥) إضافة لترميم العبارة، مستفادة من النسخة (ر) ففيها: (وذكر أيضًا أنَّ محمَّد بن عيسى المروروذي حكى عن يحيى بن خاقان قال).

(٦) هو أحمد بن هشام بن فرخسرو، المروزي القائد، وهو أخو علي والحسين بن هشام الخراسانيين، كان في صحبة عبد الله المأمون حين خرج إلى بلاد الروم غازيًا، وقدم معه حلب، كان شاعرًا حسن الشعر. ينظر: «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٣/ ٢٥٣).

(٧) في (ظ، ل): (شر).

فقال أحمد للموكَّلين بي: احفظوه، واحذروا أن يسُمَّ نَفسَه.

[ظ/٩٠] ففَطِنَ المأمونُ لمراده، فقال: لا يأكُلُ يحيى بنُ خاقانَ ولا يشربُ، إلَّا ما يُؤتى به من منزله.

قال: فأقمتُ على ذَلِك مدَّةً، فَوجَّه إليَّ الحسنُ بنُ سهلٍ بألفِ ألفِ دِرهَمٍ[1]، ووجَّه إلَيَّ فرجُ الرُّخَّجِيُّ بألف ألفِ دِرهَمٍ، ووجَّه إليَّ حُمَيدٌ الطوسيُّ[2] بِألف ألف دِرهَم، فأضفت ذلك إلى ما كانَ عندي، واضطربتُ حتَّى جمعتُ خمسةَ آلافِ ألفِ دِرهَمٍ.

فلمَّا اجتمعت كتبتُ إلى المأمون بحُضور المالِ الَّذي أَلْزَمَنِيه[3]، فأمر بإحضاري، فدخلت إليهِ، وبين يَدَيهِ أحمدُ بنُ أبي خالِدٍ، وعَمرُو بنُ مسعدَةَ، وعليُّ بنُ هشامٍ[4].

[ض/٧١] فلمَّا رآني، قال لي: أَوَلَمْ تُخبرني وتحلِفْ لي أَنَّك لا تملك إلَّا سبعَ مئَة ألفِ دِرهَمٍ، فمن أين لك هذا المال؟

فصَدَقتُه عَن أمره، وقصصتُ عليه قِصَّتَه.

---

(١) (فوجَّه إليَّ الحسن بن سهل بألف ألف دِرهَمٍ) ليس في (ظ، ل).

(٢) هو حُمَيدُ بن عبد الحميد الطوسي، أبو غانم، من قوَّاد المأمون، وكان جبارًا، مات يوم الفطر سنة (٢١٠هـ). ينظر: «المنتظم» (١٠/ ٢٢٠)، و«الوافي بالوفيات» (١٣/ ١٢٠).

(٣) في (ظ، ل): (ألزمني إياه).

(٤) هو علي بن هشام بن فرخسرو، أبو الحسن القائد المروزي، أحد قواد المأمون وندمائه، وهو أخو أحمد والحسين بن هشام، وقد ولَّاه المأمون كُوَرَ الجبال، فكان سيئ السِّيرة في الرَّعية، فأمر المأمون بقتله عام (٢١٧هـ). ينظر: «الوافي بالوفيات» (٢٢/ ١٧٨).

فأطرَقَ طويلًا، **ثمَّ قال لي**: قد وَهَبتُه لك.

فقال له الحُضور: أَتَهَبُ له خَمسَة آلافِ ألفِ درهمٍ، وليسَ في بيت المال دِرهَمٌ واحِدٌ، وأنت مُحتاجٌ إلى ما دون ذلك بكثيرٍ؟ فَلَو أَخَذتَه منهُ قَرْضًا، وإذا جاءَك مالٌ رَدَدْتَه عليه.

فقال لهم: أنا على المالِ[1] أقدَرُ مِن يحيى، وقد وَهَبتُه له.

فَرَدَدْتُ على القَومِ ما كانوا حملوه إليَّ، وتخلَّصت[2].

(١) (على المال) ليست في (ض).

(٢) ينظر: «الجليس الصالح الكافي» (ص: ٥٢٣)، و«التذكرة الحمدونية» (٩/ ٣٠٢).

[٥: ٢٦] [عمرُو بنُ بهنوي ينجو من الحبسِ ومطالبة المأمون له]

قال محمَّد بن عُبدوسٍ في كتاب «الوزراء»: ذكر الفضل بن مَروان أنَّ محمَّدَ بنَ يَزدادَ سعى إلى المأمون بِعَمرِو بن بهنوي[١].

فقال له المأمون: يا فضلُ، خُذ عَمْرًا إليك، فَقَيِّده، وضيِّق عليه، لِيَصْدُقَ عَمَّا صارَ إليه من مال الفيء، فقد احتازَ مالًا جزيلًا[٢]، وطالِبْه به.

فقلت: نعم. وأمرتُ بإحضار عَمرٍو، فأُحضِرَ، فأخليتُ له حجرَةً في داري، وأقمتُ له ما يُصلِحُه، وتشاغلتُ عنهُ بأُمُور السُّلطان في يومي وغدِه.

فلمَّا كانَ اليومُ الثَّالِثُ، أرسل إليَّ عَمرٌو يسألني الدُّخولَ إليه، فدخلتُ، فأخرج إليَّ رقعَةً قد أثبتَ فيها جميعَ ما يَملِكُهُ من الدُّورِ، والفَرْشِ، والكِسوةِ، والجواهرِ، والكُراع[٣]، والقُماش[٤]، وما يجوزُ بَيعُه من الرَّقيقِ، فكانَ قيمَةُ ذلك عشرين ألفَ ألفِ درهمٍ، وسألني أن أوصِلَ رُقعَتَه إلى المأمون، وأُعلِمَه أنَّ عَمْرًا قد جعله من ذلك كلِّه في حِلٍّ وسَعَة.

---

(١) في (ظ): (صهنوى)، وفي «مرآة الزمان» (١٤/ ١٨٩): (بهبوبا)، وذكر في «نشوار المحاضرة» (١/ ١٣٢): أنه كان عاملًا موسرًا عند المأمون، واسمه: عمرو بن نهيوي، صهر موسى بن أبي الفرج بن الضحّاك، من أهل السواد. وذكر تتمَّة القصة بسردٍ مختلفٍ.

(٢) في (ظ): (عظيمًا)، وفي (ل): (اختان مالًا جليلًا).

(٣) **الكُراع**: الخيل. ينظر: «مختار الصحاح» (ك ر ع).

(٤) **القُماش**: متاع البيت. ينظر: «لسان العرب» (ق م ش: ٦/ ٣٣٨).

فقلت له: مَهْلًا، فإنَّ أميرَ المُؤمنينَ أكبرُ قدرًا من أن يَسْلُبَكَ مالَك كلَّه ونِعمَتَك عن آخرها.

فقال عَمْرٌو: إنَّه كما وصفتَ في كَرَمِه، ولكنَّ السَّاعيَ لا ينامُ عنِّي ولا عنكَ، وقد بَلَغَني ما أُمِرتَ به في أمري من الغِلظة، وقد عامَلْتَني بضدِّ ذلك، وقد طِبتُ نفسًا أن أشتَرِيَ عَذْلَ أميرِ المُؤمنينَ لكَ في أمري، ورضاهُ عنِّي، بجَميعِ مالي.

فلم أَزَلْ أُنزِلُه حتَّى وافقتُه على عشرَةِ آلافِ ألفِ دِرهَمٍ، **وقلت له**: هذا شطرُ حالك[1]، وهو صالحٌ للفريقَينِ، وأخذتُ خطَّه بالتزام ذلك صُلحًا عن جَميع ما جرى على يديه.

وصرتُ إلى المأمونِ، فَوجدتُ محمَّدَ بنَ يزدادَ، وقد سبقني إليه، وإذا هو يكلِّمُهُ، فَلَمَّا رآني قطعَ الكَلامَ وخرجَ.

فقال المأمون: يا فضلُ.

قلت: لبَّيكَ يا أمير المؤمنينَ.

قال: ما هذه الجُرْأَة منكَ علينا؟

فقلت: يا أمير المؤمنينَ، أنا عبدُ طاعَتك، وغَرسُ نعمتك.

فقال: أمرتك بالتَّضييق على عَمْرو بن بهنوي النَّبطيِّ[2]، فقابلتَ أمري بالضِّدِّ، ووسَّعت عليه، وأقمتَ له الأنزالَ.

---

(١) كذا في النسخ، وفي المصادر: (مالك).

(٢) في (ظ): (النبطي عمرو بن صهنوى)، وفي (ل): (النبطي عمرو بن صهبوي)، وفي «مرآة الزمان» (١٤/ ١٩٠): (بهبوبا).

فقلت له: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ عَمْرًا يُطالَب بأموالٍ عَظيمَةٍ، ولم آمَنْ أن أجعَلَ مَحبَسَهُ في بعض الدَّواوين، فيَبذُلَ مالًا يُرغَب في مثله، فيتخلَّصُ، فَجعلتُ مَحبَسَهُ في داري، وأشرفتُ على طَعامِهِ وشَرابِهِ؛ لأحرُسَ لكَ نَفسَه، فإنَّ كثيرًا من النَّاس اختانوا(١) السُّلطانَ، وتمتَّعوا بالأموالِ، ثمَّ طُولِبُوا بها، فاحتيلَ عليهم؛ ليَتلَفُوا(٢)، ويفوزَ بالأموال غَيرُهم.

قال الفضلُ: وإنَّما أردتُ بذلك تسكينَ غَضَبِ المأمونِ علَيَّ، ولم أعرض الرُّقعةَ عليه، ولا أعلمتُه ما جرى بيني وبين عَمرٍو؛ لأنِّي لم آمَن سَوْرَتَه في ذلك الوقتِ؛ لاشتداد غَضَبه.

فقال لي: سَلِّم عَمْرًا إلى محمَّدَ بنِ يزدادَ. [ظ/٩١]

قال: فوجَّهتُ من ساعتي مَن سلَّم عَمْرًا إلى محمَّدِ بنِ يزداد، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبه بأنواع العَذابِ ليبذُلَ له شيئًا، فلم يفعل.

فلمَّا رأى أصحابُه وعمَّالُه ما قد نالَه، جمعوا له من بينهم ثلاثةَ آلافِ ألفِ دِرهَمٍ، وسألوا عَمْرًا أن يبذلَها لمُحَمِّد بن يزداد، فبَذَلَها، فصارَ محمَّدٌ إلى المأمون مُتبَجِّحًا بها(٣)، فأوصل الخطَّ بها إلى المأمون، وأنا واقِفٌ.

فقال المأمون: يا فضلُ، ألم نُعلِمْكَ أنَّ غيركَ أقومُ بأمورنا منكَ، وأطوعُ لما نأمرُه به؟

---

(١) في (ظ، ل): (خانوا). والمعنى واحد.

(٢) في (ظ، ل): (أن يتلفوا).

(٣) أي: مفتخرًا بها. ينظر: «المصباح المنير» (ب ج ح).

فقلت: يا أميرَ المؤمنينَ، أرجو أن أكونَ في حال استبطاءِ أميرِ المُؤمنينَ أبلغَ في طاعَته من غَيرِي.

فقال المأمون: هذه رُقعَةُ عَمرِو بنِ بهنوي[1] بثلاثةِ آلافِ ألفِ دِرهَمٍ.

فقلتُ -وما اجترأتُ عليه قطُّ كاجترائي عليه في ذلك اليوم، فإنِّي أخرجتُ إليه إضبارةً كانت مع غلامي، فأخذتُ الرُّقعةَ منها مُسرِعًا- وقلتُ: واللهِ، لأُعْلِمَنَّ أميرَ المُؤمنينَ أنِّي مع رِفْقِي أبلغُ في حياطةِ أموالِه من غيري مع غِلْظَتِه. وأَرَيتُه رقعَةَ عَمرٍو الَّتي كانَ كتبها لي، وحدَّثتُه بحَديثِه عن آخِرِه.

فلمَّا تبيَّن المأمونُ الخطَّين، وعَلِمَ أنَّهُما جميعًا خطُّ عَمرٍو، **قال:** ما أدري أيُّكُما أكرمُ، أعَمرٌو حين شكر بِرَّكَ، وطاب نفسًا بالخروجِ عن مِلْكه بهذا السَّبَب، أم أنتَ ومُحافَظَتُك على أهل النِّعَم، وسَترِك عليه في ذلك الوقت؟ والله لا كنتُما يا نَبَطِيَّانِ أكرمَ منِّي.

ودفع الرُّقعةَ الَّتي أخذها محمَّدُ بنُ يزدادَ من عَمرٍو إليَّ، وأمرني بتَخرِيقِها، وتخريقِ الأُولى، وأنفذَ مَن يُسَلِّمُ عَمْرًا من مَحبَسِه إليَّ، وأمرَني بإطلاقه.

فخرجت من بَين يديه، ففعلت ذلِك من وقتي[2].

---

(١) في (ظ): (عمر بن صهنوى)، وفي (ل): (عمر بن صهبوي).

(٢) ينظر: «التذكرة الحمدونية» (٩/ ٣٠٣)، و«مرآة الزمان» (١٤/ ١٨٩).

[٥: ٢٧] [القاضي أبو عمرَ ينجو من الحبسِ والقتلِ]

حدَّثني أبو الحسين عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ الحسينِ[١] بنِ عيَّاشٍ الخَرَزِيُّ البَغداديُّ، وكان خليفةَ أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على القضاء بسوق الأهواز المشهور[٢]، قال: حدَّثني عمِّي أبو محمَّد عبدُ الله بن الحسين[٣] الشاهد[٤]، الذي كان صاهَرَ أبا عمرَ القاضي، **قال**: حدَّثني القاضي أبو عمرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]، **قال**:

لمَّا جرى في أمر عبد الله بنِ المعتز ما جرى[٦]، حُبِسْتُ وما في لحيتي

---

(١) في المطبوع، و«نشوار المحاضرة» (١/ ٢٤): (الحارث)، وهو خطأ، وفي (ض، ك): (الحسن).

(٢) القاضي أبو الحسين بن عياش، نقل عنه المؤلِّفُ في «نشوار المحاضرة» أخبارًا كثيرة وبعضها ينقلها عن عمِّه، وسمَّاه الجوهري، والخَرَزِيُّ نسبة إلى بيع الخَرَز، وكان لجدِّه الحسين بن عيَّاش دكَّانًا في سوق الخَرَّازِين ببغداد. ينظر: «نشوار المحاضرة» (١/ ٢٤)، و(٢/ ٧٧، ١٠١)، و«الأنساب» (١/ ٤٣٢).

(٣) في (ح، ط، ر): (عبيد الله). وفي (ك): (الحسن).

(٤) قوله: (أبو محمَّد عبدُ الله... الشاهد) ليس في النسخ، وأثبتناه من (ط، س، ك، ح).

(٥) قوله: (أبو محمَّد عبدُ الله... تعالى) ليس في (ض). **والقاضي أبو عمر** هو محمَّد بن يوسف الأزدي، وقد سبقت ترجمته (١/ ٩٠).

(٦) وذلك أنَّه لما بُويع للمقتدر، وكان عمره ثلاث عشرة سنة، استصغره الناس، وأجمع الوزير على خَلعِه والبيعةِ لأبي عبد الله محمَّد بن المعتز، فأجابهم ابن المعتز على أن لا يكون قتال، وخُلِعَ المقتدرُ من الغدِ، وبويع لابن المعتزِّ ولقِّب المرتضى بالله، واستوزر محمَّد بن داود بن الجرّاح، ثمَّ أجمع أصحاب المقتدر على قصد ابن المعتز في داره، فتسلّحوا وركبوا في دجلة، فلما رآهم أصحابُ ابن المعتز اضطربوا وهربوا، وخرج ابن المعتز ووزيره إلى الصحراء =

طاقَةٌ بَيضاءُ، وحُبس معي القاضي أبو المثنى[1]، ومُحَمَّدُ بنُ داوُد بن الجرَّاح في دارٍ واحِدَةٍ، في ثَلاثَةِ أبياتٍ متلاصقةٍ، وكانَ بيتي في الوسط، وكُنَّا آيِسِين من الحياة، وكنت إذا جنَّ[2] اللَّيلُ، حدَّثت أبا المثنَّى تارَةً، ومُحَمَّد بن داوُد تارَةً، وحدَّثاني من وراء الأبواب، ويُوصي كلُّ واحدٍ منا إلى صاحبه، ونحن نتوقع القَتلَ ساعَةً بساعة.

[ص/ ٧٢] فَلَمَّا كانَ ذات لَيلَةٍ، وقد غُلِّقَت الأبوابُ، ونامَ الموكِّلون بِنَا، ونحن نتحدَّث في بُيوتنا؛ إذ حَسَسْنا بِصَوتِ الأقفالِ تُفتَح، فارتَعْنا، ورجع كلُّ واحِدٍ منَّا إلى صدرِ بَيته.

فما شعرتُ إلَّا وقد فُتِحَ الباب عَن محمَّدِ بن داوُد، فأُخرِجَ، فأُضْجِعَ للذَّبح، **فقال**: يا قوم، أَذَبْحًا كَما تُذبَحِ الشَّاة؟ أين المصادرات؟ أين أنتُم عن أموالي التي أفدي بها نفسي؟ عليَّ كذا وكذا.

فما التفتوا إلى كلامه، وذبحوه، وأنا أراهُ من شقِّ الباب، وقد أضاء الصَّحنُ، وصارَ كأنَّه نَهارٌ من كثرَة الشموع، واحتزُّوا رأسَه، وأخرجوه معهم، وجرُّوا جُثَّتَه، فطُرحت في بِئر في الدَّار، وأُغلقت الأبوابُ وانصرفوا.

= ظنًّا منه أن الجند يلحقونهم، فخاب ظنه، وعاد إلى البلد متخفيًا، ثم قبض عليه وحبس، ثم خُصِيَ فمات. ينظر: «تاريخ ابن خلدون» (٣/ ٤٤٧ - ٤٤٨)، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص: ٢٧٥).

(١) هو أحمد بن يعقوب، أبو المثنى البغدادي القاضي، أحد من قام في خلع المقتدر تديُّنًا، وسعى في بيعة عبد الله بن المعتز، وقد قُتل سنة (٢٩٦هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٦/ ٩٠٥)، و«الوافي بالوفيات» (٨/ ١٧٩).

(٢) في (ظ، ل): (جنَّنَا).

قال: فأيقنتُ بالقَتلِ، فأقبَلتُ على الصَّلاةِ، والدُّعاءِ، والبكاء.

فما مَضَت إلَّا ساعةٌ يسيرَةٌ، حتَّى سمعت أصوات الأقفال تُفتح، فعاودني الجزعَ، وإذا هم قد جاؤوا إلى بَيت أبي المثَنَّى القاضي، ففتحوه، وأخرجوه، **وقالوا له**: يقول لك أميرُ المُؤمنينَ، يا عَدوَّ الله، يا فاسق، بِمَ استحللتَ نقضَ[1] بيعتي، وخَلْعَ طاعتي؟

قال: لأنِّي عَلِمتُ، أنَّه لا يصلحُ للإمامَة.

قالوا له: إنَّ أميرَ المُؤمنينَ، قد أمرنا باستتابتك من هذا الكفرِ، فإن تُبتَ رَدَدْناك إلى محبسك، وإلَّا قتلناك.

قال: أعوذ بالله من الكفر، ما أتيتُ ما يُوجب كُفرًا.

قال: وأخذ يتهوَّسُ معهم[2] بهذا الكلام وشبهه، ولا يرجع عَنهُ.

[ظ/٩٢] فلمَّا أَيِسوا منهُ، مضى بعضُهم وعاد، فَظَنَنتُ أنَّه يستأذن في الاستتابةِ[3]، وإذا به يقول: أَضجِعوه. فأَضْجَعوه وذبحوه، وأنا أراهُ، وحملوا رأسَه، وطرحوا جُثَّته في البِئر.

قال: فذهب عليَّ أمري، وأقبَلتُ على الدُّعاء والبكاء، والتَّضرُّع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فلمَّا كانَ وقت[4] السَّحَرِ، وقد سَمِعتُ الدَّبادِبَ[5]، فإذا بصَوت الأقفال،

---

(١) في (ظ، ل): (نكث).

(٢) قال ابن فارس: الهاء والواو والسين: كلمة تدل على طوفان ومجيء وذهاب في مثل الحيرة، وكلُّ طلبٍ في جرأةٍ هَوَسٌ. ينظر: «مقاييس اللغة» (٦/ ١٨).

(٣) في (ظ): (استثبتَ في الاستئذان).

(٤) في (ظ): (كان في وجه).

(٥) **الدَّبادِبُ** صَوْت كأنَّه دَبْ دَبْ، وهي حكَايَةُ الصَّوْتِ. ينظر: «لسان العرب» (د ب ب: ١/ ٣٧٢).

فقلت: لم يبقَ غَيري، وأنا مقتولٌ، فاستسلمتُ، وفتحوا الأبواب عنِّي، وأقاموني إلى الصَّحن(١)، **فقالوا:** يقول لك أمير المؤمنينَ، يا فاعل يا صانع، ما حملك على نقض(٢) بيعتي؟

فقلت: الخطأ، وشِقْوة الجَدِّ، وأنا تائبٌ إلى الله من هذا الذَّنب، **قال:** وأقبَلتُ أتكَلَّمُ بهذا وشبهه، فَمَضى بَعضُهم، وعادَ، **فقال:** أَجِبْ أميرَ المؤمنين(٣). ثمَّ أسرَّ إليَّ، **وقال:** لا بأس عليك، فقد تكلَّم فيك الوزيرُ -يعنونَ ابنَ الفُرات- وأنتَ مُسلَّمٌ إليهِ.

قال: فسكنتُ، وجاءوني بخُفِّي، وطَيْلَساني، وعِمامتي، فَلَبِستُ ذلك، وأُخرِجتُ، فجيء بي إلى الدَّار التي كانَت برسمِ ابنِ الفُرات في دار الخلافة، فلمَّا رآني، أقبل يُخاطِبُني ويُعظِم جنايتي وخَطَئي، وأنا أُقِرُّ بذلك، وأستقيلُ، وأتنصَّل.

ثمَّ قال: قد وهبَ أميرُ المؤمنينَ إليَّ دَمَك، وابْتَعتُ جُرمَكَ منهُ بمئة ألفِ دينارٍ أَلْزَمتُكَ إيَّاها.

فقلت: والله أيُّها الوزيرُ، ما رأيتُ قطُّ بَعضَها مجتمعًا.

فغَمَزَني بأن أسكُتْ، وجَذَبَني قوم من وُجوه الكُتَّاب، كانوا ورائي، فسكَّتوني، فَعلمت أنَّ ابنَ الفُراتِ قد أرادَ تخليصي وحَقْنَ دمي، **فقلتُ:** عليَّ كلُّ ما يأمُرُ به الوزيرُ أعزَّهُ الله.

---

(١) قوله: (إلى الصحن) ليس في (ظ، ل).

(٢) في (ظ): (نكث).

(٣) قوله: (أمير المؤمنين) ليس في (ظ، ل).

فقال: احملوه إلى داري.

قال: فأُخذْتُ، وحُملتُ إلى داره، فقرَّر أمري على مئَةِ ألف دينارٍ، يؤدَّى النِّصفُ منها عاجلًا، ونصفُ النِّصف في حُكمِ الباطِلِ(١) على رسم المصادرات.

فلمَّا صرتُ في دار ابن الفُرات، وسَّعَ عليَّ في المطعم والمشرَب والملبَس، وأُدخلتُ الحمام، ورُفِّهتُ، وأُكرمت.

فَرأيتُ لمَّا خرجتُ من الحمَّام وجهي في المرآة، فإذا طاقاتُ شَعرٍ قد ابيَضَّت في مقدَّم لحيتي، وإذا أنا قد شِبْتُ في تلكَ اللَّيلَة الواحِدَة(٢).

قال: وأدَّيتُ من المال نيِّفًا وثَلاثينَ ألفَ دينارٍ، ثمَّ نظر لي ابنُ الفُرات الباقي(٣)، وصرفني إلى منزلي، وخلَّصَ دمي.

وأقمتُ في بَيتي سنين، وبابي مسدودٌ عليَّ، لا أرى أحدًا، ولا يراني إلَّا في الشَّاذِّ، وتوفَّرتُ على دراسة الفقهِ، والنظر في العلم، إلى أن مَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ بالفرج، فكشفَ(٤) وجهي، وأُخرِجتُ من بَيتي إلى ولايةِ الأعمال.

---

(١) في (ظ): (ويصير النصف في حكم **الباقي** -وفي ل: **التأجيل**-).

(٢) ذكرها مختصرة سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (١٦/ ٣٥٦).

(٣) في (ظ، ل): (فأنظرني ابن الفرات بالباقي).

(٤) في (ظ): (فكشفت).

[٥: ٢٨] [خادمٌ يَعلَقُ في البادهنج وينجيه اللَّهُ فيتوب]

ويُشبِه هذا الحديثَ ويُقارِبُه، وإن لم يكن في الحَقيقَة من باب مَن خرجَ من حبسٍ واعتقال؛ إلَّا أنَّه من أخبار الفرجِ في الجُملَة: ما حدَّثني به أبو عليٍّ الحسينُ[١] بنُ محمَّدِ بنِ موسَى الأنباريُّ الكاتِبُ، صِهرُ أبي محمَّدٍ المُهَلَّبيِّ الوزيرِ، **قال**: سَمِعت **دلويه**، كاتب صافي الحُرَمِي[٢]، يحدِّث، **قال**:

كان في دار المقتدِر بالله عريفٌ على بعض الفرَّاشين يخدُمُني وصافيًا إذا أقَمنا في دار الخَليفَة، فَفَقَدتُه من[٣] الدَّار، فظننتُه عليلًا، فلما كان بعد شهورٍ رأيتُه في بعض الطُّرق بزيِّ التُّجَّارِ، وقد شابَ.

فقلت: فلان؟

فقال: نعم، فلانٌ عَبدُك يا سَيِّدي.

---

(١) كذا في النسخ، وفي المطبوع (الحسن)، وهو تصحيف، وقد سبقت ترجمته (٢/ ٨٣).

(٢) **دلويه**: هو أبو محمَّد عبد الله بن علي دلويه، كاتب **صافي الحُرَمِي**، ثم كاتب **نصر القشوري** حاجب المقتدر، ثم كاتب **سلامة المؤتمن** حاجب القاهر. ينظر: «نشوار المحاضرة» (٣/ ١٥٤)، و(٤/ ١٩).

وصافي الحُرَمِي: مولى المعتضد. والحُرَمي نسبة إلى الحُرَم، كان من أكابر أمراء الدولة العباسية ورؤوس الدولة المقتدرية، وكان له غلامٌ اسمه قاسم، وفي سنة (٢٩٨هـ) اعتلَّ ومات. ينظر: «توضيح المشتبه» (٢/ ٣٣٨)، و«البداية والنهاية» (١٤/ ٧٧٢).

(٣) في (ظ، ل): (في).

فقلت: ما هذا الشَّيبُ في هذه الشُّهورِ اليَسيرَة، وما هَذا الزِّيُّ؟ وأينَ كنتَ؟ فلَجْلَجَ.

فقلت لغلماني: احملوه إلى داري. فحملوه. **وقلتُ**: حدِّثني حَديثَك.

فقال: على أنَّ لي الأمانَ والكتمان؟

قلت: نعم.

قال: كانَ الرَّسمُ على كلِّ عَرِيفٍ في الدَّار من الفرَّاشين، أن يدخلَ يومًا من الأيَّام هو ومَن في عَرافَتِه إلى دار الحُرَمِ؛ لرشِّ الخُيُوشِ الَّتي فيها.

فبَلَغَتْ النَّوبَةُ إليَّ في يَومٍ كنتُ فيه مخمورًا، فدخلتُ ومعي رجالي إلى دار فُلانَةٍ -وذَكَرَ حَظِيَّةً جليلةً من حظايا المقتدر بالله- لرشِّ الخَيشِ.

فلِعِظَمِ ما كنت فيهِ من الخُمار[1]، ما رَشَشْتُ قِرْبَتي، ولم أخرج بخروجِ الرِّجال، **وقلت**: امضُوا، وهاتوا قِرَبَكُم لإتمامِ الرَّشِّ، فإذا رَشَشْتُم فأَنبِهُوني، فإنِّي نائِمٌ هَهُنا، ودخلتُ خلفَ الخَيشِ، إلى[2] بادَهْنَجٍ[3] يخرجُ مِنهُ ريحٌ طيِّبَة، فَنمتُ،

(١) **الخُمارُ**: بقيَّةُ السُّكْرِ. ينظر: «مختار الصحاح» (خ م ر).

(٢) في (ل) زيادة: (باب).

(٣) كلمة (بادهنج) أو (باذهنج) مكونة من مقطعين: (باد) وتعني (الهواء)، و(هنج) وتعني (فوهة). وعُرِّبَ إلى (المَلقَف)، وسماه بعض العرب (راووق النسيم)، وقال الخفاجي في «شفاء الغليل» (ص: ٧١): هو معرّبُ (بادخون) أو (بادكير)، وهو المنفذ الذي يجيء منه الريح. انتهى. وهو مَهْوىً يُبنَى طولًا كالبرج في أعلى البناء، وله فتحةٌ مقابلةٌ لاتجاه هبوب الرياح، حيث يستخدم لاقتناص الهواء المار فوق المبنى، ويتم تبريد الهواء فيه إمَّا بتمريره على مسطَّح مائي، أو بوضع كتل الثلج عند فتحات الهواء. ينظر: «التبريد في التراث العلمي العربي» لسائر بصمه جي (ص: ١٢٦ وما بعدها).

وغلبَ عليَّ النَّومُ، إلى أن جاءَ الفرَّاشون، ففَرَغُوا من رشِّ الخَيشِ، وخرجوا ولم ينبهوني، وتمادى بي النومُ، فما انتبهتُ إلَّا بحركة في الخَيش[1]، فَقُمتُ، فإذا أنا قد أمسيت[2]، وإذا صَوتُ نساءٍ في الخيش، فَعَلِمتُ أنِّي مقتولٌ إن أُحِسَّ بي، وتحيَّرتُ فلَمْ أَدْرِ ما أَعمَلُ، فدخلتُ البادَهَنْج، وكانَ ضَيِّقًا، فَجعلتُ رِجلي على حائِطَيه، وتسلَّقتُ فيهِ، ووقفتُ فيه مُتَعَلِّقًا[3]، أترقَّبُ أن يُفطَنَ بي فأُقتَل.

وإذا بنسوةٍ فرَّاشاتٍ يَكنُسُن الخَيشَ، فَلَمَّا فَرَغْنَ من ذلك فَرَشْنَه، وعُبِّيَ فيه مجلِسُ الشَّراب.

ولم يكن بأسرعَ من أن جاءَ المقتدرُ بالله، وعدَّةُ جواري، ، وروحي تكاد [ض/ ٧٣] تخرُجُ، فإذا أَعْيَيْتُ نزلتُ وجَلَستُ في أرضِ البادَهَنْج، فإذا استرحتُ وخفتُ أن يُفطَنَ بي، عُدتُ وتسلَّقتُ، إلى أن مَضَتْ قِطعَةٌ من اللَّيل، ثمَّ عَنَّ للمقتدر أن جَذَبَ إليه حَظِيَّتَه الَّتي هي صاحِبَةُ تلكَ الدَّارِ، فانصَرف باقي الجَواري، وخلا الموضعُ، ثمَّ ناما في مكانهما، ولا سَبيلَ لي إلى النوم لحظةً واحدة؛ لما أُقاسِي من الخَوف.

ففكَّرت في أن أخرجَ فأصعدَ إلى بعض السطوحِ، ثمَّ علمتُ أنِّي إن فعلتُ ذلك تعجَّلتُ القَتل، ولم يَجُزْ أن أنجو.

---

(١) قوله: (وخرجوا، ولم ينبهوني... في الخيش) في (ض): (ومضوا).

(٢) (أنا قد أمسيت) في (ض): (بالليلِ قد أقبلَ، وجاء المسي)

(٣) في (ل): (ووقفتُ معلَّقًا).

فَلَمْ تزل تِلكَ حالي إلى أن انتبه المقتدرُ بالله في السَّحَر، وخرج من الموضعِ.

فلمَّا كانَ من غَدٍ نصفَ النَّهارِ، جاءَ عريفٌ آخرُ من الفرَّاشين، ومعهُ رِجالٌ، ففرشوا الخيشَ، فخرجتُ واختلطتُ بهم، فقالوا: أَيشٍ تعملُ هَهُنا؟ فأومأتُ إليهم بالسُّكوتِ، وقلتُ: اللهَ اللهَ في دمي، فإنَّ حَدِيثي طويل، فتذمَّموا[1] أن يفضحوني.

وقال بعضهم: ما بالُ لحيتك قد ابيضَّت[2]؟

فقلت: لا أعلم. وأخذتُ ماءً من قِرْبَةِ بَعضِهم، فرطَّبتُ به قِرْبَتِي، فخرجتُ بخروجهم.

فلمَّا صرتُ في مَوضِعٍ من دارِ الخليفَةِ، وقعتُ مغشِيًّا عليَّ، ورَكِبَتْني حُمَّى عظيمة، وذهب عقلي، فَحَمَلَني الفرَّاشون إلى منزلي، وأنا لا أَعقِلُ[3]، فبقيتُ مُبَرسَمًا[4] مُدَّة طَويلةً.

وقد كنتُ عاهَدتُ الله عَزَّوَجَلَّ -وأنا في البادهَنْج- إن هو خلَّصني، أن لا أَخدُمَ أحدًا أبدًا، ولا أشربَ النَّبيذَ، وأن أقلعَ عن أشياءَ تُبتُ عنها.

فلمَّا تفضَّل الله عَزَّوَجَلَّ بالعافية، وَفَيتُ بالنَّذرِ، وبِعتُ أشياءَ كانت لي، وضَمَمْتُها إلى دَراهِمَ كانت عندي، ولزمتُ دكَّانًا لحَمِي[5] أتعلَّم معه التِّجارَة،

---

(١) **تذمَّمَ**: استَنْكَفَ. ينظر: «مختار الصحاح» (ذ م م).

(٢) في (ظ، ل): (شابت).

(٣) (فَحَمَلَني الفراشون إلى منزلي، وأنا لا أعقل) ليست في (ظ، ل).

(٤) **البِرسَامُ**: الحمَّى إذا دامَتْ مع الصُّدَاعِ أو الثِّقَلِ في الرَّأْسِ، والحُمرَةِ في الوَجهِ وكراهةِ الضَّوءِ. ينظر: «فقه اللغة» (١/ ١٠٣).

(٥) في (ض): (لحَموي). وهو كلُّ قريبٍ للزوجِ مثل: الأب، والأخ، والعم، **وفيه أربع لغات**: =

وأتَّجِرُ، وتركت الدَّارَ، فما عُدتُ إليها إلى الآن، ولا أعودُ أبدًا إلى خدمَةِ النَّاس، ولا أَنقُضُ ما تُبتُ منهُ.

قال : ورأيتُ لحيتَه وقد كَثُرَ فيها الشَّيبُ جدًّا.

= (حمًا) مثل: عصًا، و(حَمٌ) مثل: يَدٌ، و(حموها) مثل: أبوها، يُعرَبُ بالحروف، و(حَمْءٌ) بالهمزة مثل: خَبْء. ينظر: «المصباح المنير» (ح م ي).

[٥: ٢٩] [سليمانُ بنُ الحسنِ يخرجُ من حبسِ أبي الحسنِ بنِ الفراتِ]

حدَّثني عليُّ بن هِشام، **قال**: كانَ أبو الحسن ابن الفُرات لما وليَ الوزارةَ الأولى، وَجَدَ سُلَيمانَ بنَ الحسنِ يتقلَّد مجلِسَ المُقابلَةِ في ديوان الخاصَّة[١] من قِبَلِ عَليِّ بنِ عيسَى، والدِّيوانُ كُلُّه إذ ذاك إلى عَليِّ بن عيسَى، فقلَّد أبو الحسنِ ابنُ الفُرات سُلَيمانَ الدِّيوانَ بأسره، وأقامَ يتقلَّده نَحوَ سنتَين.

فقامَ لَيلَةً في دار ابن الفُرات يُصَلِّي المغربَ، فَسَقَطت من كمِّه رقعَةٌ، فرآها بعضُ مَن حَضَرَ، فأخذها، ولم يَفطُنْ لها سُلَيمانُ، وقرأَها[٢] فَوَجَدَها سِعايَةً -بِخَطِّهِ- بابن الفُراتِ واشيًا به[٣] إلى المقتدرِ، وسَعيًا لابن عبد الحميد -كاتبِ السيدةِ[٤]- في الوزارةِ[٥].

فتقرَّب بها إلى ابن الفُرات، فَقَبَضَ على سُلَيمانَ في الوقت، وسيَّرَه[٦] في زَورَقٍ مُطبَقٍ إلى واسِطٍ، فحَبَسَه بها، وصادَرَه، وعذَّبه، فكانَ في العَذاب دَهْرًا،

---

(١) في (ظ، ل): (الخليفة).

(٢) (وقرأَها) ليست في (ض).

(٣) (واشيًا به) في (ض): (وأسبابه).

(٤) في (ظ، ل): (وسعيًا لابن كاتب السيدة).

(٥) هو محمَّد بن عبد الحميد، كاتب السيدة أم المقتدر (شغب)، عُرضت عليه الوزارة فأباها، وكان موسرًا بخيلًا، ومن مشايخ الكُتَّاب الذين يُعوَّل عليهم في الأمور وفي أحكام الدواوين، (ت: ٣٠٧هـ). ينظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ٧٤)، و«المنتظم» (١٣/ ١٩٢).

(٦) في (ل): (وأنفذه)، وفي (ظ): (وأقعده).

وأَيِسَ منهُ، فَبلغ ابنَ الفُراتِ أنَّ أمَّ سُلَيمانَ بنِ الحسن قد ماتَت بِبَغدادَ، وأنَّها كانت تتمنَّى رُؤيَتَه قبل موتها، فاغتَمَّ لذلك، وتذكَّر المَودَّة بَينه وبَين أبيه الحسنِ بنِ مَخْلَدٍ، فَبَدأ، وكتب إليه كتابًا بخَطِّه، أَقْرَأَنيه سُلَيمانُ بعد سنين كثيرةٍ من تلك الحال، فحَفِظْتُه، ونُسْخَتُه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ميَّزتُ -أكرمَكَ الله- بين حَقِّكَ وجُرمِك، فوجدتُ الحقَّ يُوفِي على الجُرمِ، وتذكَّرت من سالفِ خدمتِكَ[1] في المنازِل الَّتي فيها رُبِّيتَ، ومن[2] أهلها غُذِّيت، [ظ/٩٤] ما ثَنَاني إليك، وعَطَّفَني عليك، وأعادني لك إلى أفضلِ ما عهدتَ، وأَجمَلِ ما أَلِفْتَ.

فَثِقْ -أكرمك الله- بذلك، واسْكُنْ إليه، وعَوِّل في صلاح ما اختَلَّ من أمرك عليه، واعلَم أنِّي أُراعِي فيكَ حُقوقَ أبيك، الَّتي تقومُ بتوكيد السَّبَب، مقامَ اللُّحمَةِ[3] والنَّسب، وتُسَهِّلُ ما عَظُم من جنايتك[4]، وتُقَلِّلُ ما كَثُر من إساءتك.

ولن أدع مُراعاتِها والمحافظةَ عليها بمشيئةِ الله عَزَّوَجَلَّ، وقد قلَّدتُكَ أعمالَ دَسْتُمِيسَان[5] لسنة ثَمانٍ وتسعينَ ومئتينِ، وبقايا ما قبلها، وكتبتُ

---

(١) في (ظ، ل): (حرمتك).

(٢) في (ظ، ل): (وبين).

(٣) **اللُّحمَة**: القرابة. ينظر: «مختار الصحاح» (ل ح م).

(٤) في (ل): (خيانتك).

(٥) في (ل): (أعمال كذا وكذا)، وفي (ظ) بياض. **ودَسْتُمِيسَانُ**: كورةٌ جليلةٌ بين واسطٍ والبصرة والأهواز، وهي إلى الأهواز أقرب. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٤٤٥).

إلى أحمدَ بنِ محمَّدِ[1] بنِ حسنٍ[2]، بِحملِ عشرَةِ آلافِ دِرهَمٍ[3] إليك.

فتقلَّدْ هذه الأعمالَ، وأثِّر فيها أثَرًا جميلًا يَبين عن[4] كفاءتك، ويُؤَدِّي إلى ما أُحِبُّه من زيادتك، إن شاءَ الله تعالى.

قال أبو الحُسَين[5]: أحمدُ بنُ حسن[6] هذا، كانَ وكيلَ ابنِ الفُرات في ضِياعه بواسطٍ[7].

---

(١) (بن محمَّد) ليست في (ض).

(٢) (حسن)، وفي (ج، ش، ض): (جيش)، وفي المطبوع: (حبش)، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) (درهم) كذا في جميع النسخ، وفي «مرآة الزمان» (١٦/ ٥١٤): (دينار).

(٤) في (ل): (ينبئ من).

(٥) هو علي بن هشام، راوي القصة. سبقت ترجمته (١/ ٢٥٥).

(٦) في (ش): (جيش)، وفي (ن): (حبس)، وفي (ج): (حنش)، وفي المطبوع: (حبش).

(٧) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٨/ ١٩٤)، و«تحفة الأمراء» (ص: ١١٧)، و«مرآة الزمان» (١٦/ ٥١٣).

[٥: ٣٠] [محمَّدُ بنُ يزيدَ مولى الأنصارِ يَخرُجُ من حَبسِ يزيدَ بنِ مُسلِمٍ بإفريقيَّةَ]

وجدت في بعض الكتب: أنَّ عمرَ بنَ عبد العَزيز ولَّى مُحَمَّدَ بنَ يزيدٍ مولى الأنصارِ إفريقيَّةَ، وكانَ حسنَ السِّيرَة فيهم، فلمَّا ماتَ عمرُ بنُ عبد العزيز، وَوَلِـيَ يزيدُ بنُ عبد الملك الأَمرَ، صَرَفَه، وقلَّدَ يزيدَ بن أبي مُسلمٍ، كاتبَ الحجَّاجِ بن يوسُف.

فلمَّا وردَ يزيدُ إفريقيَّةَ، حَبَسَ مُحَمَّدَ بن يزيد، وبَسَطَ عليه العذابَ(١)، وطالبه بأموالٍ لم تكن عنده.

ثمَّ إنَّ يزيدَ بنَ أبي مُسلمٍ أجمع أن يصنعَ بأهل إفريقيَّة مثلَ ما صنعَ الحجَّاجُ بنُ يوسُف بأهل العراق، في ردِّه مَن مَنَّ الله عليه بالإسلامِ إلى بلَدِه ورُسْتاقِه(٢)، وأخذِهم بالخراجِ، فَبَلَغ ذلك أهلَ إفريقيَّة، فتراسلوا في قَتلِه، وتساعَوا فيهِ سِرًّا، حتَّى تمَّ لهم أَمرُهم، فوَثَبوا عليه وهو يُصَلِّي، فَقَتَلوهُ وقد سَجَدَ، وجاؤوا إلى حَبْسِه، فأخرجوا مُحَمَّدَ بنَ يزيدٍ، فَردُّوهُ إلى الإمارَةِ، **وكتبوا إلى يزيدَ بن عبد الملك:** إنَّا لم نَخْلَعْ يدًا من طاعَةٍ، ولكنَّ يزيدَ بنَ أبي مُسلمٍ سامَنا ما لا يَرْضَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ به، ولا المسلمون، مِن كَيتَ وكَيتَ، فقتلناه، ووَلَّينا محمَّدَ بنَ يزيدٍ. ووَصَفُوا جميلَ سِيرته.

---

(١) في (ظ، ل): (وتسلط عليه).

(٢) **الرُّسْتاق:** النَّاحِيَةِ التي هي طَرَفُ الإقليم. ينظر: «المصباح المنير» (ر س ت ق).

فكتب إليهم يزيدُ: إنِّي لم أَرضَ ما صَنَعَه يزيدُ بنُ أبي مُسلمٍ، وقد أمَّرت محمَّدًا عليكُم(١).

وقد مضى هذا الخَبَرُ برواياتٍ غيرِ هذه الرِّوايَة، وبغَير هذه السِّياقَة، فيما تقدَّمَ من هذا الكتاب(٢).

(١) ينظر: «تاريخ ابن خلدون» (٣/ ١٧٤)، و«النجوم الزاهرة» (١/ ٢٤٥).

(٢) في الباب الثالث (١/ ٣٣٢).

[٥: ٣١] [حُبِسَ في المُطْبَقِ سِتَّ عَشرَةَ سنةً وما أَيِسَ من فَرَجِ اللَّه]

حدَّثني البُهلُولُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ البُهلولِ التنوخيُّ[١]، **قال**: حدَّثني أبو عليٍّ الوَكيلُ على أبواب القُضاةِ ببغداد، ويعرف بالنَّاقدِ، **قال**:

[ض/ ٧٤] كنتُ أُقِيمُ خبرَ المسجونين في المُطبِقِ[٢] بمدينة المنصورِ[٣]، في أيَّام المقتدر بالله، فرأيتُ في المُطبِقِ رجلًا مغلولًا، على ظَهرِه لَبِنَةٌ من حَديدٍ، فيها ستُّونَ رِطلًا، فَسألتُه عن قصَّته، **فقال**: أنا واللهِ مظلومٌ.

فقلت له: وكيفَ كانَ أمرُك؟

قال: كنتُ في لَيلَةٍ من اللَّيالي في دَعوَةِ صديقٍ لي بسوقِ يَحْيَى[٤]، فَخرجتُ من عنده مُغَلِّسًا، وفي الوقت فضلٌ، وأنا لا أعلمُ، فلمَّا صرتُ في قِطعةٍ من الشَّارعِ،

---

(١) هو أبو القاسم التنوخي الأنباري، سكن بغداد، وحدَّث بها عن أبيه، (ت: ٣٨٠هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٧/ ٦٠٧)، و«المنتظم» (١٤/ ٣٤٥).

(٢) في (ظ، ل): (المحبسين). و**المُطبِق**: سجنٌ تحت الأرض. ينظر: «تاج العروس» (ط ب ق: ٢٦/ ٦٢).

(٣) في (ظ، ل): (السلام).

(٤) **سوق يحيى**: بالجانب الشرقي من بغداد، بين الرصافة ودار المملكة التي كانت عند جامع السلطان بين بساتين الزاهر على شاطئ دجلة، منسوبة إلى يحيى بن خالد البرمكي. ينظر: «معجم البلدان» (٣/ ٢٨٤).

فإذا مشاعلُ الطَّائِفِ[1]، فرَهِبتُه، وَلم أدرِ ما أعمل، فَرأيتُ شَرِيجَةً[2] مشوَّشةً، ففتحتها وَدخلتُ، ورَدَدْتُها كما كانت، وقمتُ في الدُّكان، ليجوزَ الطَّائِفُ فأخرجَ.

وبلغ الطَّائِفُ إلى الموضع فرأى الشريجةَ مشوَّشةً، **فقال:** فتِّشُوا هذا الدكانَ، فَدَخلَتِ الرجَّالَةُ بمشعلٍ، رأيت في ضَوئِه رجلًا في أرض الدكان مذبوحًا، وعلى صَدره سكينٌ، فَجَزِعتُ.

ورأى الرجَّالةُ ذلك المذبوحَ، ورأوني قائمًا، فلم يشكُّوا في أنِّي القاتِلُ.

فأخذني صاحبُ الشرطةِ فحبَسَني، ثمَّ عُرِضتُ، فضُرِبتُ ضربًا شديدًا، وعوقبتُ أصناف العُقوباتِ، وأنا أُنكِرُ، وعندهم أنِّي أتجلَّد، وهم يَزِيدونَني، فاجتمع أَهْلي، وكان لهم شَعْبٌ[3] بأسبابِ السُّلطان، فتكلَّموا فيَّ، واستشهدوا خَلقًا كثيرًا على سيرتي، فبعد شَدائِدَ وألوان أُعفِيتُ من القَتل، ونُقِلت إلى المُطبِق، وثُقِّلتُ بهذا الحديد، وتُرِكْتُ على هذه الصُّورَة منذُ سِتَّ عشرة سنةً. [ظ/٩٥]

قال: فاستعظمتُ مِحنَتَه، وبُهِتُّ من حَدِيثه.

فقال: ما لَكَ؟ والله ما آيَسُ مع هذا من تفضُّلِ الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ من ساعةٍ إلى ساعةٍ فرجًا.

---

(١) **الطَّائِفُ**: العَسَسُ، وهم الَّذينَ يطُوفُونَ للسُّلطانِ ليلًا. ينظر: «مختار الصحاح» (ط و ف)، و«المصباح المنير» (ط و ف).

(٢) **الشَّريجَةُ**: ما يُضَمُّ من القَصَبِ ويُجعَلُ على الحوانيتِ كالأبوابِ. ينظر: «المصباح المنير» (ش ر ج).

(٣) في (ظ، ل): (وكانت لهم سعية). أنسابُ العربِ ستُّ مراتب: **شَعْبٌ**، ثمَّ قبيلةٌ، ثمَّ عمارة، ثمَّ بطنٌ، ثمَّ فخذٌ، ثمَّ فصيلةٌ، فالشَّعب هو النسبُ الأول، والقبيلة ما انقسم فيه أنساب الشعبِ... إلخ. ينظر: «المصباح المنير» (ش ع ب).

قال: فوالله، ما خرجَ كلامُه من فِيهِ حتَّى ارتَفَعت ضجَّةٌ عظيمةٌ، وكُسِرَ الحَبسُ، ووَصَلَت العامَّة إلى المُطبِقِ ومطامِيرِه[1]، وأخرجوا كلَّ مَن هناكَ، وخرجَ الرجلُ في جُملَتِهم، وانصرفتُ، وأنا أُريد بيتي، فإذا **نازُوك** قد قُتِل، والفتنةُ قد ثارت، وفرَّجَ الله عَزَّوَجَلَّ عن الرجلِ، وعن جميعِ أهلِ الحبوس[2].

(١) جمع مطمورة: وهي بيتٌ يُبنَى تحت الأرض، يُحبَسُ فيه. ينظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٣٨)، و«المصباح المنير» (ط م ر).

(٢) وذلك في سنة (٣١٧هـ)، وهي فتنة نازوك وأبي الهيجاء التي أدَّت إلى خلع المقتدر، ثم قُتِلا وعاد المقتدر إلى الخلافة. ينظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ٢٥٩)، و«تجارب الأمم» (٥/ ٢٦٤).

[ه: ٣٢] [عاملُ كوثى ينجو من الحبسِ والقتلِ]

بلغني عن رجلٍ من أهل كُوثَى[١]، قال: كانَ يتقلَّدُ بلدَنا عاملٌ من قِبَلِ أبي الحسنِ بنِ الفُرات في بعض وزارَتِه، فافتتحَ الخراجَ واشتَدَّ في المطالبَةِ.

وكانَ في أطراف البلدِ قومٌ من العَرَبِ قد زَرَعُوا من الأرض ما لا يتجاسرُ الأَكَـرةُ[٢] على زراعَتِه، وكانَ العمَّال يُسامحونهم بِبَعض ما يجب عليهم من الخراج.

فطالَبَهم هذا العامِل بالخراجِ على التَّمام، أُسوَةَ الأَكَرَةِ[٣]، وأحضرَ أحدَهم فحقَّقَ عليه المُطالبَةَ، وهو مُمتَنِعٌ، فأمر بصفعِه، فصُفِعَ حتَّى أدَّى الخراجَ، وانصَرف، فَشَكا إلى بني عَمِّه، فتوافقوا على كَبسِ العامِل ليلًا، وقَتْلِه، وراسلوا في ذلك غيرَهم من العَرَبِ، وتواعدوا لليلةٍ بعينها.

فلمَّا كان اليومُ الَّذي تليه تلك الليلةُ، وَرَدَ إلى النَّاحية عاملٌ آخَرُ صارفًا للأوَّل، فأخَذَه، وضَرَبَه بالمقارِع[٤]، وأخذَ خطَّه بِمالٍ، وقَيدَّه، وأَمَرَ أن يُحمَلَ

---

(١) كُوثَى: موضعان بسواد العراق في أرض بابل، أحدهما: كُوثَى الطريق. والآخر: كُوثَى ربَّى، وبها مشهدُ إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبها مولده، وهما من أرض بابلٍ، وبها طُرِحَ إبراهيم في النار. ينظر: «معجم البلدان» (٤/ ٤٨٧).

(٢) الأَكَرَة: جمع أكَّار، وهو الحرَّاث. وفي (ظ، ل): (الأكثرون).

(٣) (فطالبهم هذا العامِل بالخراج على التَّمام أُسوَة الأكرة) ليست في (ض).

(٤) في (ظ، ل): (فقبض عليه، وصفعه).

إلى قَريَةٍ أُخرَى على فرسخٍ من البلد، فيُحبَس فيها، ووكَّل به عشرَةً من الرجَّالةِ، فسيَّروه مرَّة ماشيًا، ومرَّة على حمارٍ من حمير الشوكِ، فكاد ممَّا لحقَه أن يتلفَ، وحصل في تلكَ القريَة.

وكانَ له غُلامٌ قد ربَّاه، وهو خصيصٌ به، عارِفٌ بجميعِ أُمُوره، فهربَ عند وُرودِ الصَّارِفِ، فلمَّا كانَ من الغَدِ، لم يشعر المصروفُ المحبوسُ إلَّا وغلامُه الَّذي ربَّاه قد دخل عليه، وكان مجيؤه أشدَّ عليه من جميعِ ما لحِقَه؛ أسفًا[١] على الغُلام، وعلى نَفسه ممَّا يعرفهُ الغُلامُ، أَنْ يكونَ قد دلَّ عليه.

فقال: ويحك، قد وقعتَ في أيديهم؟

فقال له الغُلامُ: مَن هم؟ هاتِ رِجلَك حتَّى أكسرَ قيودَك، وتقومَ فتدخلَ بغداد.

فقال له: فأينَ الرجَّالة الموكَّلون بي؟

قال: يا مولايَ، قد فرَّجَ الله عَزَّوَجَلَّ عنكَ، وهَربَ الرجَّالة.

قال: فما السبب؟

قال: إنَّ الأعرابَ الَّذين كنتَ صفعتَ منهم رَجُلًا، وطالبتَه بالخراج كاملًا، كَبَسُوا البارحةَ دارَ العمالة، وعندهم أنَّك أنت العامِلُ، وكانوا قد عمِلوا على قَتلِك، ولم يكن عندَهم خبرُ صَرْفِكَ، ولا خبرُ وُرُودِ هذا العامِلِ، فَقَتَلوهُ على أنَّه أنتَ، وقد هربَ أصحابُه، وأهلُ البَلَدِ كافَّة، فَقُمْ حتَّى نمشي إلى بغداد؛ لئلَّا[٢] يبلغهم خبرُ كونِك ههُنا، فيَقْصِدُوكَ، ويقتلوك.

---

(١) في (ض): (وكانَ -لحبِّه- فراقُه عليه أَشدَّ من جميع ما لحِقَه؛ إشفاقًا).

(٢) في (ظ): (لا).

فَكَسَر القَيدَ، وقامَ هو وغُلامه يمشيان على غيرِ جادَّةٍ، إلى أن بَعُدا ودَخَلا قَريَةً، فاستأجرا منها ما ركباه[١] إلى بَغداد.

ولقي المصروفُ الوَزيرَ، وثرَّبَ[٢] على المقتول، **وقال**: قد أفسدَ النَّاحية، وأثار فتنَةً مع العَرَب حتَّى قتلوه[٣]، فأقرَّه الوَزيرُ على عملِه[٤]، وضمَّ إليهِ جَيشًا.

فعاد إلى كُوثَى، وتحصَّن بالجيش وأرهبَ العربَ، وأَرْغَبَهم، إلى أن صَلُحَ ما بينه وبينهم، ونظرَ لهم من الخراجِ ما كان طالَبَهم به، وأجراهم[٥] على رسومهم، وسكن إليهم وسكنوا إليه، وزالَ خَوفُه، واستقام له أمرُ عمله.

---

(١) في (ظ): (رَكِبا)، وفي (ل): (مركوبًا).

(٢) في (ظ): (وشنع). وثَرَّبَ عليه: قَبَّحَ عليه فِعْلَهُ. ينظر: «مختار الصحاح» (ث ر ب).

(٣) (حتى قتلوه) ليست في (ض، ظ).

(٤) في (ظ، ل): (الناحية).

(٥) قوله: (وأرهبَ العربَ... طالبهم به، وأجراهم) في (ظ): (وساس أمره مع العَرَب إلى أن صالحهم وحط لهم من الخراج كما كان يجري أمرهم).

[٥: ٣٣] [إبراهيمُ بنُ المَهْديِّ يخرجُ من حبسِ الأمينِ]

أخبرني أبو الفرج الأَمَويُّ، المعروفُ بالأصبهانيِّ، **قال**: أخبرني عمِّي الحسنُ بن محمَّد، **قال**: حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ، **قال**: حدَّثني هبةُ اللهِ بنُ **إبراهيمَ بنِ المهديِّ**[١]، عن أبيه، **قال**:

غَضِبَ عليَّ محمَّدٌ الأمينُ في بعض هَنَاتِه[٢]، فسلَّمني إلى كوثرٍ الخادمِ[٣]، [ظ/٩٦] فحبسني في سردابٍ، وأَغْلَقَه عليَّ، فمَكَثْتُ فيه لَيْلَتِي؛ فلمَّا أَصبَحتُ إذا أنا بشيخٍ قد خرجَ عليَّ من زاوية السِّردابِ، فدفع إليَّ وَسَطًا[٤]، **وقال**: كُل. فأكلتُ، ثمَّ أخرجَ قِنِّينَةً من شرابٍ، فشَرِبَ وسَقَاني[٥]، **ثمَّ قال**: غَنِّ لي: [من السريع]

---

(١) هو هبة الله بن إبراهيم بن محمَّد المهدي بن عبد الله المنصور، أبو القاسم، جالس الخلفاء، وكان عالمًا بالغناء، قليل الشعر، (ت: ٢٧٥، أو: ٢٧٩هـ). ينظر: «معجم الشعراء» (٤٩٢).

(٢) **الهناة**: الأمر العظيم، أو الشرور. ينظر: «تاج العروس» (هـ ن و: ٤٠/ ٣١٩).

(٣) هو خادم الأمين، كان وسيمًا، وكان له من حب الأمين جزء مقسوم، فكان يحبُّه كثيرًا، ومرَّة أصابه سهم خرق حجاب قلبه، فجزع عليه الأمين جزعًا كان دونه الجنون، وفيه كان يقول الأمين: [من مجزوء الرمل]

ما يُرِيدُ الناسُ مِنْ صَبٍّ بِمَنْ يَهْوَى كَئِيبِ
أَظْلَمُ النَّاسِ الَّذِي يَلْحَى مُحِبًّا في حَبِيبِ
كوثَرٌ دِينِي ودُنْيايَ وسَقَمِي وطَبِيبِي

وله فيه أشعار. ينظر: «تاريخ بغداد» (٤/ ٥٤١)، و«الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» (١/ ٥١٤)، و«الإنباء في تاريخ الخلفاء» (ص: ٩٠).

(٤) هو نوع من الطعام. والله أعلم.

(٥) (فشرب وسقاني) في (ظ، ل): (فشربت).

لــي مُـــدَّةٌ لَا بُـــدَّ أَبْـلُـغُـهَـا   مَـعْـدُودَةٌ[1] فَـإِذَا انْقَضَتْ مِتُّ

لَـو سَـاوَرَتْـنِـي الْأُسْـدُ ضَـارِيَـةً   لَقَتَلْتُهَا إِنْ[2] لَـمْ يَجِئِ الوَقتُ

فغنَّيتُه، وسمعني كوثرُ، فَصارَ إلى محمَّدٍ الأمين، وقال له: قد جُنَّ عمُّك، هو جالسٌ يُغَنِّي بِكَيتَ وكَيت.

فأمر بإحضاري، فأُحضِرتُ، فأخبرتُه القصَّةَ، فَرَضِيَ عنِّي، وأمر لي بسبع مئةِ ألفِ دِرهَمٍ[3].

(١) في (ر): (معلومة).

(٢) في (ظ، ل): (لغلبتها ما).

(٣) ينظر: «الأغاني» (١٠/ ٣١٤).

[٥: ٣٤] [أبو الحسينِ النُّورِيُّ وجماعةٌ ينجون من القتل]

[ض/ ٧٥] أَخبرني محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ المظفَّر، **قال**: أخبرنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ عبدِ الواحِدِ، **قال: أخبرني النُّورِيُّ الصُّوفيُّ**(١)، **قال**:

لما كانت المحنةُ، ورُمِيتُ أنا وجماعةٌ من الصُّوفيَّة بالكوفة بالزندقةِ، أُخِذْنا، وأُودِعنا المُطبِقَ أَيَّامًا، ثمَّ عُرِضْنا في بَعضِها(٢) على الشاه(٣)، وكانَ الواليَ، وقد أُغرِيَ بسفك دمائنا، فَعَمِلَ على ذلك، وأخرجَنا للمساءلة، وتقديمِ العذابِ، وإمراره(٤) علينا قبلَ القَتلِ، وكُنَّا تعاقدنا أن لا نتكلَّم حتَّى يكفينا صاحبُ الأَمر.

فقال للرَّقَّامِ(٥): أنتَ القائِلُ: إن قولي(٦) لجَّةٌ من نور؟ قال: فسكت؛ على العقد.

(١) هو أبو الحسين النوري، أحمد بن محمَّد، بغدادي المنشأ والمولد، خراساني الأصل، يعرف بابن البغوي، وكان من أجلِّ مشايخ القوم وعلمائهم، صحب سريًّا السقطيَّ، (ت: ٢٩٥هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٣٠)، و«طبقات الصوفية» للسلمي (ص: ١٣٥)

(٢) قوله: (في بعضها) ليس في (ظ، ل).

(٣) كذا في جميع النسخ، في هذا الموضع وما بعده، وفي المطبوع (ابن الشاه)، وهو الشاه بن مكيال، أحد قواد الدولة العباسية، استعمله المعتضد على حرسه، (ت: ٣٠٢). ينظر: «الكامل في التاريخ» (٦/ ٦٣٧).

(٤) في (ظ): (وتردد العذابِ وإقراره).

(٥) هذه النسبة إلى الرَّقْم على الثياب التَّوَّزِيَّة التي تجلب من فارس. ينظر: «الأنساب» (٦/ ١٥٥).

(٦) في (ض، ر): (قولك).

وحَضَرَ من ذَوي الأقدارِ والمنزلةِ مَن استعطف الشَّاهَ علينا، وأشارَ عليه بالتوقُّفِ في أمرنا، والزِّيادَةِ في استيضاح ما قُرِفْنا به(١).

فقال الشَّاهُ للرَّقَّام: أنت صوفيٌّ، ولعلَّك تأوَّلتَ أنَّ قولك: بسم الله نورٌ، وقولُك: الحمدُ لله -بعد فراغك- نورٌ.

فصاح الرقَّام صَيحَةً عظيمَةً: لحَنْتَ أيُّها الأَميرُ.

فقال النُّوريُّ: فواللهِ لقد أَضْحَكَنِي على ما بي.

فقال له الأمير: وقد صرتَ تنظرُ في النحوِ بعدي، حتَّى صرتَ تَعرِفُ اللَّحنَ من الصَّواب؟

قال: **فقال له الرَّقَّامُ:** حاشاك أيُّها الأَميرُ من اللَّحن الذي هو خطأٌ، إنَّما عَنَيتُ بقولي: «لحنت»، أي: فَطِنْتَ لمعنى الصُّوفيَّة(٢).

فقال الشاهُ: في الدُّنيا أحدٌ يَرمِي مثلَ هذا وأضرابِه بالزندقة؟ وأَمَرَ بتخليةِ سبيلنا.

فتخَلَّصنا ممَّا كُنَّا فيه، وما كنَّا نُحاذِرُه، وكفانا اللهُ عَزَّوَجَلَّ بأضعفِ الأسباب وأَيْسَرِها، فله الحمدُ(٣).

---

(١) أي: رُمِينا واتُّهِمْنا به. ينظر: «لسان العرب» (ق ر ف: ٩/ ٢٨٠).

(٢) في (ظ): (بمعنى الصوفيَّة).

(٣) قوله: (فله الحمد) ليس في (ظ، ل). انظر: «الرد على الشاذلي» (ص ٧٠-٧١، ١٠٥)، و«العبودية» (ص: ١٣٠)، و «الاستقامة» (٢/ ١٦).

[٥: ٣٥] [محمَّدُ بنُ أسلمَ الطوسيُّ يخرجُ من حبسِ ابنِ طاهرٍ]

حَبَسَ عبدُ الله بنُ طاهرٍ محمَّدَ بنَ أسلمَ الطوسيَّ[1]، فكتب إليه بعضُ إخوانِه يُعَزِّيه عن مكانِه.

فأجابَه ابنُ أسلمَ: كتبت إليَّ تُعَزِّيني، وإنَّما كان يجب أن تُهَنِّيني، أُرِيتُ العَجائِبَ، وعُرِضَتْ عَليَّ المصائبُ، إنِّي رأيتُ الله تعالى يتحبَّبُ إلى مَن يُؤذِيه، فكيف من[2] يُؤذَى فيه، إنِّي نزلت بَيتًا سَقَطت عنِّي فيه فروضٌ وحُقوقٌ، منها الجُمُعَةُ، والأمرُ بالمعروفِ، والنَّهيُ عن المُنكر، وعيادةُ المَريض، وقَضاءُ حُقوقِ الإخوان، وما نزلتُ بيتًا خيرًا لي في ديني منه.

فأُخبِرَ بذلك عبدُ الله بنُ طاهرٍ، **فقال:** نحن في حاجَةِ ابن أسلم، أَطلقوهُ[3].

---

(١) هو أبو الحسن، محمَّد بن أسلم بن سالم بن يزيد الخراساني الطوسي، الكندي مولاهم، الحافظ الرَّبَّاني، شيخ الإسلام، أحد الأبدال الحفَّاظ، صنَّف المسند والأربعين، (ت: ٢٤٢هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١٩٥)، و«الوافي بالوفيات» (٢/ ١٤٦).

(٢) قوله: (يُؤذِيه، فكيف من) سقطت من (ض).

(٣) (أَطلقوهُ) في (ظ، ل): (إذا أخرجوه، فأخرج منه). والقصة ذكرها «مرآة الزمان» (١٤/ ٤٠٠).

[٥: ٣٦] [فرجُ الرُّخَّجِيُّ يخرجُ من حبسِ المأمونِ]

وكان المأمونُ قد غَضِبَ على فَرَجٍ الرُّخَّجِيِّ، فكلَّمه عبدُ الله بنُ طاهرٍ، ومسرورٌ الخادِمُ(١)، في إطلاقِه.

قال فرجٌ: فَبِتُّ لَيلَتي مفكِّرًا، فأتاني آتٍ في منامي، **فقال لي**: [من البسيط]

لمَّا أَتَى فَرَجًا مِنْ رَبِّهِ فَرَجُ ... جِئْنَا إلى فَرَجٍ نَبْغِي لهُ الفَرَجَا

فلما كان من الغدِ، لم أشعر إلَّا واللواءُ قد عُقِدَ لي على ولايَةِ فارسَ والأهواز، وأُطلِقَ لي خمسُ مئة ألفِ درهمٍ معونةً.

وإذا أبو اليَنْبَغِيِّ الشَّاعِرُ(٢) قائمٌ على باب داري، وقد كَتَبَ هذا البَيتَ في رُقعَةٍ.

فقلتُ له: متى قلتَ هذا؟

قال: في الوَقتِ الَّذي رُضِيَ عنك فيهِ.

فأمَرتُ له بِعشرَة آلافِ دِرهَم(٣).

---

(١) هو أبو هاشم، مسرور الكبير، كان يتقلَّد البريد والخرائط، وحجَّ في عام (١٩٩هـ) في مئتي فارس. ينظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص: ١٩٦)، و«تاريخ الإسلام» (٤/ ١٠٥٦)، و«الوافي بالوفيات» (١١/ ١٢٧).

(٢) هو العباس بن طرخان، شاعرٌ مُحسِنٌ، ذو مزاحٍ وهجوٍ ومدحٍ للخلفاء، أفرد المرزبانيُّ أخبارَه، كان يقول: خدمتُ المنصورَ ولي ثلاثَ عشرةَ سنة، وعاش إلى دولة المعتصم ومات في حبسه لأنَّه هجاه. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦١٥)، و«الوافي بالوفيات» (١٦/ ٣٧٨).

(٣) ينظر: «أنس المسجون وراحة المحزون» (ص: ١٣٦).

[٥: ٣٧] [أبو الحسنِ الإسكافيُّ كاتبُ بُغا يخرجُ منَ الحبسِ بشفاعةِ ابنِ طاهرٍ]

قال عليُّ بنُ الحُسَين بنُ عبد الأَعلى الإسكافيُّ:

كنتُ أكتبُ لِبُغا الكبير[١]، فصَرَفَنِي، ونَكَبَني، وأخذَ مالي وضِياعي، وحَبَسَنِي بعد ذلك، وتهدَّدَني، وقيَّدني[٢].

فإنِّي لَفِي حَبسِه إذ سَمِعتُ حَرَكَةً، فسألت عنها، فقيل لي: قد وافى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الطاهِرِيُّ[٣]، صاحب الشرطة.

فقلت: هذا إنَّما حضر لعقوبتي، وطارت نفسي جَزَعًا.

فلم أَلْبَثْ أن دُعيتُ، فحُملتُ إليه في قيودي، وعليَّ ثيابٌ في نهايةِ الوَسَخِ، فأُدخِلتُ إليه كالميِّت لما بي ولِعِظَم الخَوفِ، فلمَّا وَقعت عينُ إسحاقَ عليَّ تَبَسَّمَ، فسَكَنَتْ نفسي.

فقال لي: إنَّ أخي أبا العباس[٤] كتب إليَّ أن أَشْفَعَ في أمرِك إلى الأمير بُغَا، وقد شفَّعني، وأزال عنك المطالبةَ، وردَّ[٥] عليك ضياعَك، فانصَرِفْ إلى مَنزِلك.

---

(١) هو بُغا الكبير، أبو موسى التركي، أحد قُوَّاد المتوكل وأكبرهم، كان موصوفًا بالشجاعة والإقدام، وله همَّة عالية وهيبة، ووَقْع في النُّفوس، وله فتوحات ووقعات، (ت: ٢٤٨هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٥/ ١٠٩٣).

(٢) (وقيَّدني) في (ظ، ل): (ونالني منه كلُّ مكروهٍ).

(٣) إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبي. سبقت ترجمته (١/ ٢٧٠).

(٤) هو عبد الله بن طاهر، وقد سبقت ترجمته (١/ ٢١٨).

(٥) في (ض): (فقال لي: قال بغا: إن أخي أبا العباس عبد الله بن طاهر كتب إليَّ يتشفع في أمرك =

فبَكَيتُ بكاءً شَديدًا، لِعِظَمِ ما وَرَدَ عليَّ[1] من السرور، ففُكَّتْ قُيُودي، وغُيِّرَتْ حالي، وانصرفتُ.

فَبِتُّ في بيتي، وبكَّرتُ في السَّحَر إلى إسحاقَ لأَشْكُرَه، وأسألَه عن الذي أوجب ما جرى؛ لأَنَّهُ شَيءٌ ما طَمِعتُ فيهِ، ولا كانت لي مراسلةٌ إلى أخيه[2]؛ فَلَقيتُه، وشكرتُه، ودعوتُ له ولأبي العَبَّاس، وسألتُه عن سَبَب ذلك.

فقال: ورد عليَّ كتابُ الأمير أبي العَبَّاسِ يقول فيه:

قد كانت كُتُبُ أبي موسَى بُغَا تَرِدُ عليَّ بمخاطباتٍ توجِبُ الأُنْسَ والخِلْطة، وتُلزِمُ الشُّكرَ والمِنَّة، ثمَّ تَغَيَّرَتْ، فبحثت عن السَّبَب، فأُعْلِمت أنَّ ذلك الكاتِبَ صُرِفَ، وأنَّه منكوبٌ، وحَقٌّ لمن أحسنَ عِشرتَنا، ووكَّد المودَّة بيننا وبَينَ إخواننا، حتَّى بان لنا مَوضِعَه، وعرفنا مَوقِعَه لمَّا صُرِف؛ **أن نرعى حَقَّه**، فصِرْ يا أخي إلى أبي موسَى بُغَا، وَسَلْه في أمرِ كاتبه المصروفِ عنِّي، واسْتَصْفِحْه عمَّا في نَفسِه مِنهُ، واسْتَطْلِقْه، وسَلْه رَدَّه إلى كَتَبَتِه، وإن كانَ ما يُطالِبهُ بِهِ ممَّا لا ينزل عنهُ، فأدِّه عنه من مالنا، كائنًا ما كانَ. [ص/٧٦]

فلَقِيته، ففعل ما رأيتَ، وأنا أُعاوِدُ الخطابَ في استكتابِك، وقد أَمَرَ لك الأَميرُ بكذا وكذا من المالِ، فَخُذْه.

فأَخَذْتُه، وشكرتُه، ودعوتُ للأميرين[3]، وانصرفتُ.

= وقد شفعته، وأزلتُ عنك المطالبةَ وردت).

(١) في (ظ): (على قلبي).

(٢) قوله: (لأَشْكُرَه، وأسألَه عن الذي... مراسلةٌ إلى أخيه) ليس في (ض).

(٣) في (ظ، ل): (ودعوت له، ولأخيه).

فما مَضَت إلَّا أَيَّامٌ حتَّى ردَّني إسحاقُ إلى كَتبَةِ بُغا بشفاعةِ أبي العَبَّاس، وتأثَّلَتْ حالي معه ونعمتي[1].

(١) في (ظ): (ورجعت حالي ونعمتي). وينظر: «مرآة الزمان» (١٤/ ٤٠٠).

[٥: ٣٨] [عمرُ بنُ هُبَيرَةَ يخرجُ من سجنِ القَسْرِيِّ ويستجيرُ بمَسْلَمَةَ بنِ عبدِ الملكِ]

حدَّثني عليُّ بنُ أبي الطَّيب، **قال:** حدَّثنا ابنُ الجرَّاح، **قال:** حدَّثنا ابنُ أبي الدُّنيا، **قال:** حدَّثني سُلَيمانُ بنُ أبي شيخٍ[1]، **قال:** حدَّثنا سُلَيمانُ بن زيادٍ[2]، **قال:**

كانَ عمرُ بن هُبَيرَة واليًا على العراق[3]، ولَّاه يزيدُ بنُ عبد الملك، فلمَّا ماتَ، واستُخلِفَ هِشامٌ، **قال عمر بن هُبَيرَة:** يُوَلِّي هشامٌ العراقَ أحدَ الرجلين: إمَّا سعيدُ الحَرَشِيُّ[4]، أو خالِدُ بنُ عبد الله القَسْرِيِّ، فإن ولَّى ابنَ النَّصرانيَّةِ، خالِدًا، فَهو البلاءُ. [ظ/٩٧]

---

(١) هو سليمان بن منصور بن سليمان، أبو أيوب الواسطي، سكن ببغداد في بركة زلزل، وكان عالمًا بالنَّسب، والتواريخ، وأيام الناس وأخبارهم، وكان صدوقًا، (ت: ٢٤٦هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٠/ ٦٧).

(٢) هو سليمان بن زياد بن ربيعة بن نعيم بن ربيعة بن عمرو الحضرمي المصري، والد غوث بن سليمان، ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وروى له الترمذي في كتاب «الشمائل»، وابن ماجه. ينظر: «تهذيب الكمال» (١١/ ٤٢٨).

(٣) هو عمر بن هُبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض، أبو المثنى الفزاري، كان أمير العراقين من قِبَل يزيد بن عبد الملك، مات وهو ابن نيف وخمسين سنة. ينظر: «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٣٧٣).

(٤) هو سعيد بن عمرو بن الأسود الحرشي، وليَ إمرةَ خراسان من قبل عمر بن هبيرة، ثمَّ عزله وسجنه، فلما وليَ خالدٌ القسريُّ العراق أخرجه من السجن وأكرمه، فلما هرب ابنُ هبيرة من سجن خالدٍ نفَّذَ سعيدًا في طلبه، فلم يدركه، فقدم سعيدٌ على هشام بن عبد الملك، فأمَّرَه على حرب الخَزر. ينظر: «تاريخ الإسلام» (٣/ ٤٢١)، و«الوافي بالوفيات» (١٥/ ١٥٥).

فولَّى هِشامٌ خالِدًا العراقَ، ودخل واسِطًا، وقد أُوذِنَ[1] عمرُ بالصَّلاةِ، فهو يَتَهَيَّأُ، وقد اعتمَّ، والمرآةُ في يدِهِ يُسَوِّي عِمَّته؛ إذ قيل: هذا خالِدٌ قد دَخَلَ، **فقال عمرُ بنُ هبيرة**: هكذا تقوم السَّاعَة، تأتي بَغتَةً.

فقَدِمَ خالِدٌ، فأخذَ عمرَ بنَ هُبَيرَة فقيَّده، وألبسهُ مدرَّعةً من صوفٍ.

فقال له: يا خالِد، بئسَ ما سَنَنْتَ على أهل العراق، أَمَا تخافُ أن يؤخَذ فيك[2] بمثل هذا؟

فَلَمَّا طال حَبسه، جاءَ موالٍ لعمر بن هُبَيرة، فاكْتَرَوا دارًا إلى جانِب الحَبسِ، ثمَّ نَقَبوا منها سَرَبًا[3] إلى الحَبسِ، واكْتَروا دارًا أخرى إلى جانب سور[4] المدينة، مدينةِ واسطٍ[5].

فلمَّا جاءت اللَّيلَةُ الَّتي أرادوا أن يخرجوه فيها من الحَبس، أفضَى النَّقبُ إلى الحَبسِ، فخرج من الحبس في السَّرَب، ثمَّ خرجَ إلى الدَّار يمشي، إلى أن بلغَ الدَّارَ الَّتي إلى جانب حائط المدينة، وقد نُقِبَ فيها، فخَرَجَ في السَّرَبِ منها حتَّى خرج من المدينة، وقد هُيِّئَتْ له الخيلُ خلفَ حائط المدينة، وعُلِم به بعد ما أصبحوا، وقد كانَ أظهرَ عِلَّةً قبل ذلك لكي يُمسِكُوا عن تفقُّدِه في كلِّ وَقتٍ.

---

(١) في (ظ، ل): (أُذِن).

(٢) عند ابن أبي الدنيا (يؤذن فيك)، وفي (ظ، ل): (أما تخاف أن تصرف فتبتلى).

(٣) **السَّرَبُ**: حفيرٌ تحت الأرض، كالنفق. ينظر: «لسان العرب» (س ر ب: ١/ ٤٦٦)، و«المصباح المنير» (س ر ب).

(٤) في (ض): (حائط).

(٥) (مدينةِ واسطٍ) في (ض): (بواسط).

فَأَتْبَعَهُ خالِدٌ سعيدًا الحَرَشيَّ، فَلَحِقَه، وبَينَه وَبَينَ الفُراتِ شيءٌ يسيرٌ، فتعصَّب له وتَرَكَه.

فقال الفرزدقُ في ذلك[1]: [من الطويل]

ولمَّا رَأَيتَ الأَرْضَ قَدْ سُدَّ ظَهْرُهَا وَلَـمْ يَـكُ إِلَّا بَطْنُها لَـكَ مَخْرَجًا
دَعَـوْتَ الَّـذِي نَـاداهُ يُونُسُ بَعْدَ ما ثَـوَى في ثَـلاثٍ مُظْلِماتٍ فَفَرَّجا
خَرَجْتَ ولم يَمْنُنْ عَلَيك طَلاقَةً[2] سوى رَبِذِ التقريبِ من آل أعوجا[3]
فَأَصْبَحتَ تَحتَ الأَرضِ قد سِرْتَ لَيلَةً وَما سارَ سَـارٍ مِثلَهَا حينَ أَدْلَجا

قال سُلَيمان بنُ أبي شيخٍ: فحدثني ابنُ أبي خَيْرَة[4]، **عن أبي الحَبْحَابِ**[5]،

---

(١) الأبيات للفرزدق في «ديوانه» (ص: ١١٠).

(٢) في (ظ، ل): (سفاهة).

(٣) في المطبوع: (سوى زائد التقريب)، وهو تحريف.
والرَّبَذُ خِفَّةُ اليد والرِّجلِ في العَمَلِ والمَشْيِ؛ رَبِذَ رَبَذًا فهو رَبِذٌ. **والتقريب**: ضربٌ من السَّيْر. **وأعوج**: عَلَمٌ لفرسٍ مشهور، نسب إليه «الأعوجيات» و«بنات أعوج»، وليس في العرب فحلٌ أشهر ولا أكثر نسلًا منه. ينظر: «التقفية في اللغة» (ص: ١٨٤)، و«المحكم» (١٠/ ٦٧)، «مختار الصحاح» (ع و ج).

(٤) قال المزي في «تهذيب الكمال» (٣٤/ ٤٣٩): «ابن أبي خيرة، اثنان: سعيد بن أبي خيرة، ومحمَّد بن هشام بن أبي خيرة السدوسي». **فسعيد بن أبي خَيْرة** هو بفتح المعجمة البصري مقبول، **روى له**: أبو داود، والنسائي، **ومحمَّد بن هشام ابن شبيب بن أبي خِيرة**، هو بكسر المعجمة، أبو عبد الله البصري نزيل مصر، وله مسند مروي، ثقة مصنِّف، قال فيه أبو حاتم: صدوق، (ت:٢٥١هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٦/ ٢٠٢)، و«توضيح المشتبه» (٢/ ١٧٦)، و«تقريب التهذيب» (ص: ٢٣٥ - ٥١١).

(٥) كذا في (ض)، وفي (ج): (الحنجات)، وفي (ش): (الجنحات).

قال: حَدثني[1] **حازِمٌ**[2] **مَولى عمرَ بنِ هُبَيرَة، قال:** كنتُ معه حين هَرَبَ من السِّجن، فبَلَغْنا دمشقَ بعد العَتَمَة، فأتى مَسْلَمَةَ بنَ عبدِ الملك، فأجارَه، وأنزلَه معه في بَيته.

وصلَّى مَسْلَمَةُ بنُ عبد الملك خَلفَ هشامِ بن عبد الملك الصُّبحَ؛ فلمَّا دخل هشامٌ دارَه استأذن عليه مَسْلَمةُ، فأَذِنَ له، فدَخَلَ، **فقال له هشام:** يا أبا سعيدٍ، ما أظنُّ ابنَ هُبَيرَة إلَّا قد طَرَقَك في هذه اللَّيلَة.

قال: أجل يا أمير المُؤمنينَ، وقد أَجَرْتُه، فهَبْهُ لي.

قال: قد وَهَبْتُه لك[3].

(١) قوله: (سُلَيمان...قال: حَدثني): مثبت من (ض، ج، ش)، وليس في باقي النسخ.

(٢) كذا في النسخ، وعند ابن أبي الدنيا: (خازم)، ولم نقف على ترجمته.

(٣) ينظر: «الفرج بعد الشدة» لابن أبي الدنيا (٩٠- ٩٢- ٩٣)، و«طبقات فحول الشعراء» (٢/ ٣٤٤).

[٥: ٣٩] [قَيْسَبَةُ بنُ كُلثومٍ يتخلَّصُ من أَسْرِه عند بَنِي عامرِ بنِ عُقَيلٍ]

حدَّثني أبو الفَرجِ القرشيِّ، المعروف بالأصفهانيِّ، **قال:** ذكر ابنُ الكَلبيِّ عن أبيه، قال[١]: خرج قَيْسَبَةُ بنُ كُلثومَ السَّكُوني[٢] -وكانَ مَلِكًا- يُريد الحَجَّ، وكانَت العَرَبُ تحجُّ في الجاهِليَّة، ولا يَعرِضُ بَعضُهم لبَعضٍ.

فَمَرَّ ببني عامرِ بنِ عُقَيل، فَوَثَبوا عليه، وأَسَرُوه، وأخذوا مالَه وما كانَ معه، وأَلْقَوه في القِدِّ[٣]، فَمَكثَ فيهِ ثلاث سنين، وشاعَ باليَمَنِ أنَّ الجِنَّ استطارَتْه.

فَبَينا هو في ذاتِ يومٍ شَديدِ البردِ في بَيتِ عَجوزٍ منهم، وقد يَئِسَ من الفرج، **إذ قال لها:** أَتاذَنينَ لي أن آتي تلكَ الأكمةَ فأتشرَّقَ عليها[٤]؟ فقد أضرَّ بي القَرُّ[٥].

---

(١) ما سبق في (ظ، ل): (وذكر ابن الكلبي قال).

(٢) هو قَيْسَبَة بنُ كلثوم بن حباشة السَّكوني الكندي، كان له قدر في الجاهلية، وفد على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يعرف له رواية، وشهد فتح مصر. ينظر: «تاريخ ابن يونس» (١/ ٤٠٥)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤/ ١٥٢).

(٣) في (ظ، ل): (القيد). **والقِدُّ:** قطعةٌ من الجلد غيرِ المدبوغ تُقطعُ طولًا، كانوا يقيِّدون بها الأسيرَ. ينظر: «تهذيب اللغة» (٨/ ٢٣)، و«مختار الصحاح» (ق د د)، و«لسان العرب» (س ي ر: ٤/ ٣٩٠).

(٤) **تشرَّق:** جلس في المشرُقة؛ وهي موضعُ القعود في الشمس. ينظر: «مختار الصحاح» (ش ر ق).

(٥) في (ظ، ل): (البرد)، ومعناهما واحد.

فقالت له: نعم. وكانَت عليه جُبَّةٌ له حَبَرَةٌ[1]، لم يُترَك عليه شيءٌ غيرَها.

فتَمَشَّى في أغلاله وقُيُودِه حتَّى صَعِدَ الأَكَمَةَ، ثمَّ أقبل يَضرِب ببصَرِهِ نحوَ اليَمَنِ، وتَغْشَاه عَبْرَةٌ، فبكى، ثمَّ رفع طَرفَه إلى السَّماء، **وقال:** اللَّهمَّ فاطرَ[2] السَّماءِ، فرِّج عنِّي[3] ممَّا أصبحتُ فيهِ.

فَبَينا هو كذلكَ، إذ عَرَضَ له راكبٌ يسيرُ، فأشارَ إليهِ أن أقبل، فأقبلَ الرَّاكِب، فلمَّا وَقَفَ عليه **قال له:** ما حاجَتُك يا هذا؟

قال: أين تُريدُ؟

فقال: أُرِيدُ اليمنَ.

قال: ومَن أنت؟

قال: أبو الطَّمَحان القَيْنِي[4]. فاسْتَعْبَرَ قَيْسَبَةُ.

فقال له أبو الطَّمَحان: مَن أنت؟ فإنِّي أرى عليك سيما الخَيرِ ولباسَ المُلوك، وأنت بدارٍ ليسَ فيها مَلِكٌ.

---

(١) **الحَبَرَةُ:** ضَرْبٌ من بُرُودِ اليَمَنِ. يُنظر: «لسان العرب» (ح ب ر: ٤/ ١٥٩).

(٢) في (ض): (ساكن)، والمثبت من (ر).

(٣) في (ر): (لي).

(٤) أبو الطمحان القَيْني، حنظلةُ بن الشرقي، أحد بني القَين من قُضاعة، فارسٌ، معمَّر، شاعرٌ من المخضرمين، أدرك الجاهليَّة والإسلامَ، ولم يرَ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان نديمًا للزُّبَير بن عبد المطَّلب في الجاهليَّة، عاش مئتي سنة. ينظر: «الأغاني» (١٣/ ٥)، و«الإصابة» (٢/ ١٥٦).

فقال: أنا قَيْسَبَةُ بنُ كُلثومٍ السَّكُونيُّ، خرجتُ عام كذا وكذا أُريدُ الحجَّ، فَوَثَبَ عليَّ أهلُ هذا الحَيِّ، وصنعوا بي ما ترى، وكشفَ عن أغلالِه وقُيوده، فاستعبرَ له أبو الطَّمَحان. [ظ/٩٨]

فقال له قَيسَبَةُ: هل لك في مئة ناقةٍ حَمراءَ؟

قال: ما أَحْوَجَني إلى ذلك!

قال: أَنِخ. فأناخَ.

ثمَّ قال له: أمعك سكِّين؟ **قال**: نعم.

قال: ارْفَع لي عن رَحْلِك. فَرفع له عَن رَحْلِه، حتَّى بَدَتْ خشبةُ مُؤْخِرِ الرَّحْلِ(١)، فكتب عليها قَيسَبَةُ بالمُسْنَد(٢)، وَلَيسَ يكتب به غيرَ أهل اليمن:

[من الخفيف]

بَلِّغَا كِندَةَ المُلوكَ جَمِيعًا ... حيثُ سارَتْ بالأَكْرَمِينَ الجِمَالُ
أَنْ رِدُوا الخَيلَ(٣) بالخَمِيسِ(٤) عِجَالًا ... واصْدُرُوا عنهُ والرَّوَايَا ثِقالُ(٥)

---

(١) في (ل): (مُؤْخِرِهِ). وهيَ الَّتي يَسْتنِدُ إليها الرَّاكِبُ. ينظر: «لسان العرب» (أخ ر: ٤/ ١٢).
(٢) **المُسْنَدُ**: خطٌّ لحِمْيَرَ مخالفٌ لخطِّنا، كانُوا يكتبونه أيام مُلكِهِم فيما بينهم. ينظر: «لسان العرب» (س ن د: ٣/ ٢٢٢).
(٣) كذا في النسخ، وفي «الأغاني» (العين)، وفي «الأنساب» للصحاري (٢/ ٤٥٦): (العير).
(٤) **الخَمِيسُ**: الجَيْشُ؛ لأنَّه خَمسُ فِرَقٍ: المُقَدَّمَةُ، والقَلْبُ، والمَيْمَنَةُ، والمَيْسَرَةُ، والسَّاقُ. ينظر: «مختار الصحاح» (خ م س).
(٥) **الرَّوايا**: جمع راوِية، وهي المَزادةُ فيها الماء، ويسمَّى البعيرُ الذي يُسقَى عليه راوية. ينظر: «تاج العروس» (ر و ي: ٣٨/ ١٩٢).

[ض/ ٧٧] هَـزِئَـتْ جـارَتِـي وقَـالَـتْ عَجِيبًا إذْ رَأَتْـنِـي في جِـيْـدِيَ الأَغْـلالُ

إنْ تَرَيْنِي عـارِيَ العِظامِ أَسِيرًا قَـدْ بَـرَانـي تَضَعْضُعٌ واخْـتِـلالُ

فَـلَـقَـد أَقْــدُمُ الكَتِيبَةَ بِالسَّيـ ـفِ عَلَيَّ الـسِّـلاحُ والـسِّـربـالُ[١]

وكتب تحتَ الشِّعرِ إلى أخيه أن يدفعَ إلى أبي الطَّمَحان مئةَ ناقةٍ حمراءَ، **ثمَّ قال له**: اقرأْ هذا على قَومي، فإنَّهُم سيعطونَك مئَةَ ناقةٍ حمراءَ.

فخرج تَسيرُ به ناقَتُه حتَّى أَتَى حَضْرَمَوتَ، فتشاغَلَ بما وَرَدَ له، ونَسِيَ أمرَ قَيْسَبَةَ حتَّى فَرَغَ من حَوائِجه.

ثمَّ سَمِعَ نسوةً من عَجائِزِ اليمنِ يتذاكَرْنَ قَيْسَبَةَ ويَبْكِينَ، فَذَكَر أمرَه، فأتى أَخاهُ[٢] الجَونَ بنَ مالك[٣]، **فقال له**: يا هذا، إنِّي أدلُّكَ على قَيْسَبَةَ، وقد جَعَلَ لي مئَةَ ناقَةٍ حَمراءَ.

فقال: هي لك. فكشف له عَن الرَّحْلِ، فلمَّا قَرأَهُ الجونُ بنُ مالك[٤] أمر له بمئةِ ناقَةٍ حمراء، ثمَّ أَتَى قيسَ بن مَعْدِيْكَرِبَ الكِنديَّ، أبا الأشعثِ بنِ قَيسٍ[٥]، **فقال له**: يا هذا إنَّ أخي في بني عُقَيلٍ أَسِيرٌ، فَسِرْ معي بقَومِك لنُخَلِّصَه.

---

(١) **السِّرْبالُ**: الدِّرعُ. ينظر: «تاج العروس» (س ر ب ل: ٢٩/ ١٩٦).

(٢) في (ل، ف) زيادة: (لأبيه وأمه).

(٣) في (ج، ش): (الحارث بن مالك)، وفي «الأغاني»: (الجون بن كلثوم).

(٤) قوله: (فقال له: يا هَذا، إني أدلك على... بن مالك) ليس في (ض).

(٥) هو قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة، ملك كندة، وولده الأشعث بن قيس معدود في الصحابة، وله عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رواية. ينظر: «تاريخ بغداد» (١/ ٥٥٦).

فقال له قيسٌ: أَتَسِيرُ تحت لوائي حتَّى أطلبَ ثأرَكَ وأُنجِدَكَ؟ وإلَّا فامْضِ راشِدًا.

فقال له الجَون: مَسُّ السَّماء أيسر من ذَلِكَ، وأهونُ عَليَّ ممَّا جِئتَ به.

فضَجَّت السَّكُون[1]، ثمَّ فاؤوا، ورَجَعوا، وقالوا: ما عليك من هذا؟ هو ابنُ عمِّكَ، ويطلُب لك بثأرِك، فأَنْعَمَ له[2] بذلك.

فَسارَ قيسٌ، وسارَ الجَونُ معه تحت لوائِه، وَكِندَةُ والسَّكونُ معه، فهو أوَّلُ يَومٍ اجتَمَعَتْ فيهِ السَّكونُ وَكِندَةُ لقيسٍ، وبه أدرك الشَّرفَ، فَسَارَ حتَّى أوقعَ ببني عامرِ بنِ عُقَيلٍ، فَقَتَلَ منهم مقتلةً عظيمةً، واستنقذَ قَيْسَبَةَ.

وقال في ذلك سَلَمَةُ بنُ صُبْحٍ[3] الكِنديُّ: [من السريع]

لا تَشْتِمُونا إِذْ جَلَبْنَا لَكُمُ ... أَلْفَيْ كُمَيتٍ كُلَّها سَلْهَبَهْ[4]

نَحْنُ أَبَلْنَا الخَيلَ في أَرْضِكُم[5] ... حتَّى ثَأَرْنَا مِنْكُمُ قَيْسَبَهْ

---

(١) **السَّكُون**: بَطْنٌ من قبيلة كِندة. ينظر: «الأنساب» للسمعاني (٧/ ١٦٤).

(٢) أي: قال له «نعم». ينظر: «مختار الصحاح» (ن ع م).

(٣) في (ظ، ل): (سلامة بن صبح)، وفي (ض): (سلمة بن صبيح)، وفي «الأغاني»: (سلامة بن صبيح)، والمثبت تلفيقٌ من النسخ، وموافق للمصادر. وهو سلمة بن صُبْح، من شعراء كندة، ذكره العسكري في «شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف» (٢/ ٤١١)، وأبو بكر الأزدي في «الاشتقاق» (ص: ٣٧١).

(٤) **الكُمَيتُ**: من الخَيلِ بينَ الأَسْوَدِ والأَحْمَرِ. **والسَّلْهَب**: الطويلُ من الخَيلِ والنَّاسِ. ينظر: «لسان العرب» (س ل هـ ب: ١/ ٤٧٤)، و«المصباح المنير» (ك م ت).

(٥) أي: حملناها على البول؛ ويقال:

لَنُبِيلَنَّ الخَيْلَ في عَرَصاتكم =

وَاعْتَرَضَتْ مِنْ دُونِهِمْ مُذْحِجُ ... فَصَادَفُوا مِنْ خَيْلِنَا مَشْغَبَهْ[1]

= ينظر: «معجم ديوان الأدب» (٣/ ٤٢٤)، و«لسان العرب» (ب و ل: ١١/ ٧٤).

(١) من الشَّغْبِ؛ وهو تَهْيِيجُ الشَّرِّ. ينظر: «مختار الصحاح» (ش غ ب). والقصَّة ذكرها أبو الفرج في «الأغاني» (١٣/ ٥).

[٥: ٤٠] [أبو العبَّاسِ بنُ بُسْطامَ يخرجُ من حبسِ القاسمِ بنِ عبيدِ اللّه]

حدَّثني أبو الحَسَنِ أحمدُ بنُ يوسُفَ الأَزرَقِ الكاتِبِ ابنِ يَعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ بُهلولٍ التنوخيُّ، قال: كنتُ وأنا حَدَثٌ أتعلَّم في ديوان زِمامِ السَّواد بين يَدَيّ كاتبٍ فيه يقال له: أبو الحسن عليُّ بنُ الفَتح، ويعرف بالمطوَّق، عاشَ إلى بعد سنة عشرين وثلاث مئَة، وأخرج إلينا كتابًا قد عَمِلَه في أخبار الوزراءِ منذُ وفاةِ عُبَيد الله بن يحيى بن خاقان، وإلى آخر أيَّام المقتدِر[١]، أو بعدها -الشَّكُّ من أبي الحسن أحمدَ بنِ يوسُفَ- وسَمَّاهُ[٢]: «كتاب مَناقِب الوزراء ومحاسن أخبارهم»، قَرَأْنا عليه بعضَه، وأجازنا[٣] بالباقي مناولةً.

قال مؤلِّفُ هذا الكتاب: وأعطاني أبو الحسنِ أحمدُ بنُ يوسُفَ الكِتابَ مناولةً، **فوجدتُ فيه:** أنَّ القاسِمَ بنَ عُبَيدِ الله[٤] اعتقَلَ أبا العَباسِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بن بَسْطامَ[٥] في دارِه أيَّامًا؛ لأشياءَ كانَتْ في نفسِه عليه، وأرادَ أن يُوقِعَ به،

---

(١) في نسخةٍ على هامش (ض): (القاهر بالله)، وليس بصوابٍ؛ فقد ذكر النديم أنه عَمِلَه إلى أيَّام أبي القاسم الكلوذاني، وأبو القاسم هذا استوزره المقتدر سنة (٣١٩هـ)، وأقام في وزارته شهرين. ينظر: «الفهرست» (ص: ١٦٢)، و«تاريخ ابن خلدون» (٣/ ٤٦٨).

(٢) قوله: (عاشَ إلى بعد سنة عشرين... وسَمَّاهُ) في (ظ، ل): (الذي له).

(٣) في (ظ، ل): (وأخبرنا).

(٤) القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، وزير المعتضد والمكتفي، سبقت ترجمته (٢/ ١٢).

(٥) هو أحمد بن محمَّد بن الحسن بن بسطام، أبو العبَّاس البغدادي الكاتب، ولي المناصبَ =

فَلَمْ يَزَلْ ابنُ بَسْطامَ يُدارِيه ويَلْطُفُ به إلى أن أطلقه وقلَّده آمِدَ[1] وما يتَّصل بها من الأعمال، وأخرجه إليها، وفي نَفسِه ما فيها.

ثمَّ نَدم على ذلك، فَوجَّه إليه في آخِر أيَّام وزارتِه بقائدٍ يُقال له عليُّ بنُ جيش[2]، ابنُ أخي قَوْصَرَّة[3]، ووكَّلَه به، فكانَ يأمُر وينهى في عَمِله، وهو موكَّلٌ به في دارِه، خائِفٌ على نَفسِه؛ لما قد ظَهَرَ من إقدامِ القاسِمِ على القَتل.

قال ابنُ بسطام: فأَخْوَفُ ما كنتُ على نفسي وحالي، وليسَ عِندي خبرٌ، حتَّى ورَدَ عليَّ كتابٌ عنوانُه: لأبي العَبَّاس أطالَ الله بقاءَهُ، من العَبَّاس بن الحسن[4].

فلمَّا رأيتُ العنوانَ ناقصَ الدُّعاءِ علمتُ أنَّ القاسِمَ بنَ عُبَيدِ الله قد ماتَ،

= الكبار، أخذ عن يعقوب بن السكيت، وروى عنه الأخفشُ الصغير، (ت: ٢٩٧) بمصر، وحُمِل تابوتُه إلى بغداد، فدُفن بمقابر باب الكوفة. ينظر: «مرآة الزمان» (١٦/ ٣٥٨)، «تاريخ الإسلام» (٦/ ٨٨٨).

(١) وهي أعظم مدن ديار بكر وأجلُّها قدرًا وأشهرها ذكرًا، بلد قديم حصين ركين مبنيّ بالحجارة السّود على نشز دجلة، فتحت في سنة عشرين من الهجرة. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٥٦).

(٢) في (ل): (حبش)، وفي (ظ) بدون نقط.

(٣) (ابن أخي قوصرة) ليست في (ل). وقَوْصَرَّة لقبٌ ليعقوب بن إبراهيم البوشنجي (أو الباذغيسي)، مولى الهادي، وجعل المتوكِّلُ إليه بريدَ مصر والإسكندرية وبرقة ونواحي المغرب، (ت: ٢٤١هـ). ينظر: «تاريخ الطبري» (٩/ ٩٨، ٢٠٣، ٢٠٦)، و«الكامل في التاريخ» (٦/ ١٥٣).

(٤) هو أبو أحمد، العباس بن الحسن بن أيوب بن سليمان الجرجرائي، الوزير الكبير، ولي وزارة المكتفي بالله، ثم وزارة المقتدر، وقُتل أثناء خلع المقتدر ومبايعة ابن المعتز، وذلك في (٢٩٦هـ)، وكانت وزارته أربع سنين ونصفًا. ينظر: «تاريخ الإسلام» (٦/ ٩٥٩)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥١).

وأنَّ العَباسَ بنَ الحَسَنِ قد تقلَّد الـوزارةَ[1]، فلم أَمْلِك نفسي فَرَحًا وسرورًا بالسلامة في نَفسي[2]، وزال الخوفُ عنِّي.

وقرأتُ الكتابَ، فإذا هو بِصِحَّة الخَبَرِ، وأَمَرَني بالخروجِ إلى مصر، وقلَّدَني الأَمانَةَ على الحُسَين بن أحمدَ الماذرائي[3].

[ظ/٩٩] **قال:** فخَرَجَ ابنُ بسطامَ إلى مصرَ، ولم يَزَلْ يتقلَّد الأَمانَةَ على الحُسَينِ بنِ أحمدَ[4] إلى أن تقلَّد الوزارةَ عليُّ بنُ محمَّدِ بن الفرات، فقلَّده مصرَ وأعمالها، فلم يزل بها إلى أن مات.

---

(١) (وأن العَباس بن الحسن قد تقلد الوزارة) ليس في (ظ، ل).

(٢) (بالسلامة في نَفسي) ليست في (ل).

(٣) سبق التنبيه [٣: ١٠] إلى أنَّ هذه النسبة إمَّا إلى (ماذرايا) بالذال المعجمة كما في «معجم البلدان» (٥/ ٣٤)، أو إلى (مادرايا) بالدال المهملة كما في «الأنساب» للسمعاني (١٢/ ١٣)، وإليها ينسب كُتَّاب الدولة الطولونيَّة، ومنهم **الحسين بن أحمد الماذرائي، المعروف بأبي زنبور**، سبقت ترجمته (١/ ٢٦٩).

(٤) قوله: (قال: فخرج... أحمد) في (ظ، ل): (فخرجت إلى مصر ولم أزل مقيمًا بها)، وليس في (ض)، وأثبتناه من (ر).

[٥: ٤١] [محمَّدُ بنُ القاسمِ الصوفيُّ يتخلَّصُ من حبسِ المعتصمِ]

وحدَّثنا أبو محمَّدٍ عبدُ الرَّحمَنِ الورَّاقُ، المعروفُ بالصَّيرفيِّ، ابنُ أبي العَبَّاسِ محمَّدِ بنِ أحمدَ الأثرَم، المُقرِئُ البغداديُّ[١] بالبَصرَةِ في المحرَّم سنةَ خمسٍ وأربَعين وثلاثِ مئةٍ، بكتاب «المبيِّضَة» لأبي العَبَّاس أحمدَ بنِ [عبيد][٢] الله بنِ عمَّار[٣]، في خَبَرِ العَلَوِيِّ الصُّوفيِّ، الخارجِ بالجُوْزَجان[٤] على المعتصمِ، وهو محمَّدُ بنُ القاسمِ بنِ عليِّ بنِ عُمَرَ بنِ عليِّ بنِ الحُسَين بن عليِّ بنِ أبي طالبٍ[٥] رضوان الله عليهم أجمعينَ، وكانَ عبدُ الله بنُ طاهرٍ حارَبه، وأَسَرَه، وبَعَثَ به إلى المعتصِم، وهو ببغداد.

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي العباس الأثرم، نزل البصرة **وروى عن**: محمَّد بن جرير الطبري، **وروى عنه**: القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي. ينظر: «تاريخ بغداد» (١١/ ٦٠٠).
وأمَّا أبوه أبو العبّاس محمَّد بن أحمد: سبقت ترجمته (١/ ١٨٣).

(٢) في النسخ: (عبدِ)، والتصويب من مصادر الترجمة، ومما ذُكِرَ في الباب الثامن (٤/ ١٥١).

(٣) هو أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمَّار، أبو العباس الثقفي الكاتب، المعروف بحمار العُزَير، روى عن: عثمان بن أبي شيبة، وسليمان بن أبي شيخ، ومحمَّد بن داود بن الجراح، **وروى عنه**: إسماعيل بن محمَّد بن زنجي الكاتب، وغيره، وكتابه «المُبَيِّضة في أخبار مقاتل آل أبي طالب»، وله أيضًا كتاب «الأنواء»، (ت: ٣١٩هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٤١٧)، و«الفهرست» (٢/ ٤٥٨ ط. الفرقان)، و«تحفة الأمراء» (ص: ٢٢٣).

(٤) **الجُوزَجان**: من قرى سَرْخَس على طريق هراة. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٢٩).

(٥) ويُكنَى أبا جعفرٍ، ولُقِّب بالصوفيِّ؛ لأنَّه كان يُدِمُن لُبسَ الثياب من الصوف الأبيض، خرج في أيَّام المعتصم سنة (٢١٩هـ) بالطَّالقان (بلدة بخراسان)، فأخذه عبدُ الله بنُ طاهرٍ، ووجَّه به =

قال: حدَّثنا أبو العَباسِ بنُ عمارٍ، **قال:** حدَّثنا أبو الحسن عليُّ بن محمَّدِ بن سُلَيمان النَّوْفَليُّ(١)، **قال:** حُدِّثت أنَّ المعتَصِم أَمَرَ أن يبنى حبس(٢) في بُستان موسَى، وكانَ القيِّمُ به مسرورًا مولى الرشيدِ.

قال: وكنتُ أرى هذا البناءَ من دِجْلةَ إذا رَكِبتُها، فخَبَّرني مَنْ دَخَلَهُ أنَّه كانَ كالبئرِ العَظيمَةِ، قد حُفِرَتْ إلى الماءِ، أو قَرُبَتْ(٣) مِنهُ، ثمَّ بُنِيَ فيها بناءٌ على هيئَةِ المنارة، مجوَّفٌ من باطِنِه وظاهِرِه، وله من داخِله مَدْرَجٌ، قد جُعِلَ فيه مَواضِعُ من التدريجِ، مُستَراحاتٌ، وَبُني في كلِّ مُستَراحٍ شَبيهٌ بالبَيتِ، يجلسُ فيهِ رجلٌ واحِدٌ، كأنَّهُ على مِقدارِه، يكون فيه مَكبوبًا على وجهه، لا يُمكنهُ أن يجلسَ فيه، ولا يَمُدَّ رِجلَيهِ.

فلمَّا قُدِمَ بمُحَمَّدٍ(٤) حُبِسَ في أسفلِ بَيتٍ كان في هذا الحَبسِ، فلمَّا استَقَرَّ به أَصَابَهُ من الجَهْدِ -لِضِيقِهِ، وظُلْمتِه، وبَرْدِه لنداوةِ الموضِعِ ورطوبته- ما كاد يَتْلَفُ من ساعَتِه(٥).

= إلى المعتصم، بعد وقائعَ كانت بينه وبينه. ينظر: «مقاتل الطالبيين» (ص: ٤٦٥)، و«المنتظم» (١١/ ٤١).

(١) وقد ذكر المسعوديُّ في «مروج الذهب» (٢/ ٨٠) أنَّ محمَّد بن علي النوفلي له كتابٌ اسمه: «الإخبار مما سمعناه من أبي العباس بن عمار». وقد سبقت ترجمته (١/ ٣٦١).

(٢) ما سبق من أول القصة إلى هنا في (ظ، ل): (ولما حارب عبد الله بن طاهر محمَّد بن القاسم الصوفي العلوي أسره وحمله إلى المعتصم فبنى له حبسًا).

(٣) في (ض): (أقربَ).

(٤) وهو محمَّد بن القاسم بنِ عليٍّ بنِ عُمرَ بنِ عليٍّ بنِ الحُسَين بن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ. **السابق الذكر.**

(٥) (وبَرْدِه لنداوةِ الموضِعِ ورطوبته- ما كاد يَتْلَفُ من ساعَتِه) في (ظ): (أمر عظيم، ومن برودته ونداوته فكاد أن يتلف).

فتكلَّم بِكَلامٍ رقيقٍ[1] سَمِعَه مَن كانَ في أعلى البناءِ ممَّن وُكِّلَ به، **فقال:** إنْ كانَ أَميرُ المؤمنينَ يُريدُ قَتْلي فالساعةَ أموتُ، وإن لم يكن يُريدُ ذلك فَقَدْ أَشْفَيتُ عليه.

فأخبرَ المعتصِمَ بذلك، **فقال:** ما أُريد قَتْلَه. وأَمَرَ بإخراجِهِ، فأُخرِجَ وقد زالَ عَقْلُه، وأُغمِيَ عليه، فَطُرِحَ في الشَّمس، وطُرِحَتْ عليه اللُّحُفُ، وأَمَرَ بحَبْسِه في بَيتٍ كانَ بُنِيَ[2] في البُستان، فَوقَه غرفَةٌ، وكانَ في البَيتِ خلاءٌ إلى الغُرْفةِ الَّتي فَوقَه، وفي الغرفة أيضًا خلاءٌ آخرُ إلى سَطحِها، فلم يَزَلْ مَحبوسًا فيه إلى أن تهَيَّأَ له الخُروجُ لَيلَةَ الفِطْرِ سنة عشرين ومِئَتَينِ[3]. [ض/٧٨]

فحَدَّثني عليُّ بنُ الحُسَين بنِ عمرَ بنِ عليِّ بن الحُسَين، وهو ابنُ عَمِّ أَبيه، **قال:** أصبَحْتُ يَومَ الفِطْرِ أَتَهَيَّأُ للرُّكوب، فأنا أَشُدُّ مِنْطَقَتي في وسطي[4]، وقد لَبِسْتُ ثيابي أُبادِرُ الرُّكوب[5] إلى المُصَلَّى؛ ما راعني إلَّا محمَّدُ بنُ القاسِمِ قد دَخَلَ إلى منزلي، فمُلِئْتُ رُعبًا وذُعرًا، **وقلت له:** كيفَ تخلَّصتَ؟

قال: أنا أُدَبِّرُ أمري في التخلُّص مُنذُ حُبِستُ. **ثمَّ وَصَفَ لي الخلاءَ الَّذي** كانَ في البَيت الَّذي حُبِسَ فيهِ إلى الغرفة التي فَوقَه، والخلاءَ الذي في الغرفةِ إلى السطح.

---

(١) في (ظ، ل): (خفي).

(٢) ليست في (ظ، ل).

(٣) كذا في (ض)، وفي (ظ، ل، ف): (تسع ومئتين)، وفي (ر، ن): (عشر ومئتين)، وفي «مقاتل الطالبيين» للأصبهاني (تسع عشرة ومئتين).

(٤) **المِنْطَقَةُ:** الحزام. ينظر: «مختار الصحاح» (ن ط ق).

(٥) قوله: (أَتَهَيَّأُ للرُّكوب.... الرُّكوب) في (ظ): (وأنا أريد الركوب - وفي (ل): الخروج).

قال: وأُدخِلَ معي يَومَ حُبِستُ لِبْدٌ[1]، فكانَ وِطائي وفِراشي.

قال: وكنتُ أرى بِغَرْشَ[2] -وهي قَريَةٌ من قُرَى خُراسان- حِبالًا تُعمَلُ من لُبُودٍ وتُضْفَرُ كما تُعمَلُ بالسُّيُور[3]، فتجيءُ أحكمَ شَيءٍ، فسوَّلَتْ لي نفسي أن أعملَ من اللِّبْدِ الَّذي كان تحتي حَبْلًا[4]، وكان على باب البيت قومٌ وُكِّلوا بي يحفظوني، لا يدخل إليَّ منهم أحدٌ، إنَّما يُكَلِّموني من خَلفِ الباب، ويناولوني من تَحتِهِ ما أتقوَّت به.

فقلت لهم: إنَّ أظفاري قد طالَت جدًّا، وقد احتَجْتُ إلى مِقْراضٍ. فجاءَني رجلٌ منهم[5] بمِقْراضٍ، أحدِ جانبَيه منقوشٌ نقشَ المِسْحَل[6].

وقلتُ لهم: إنَّ في هَذا البَيتِ فَأْرًا قد آذَوْني[7]، ويُقَذِّرُونَني إذا قَرُبوا منِّي، فاقطَعوا لي جَريدَةً من النَّخل أطرُدُهم بها.

---

(١) **اللِّبْدُ**: ما يَتَلَبَّدُ من شَعرٍ أو صوفٍ، ولَبِدَ الشيءُ بمعنى لَصِقَ. ينظر: «المصباح المنير» (لبد).

(٢) وهي بين الشين المعجمة والجيم على لغة الفرس، وبعضهم يقول: (غرج)، ويقال أيضًا: (غرجستان، وغرشستان)، والغالب على لسان أهل خراسان تسميته: (الغور) وهي بين غزنة وكابُل وهَرَاة وبلخ. ينظر: «معجم البلدان» (٤/ ١٩٤)

(٣) **السُّيُور**: جمع سَيْر، وهو قطعة من الجلد تُقطعُ طولًا. ينظر: «لسان العرب» (س ي ر: ٤/ ٣٩٠).

(٤) قوله: (فتجيء أحكم... تحتي حبلًا) ليس في (ظ، ل).

(٥) في (ظ) زيادة: (يميل إلى مذهب الزيدية)، وفي (ل): (يميل إلى مذهب الزندقة).

(٦) (نقشَ المِسْحَل) في (ظ، ل): (كأنَّه مبرد). **والمِسْحَل**: المِبْرَد. ينظر: «لسان العرب» (س ح ل: ١١/ ٣٢٩).

(٧) **الفَأْرُ**: جمعُ فَأْرَةٍ، قال ابن سيدة: الفأر معروف، وجَمعُهُ فِئْرانٌ وفِئَرَةٌ، والأنثى فأرة. وقيل: الفأر للذكر والأنثى. ينظر: «لسان العرب» (ف أ ر: ٥/ ٤٢).

فَقَطَعُوا إليَّ من بعض نَخلِ البُستان جَريدَةً، فرَمَوا بها إليَّ، وكنت لا أزال أَضْرِبُ بها أُسمِعُهم صَوتَها أيَّامًا، ثمَّ قشرتُ الخُوصَ عنها، وقطعتُها على مِقدارِ ما ظننتُ أنَّه يعتَرِض في ذلك الخلاء إذا رميتُ بها.

فضَمَمْتُ ما قطعتُه منها بعضَه إلى بعضٍ، وقَصَصْتُ اللِّبْد، وضَفَرْتُه[1] حبلًا، على ما كنت أرى كما يُعمَلُ ذلك بِغَرْشَ، ثمَّ شدَدْتُ ما قَطَعتُه من الجريدةِ في رأس الحَبلِ، ثمَّ رميتُ به في الكُوَّة[2]، وعالجته حتَّى اعترضَ فيها، ثمَّ اعتمدتُ عليه وصَعِدْت إلى الغرفة، ومِنَ الغُرفة إلى السَّطْح، **قال:** فَفَعَلْتُ ذلك مِرارًا، في أيَّامٍ كَثيرَةٍ، وتمكَّنتُ من الحركة؛ بأن سَحَلْتُ[3] بجانبِ المقراضِ إحدَى حَلْقَتي القَيدِ، وَلم يُمْكِنِّي أن أَسْحَل[4] الأُخرَى، فكنت إذا أردت الحركةَ شَدَدتُ القَيدَ مع ساقي فأتحرَّكُ، وَقد صِرْتُ مُطْلَقًا.

فلمَّا كانَ في هذه اللَّيلَة، وقد شُغِلَ النَّاسُ بالعيد، وانصَرفَ مَنْ كانَ على الباب من الموكَّلين، فَلَمْ أُحِسَّ مِنهُم أحدًا، إلَّا شَيخًا واحدًا كنتُ أسمع حركتَه، وأطَّلِعُ فأراهُ؛ صَعِدتُ بَين المغربِ والعشاء إلى الغُرفَةِ، ومن الغرفة إلى السطح، فأَشْرَفتُ، فإذا المعتصِمُ يُفْطِرُ، والنَّاسُ بين يَدَيهِ[5]، فَرَجَعت. [ظ/١٠٠]

حتَّى إذا كانَ جَوفُ اللَّيلِ صَعِدتُ والناس نيامٌ، فنزلتُ إلى البستان، فإذا فيه قائِدٌ ومعهُ جماعَةٌ، فصاح بعضُهم **وقال:** مَنْ هذا؟

---

(١) في (ظ، ل): (وفتلت منه).

(٢) **الكوَّةُ**: الثُّقبَةُ في الحائِطِ. ينظر: «المصباح المنير» (ك وي).

(٣) في (ظ، ل): (بَرَدْتُ). ومعناهما واحد.

(٤) في (ظ): (أَبْرُدَ)، وفي (ل): (بَرْدُ).

(٥) في (ظ) زيادة: (والشموع تزهر).

فقلت: مَدِينِيٌّ[1] من أَصحابِ الحمَّامِ. وكان في البستان منهم جماعةٌ يشرفون على أَمرِ الحمَّام.

فقال لي: إلى أين تخرجُ السَّاعَةَ؟ اطْرَحْ نَفسَكَ حتَّى نُصبِحَ، وتُفْتَحَ الأَبوابُ.

فطَرَحْتُ نفسي بَينهم حتَّى فُتِحَ بابُ البُستان في الغَلَسِ، وقد تحرَّكَ النَّاسُ، فَصِرتُ إلى دجلةَ لأَعْبُرَ، فوجَدتُ الشَّيخ الذي كان بقي من الموكَّلين بي يريد العبورَ[2]، فطلبَ منِّي الملَّاحُ أُجرَتَه كما أخذَ من النَّاس[3]، فقلت: ما معي شيءٌ، أنا رجل غَريبٌ ضَعيفُ الحال. فقال لي الشَّيخ: اعبُرْ، فأنا أُعطِيه عَنكَ. فأعطاهُ -والله- عنِّي، وعبرتُ حتَّى جئتُك.

قال عَليُّ بن الحسين: فقلت له: واللهِ، ما منزلي بموضعٍ لك، فاخرُجْ عنِّي من ساعتك، ولا تُقِمْ فيهِ لَحظَةً واحدة. **قال:** وركبتُ إلى المصَلَّى.

فَصَارَ إلى منزلِ رَجُلٍ من الشِّيعَة، فأخفاه[4].

---

(١) هذه النسبة إلى عدَّةِ مدن، منها مدينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها مدينة السلام بغداد، وغيرها. ينظر: «الأنساب» للسمعاني (١٢/ ١٥٢).

(٢) في (ظ، ل) زيادة: (فنزلت لأعبر).

(٣) (أُجرَتَه كما أخذَ من النَّاس) في (ظ، ل): (قطعة).

(٤) وردت القصة في «مقاتل الطالبيين» (ص: ٤٧٠- ٤٧١) بسَردٍ مختلف.

[٥: ٤٢] [أحمدُ بنُ عيسى بنُ زيدٍ يتخلَّصُ من حبسِ الفضلِ بنِ الربيعِ]

وحدَّثنا أبو محمَّدٍ الأَثرَمُ[١]، في كتاب «المُبَيِّضَة»، **قال:** حدَّثنا أبو العَبَّاسِ بنُ عمَّارٍ، **قال:** حدَّثني هشامُ[٢] بنُ أحمدَ بنِ الأشهبِ البَغَويُّ، **قال:** حدَّثني أبو عبد الله جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ، **قال:** حدَّثني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ [رِياحٍ الجوهريُّ][٣]، **قال:** حدَّثني الفضلُ[٤] بنُ حَمَّادٍ الكوفيُّ -من أصحابِ الحَسَنِ بنِ صالحِ بنِ حَيٍّ[٥] - بوفاةِ عيسَى بنِ زيدِ بنِ عليٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالكوفَةِ، وكيفَ سُتِرَ ذلك عن المهديِّ، **فذَكَرَ حديثًا طويلًا، قال:**

فتواردت[٦] الأخبارُ على الرشيد بحُسْنِ طَرِيقَةِ أحمدَ بنِ عيسَى بنِ زَيدِ بنِ عليٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[٧]، ومَيلِ النَّاس إليه، فأَمرَ بِحَمْلِهِ، فَحُمِلَ إلى بغدادَ، ومعهُ

---

(١) هو عبدُ الرَّحمنِ الورَّاقُ الصيرفي، سبقت ترجمته (٢/ ١٧٩).

(٢) كذا في (ض)، وفي «مقاتل الطالبيين» (ص: ٤٩٣): (هاشم)، ولم نقف على ترجمته.

(٣) في (ض): (رَباحٍ الزهريُّ)، وهو تصحيف، والمثبت من المصادر، وهو أبو إسحاق، إبراهيم بن رياح -وقد صُحِّفَ في كثيرٍ من الكتب إلى رباح- بن شبيب الجوهريُّ، كان على ديوان الضِّياع، فعزله الواثِقُ، وحَبَسَه، ثمَّ أمر بتخليته لخبرٍ صَنَعَه أبو العيناء فيه، وتولى أيضًا نفقاتِ المأمون، وكان جوادًا. ينظر: «البرصان والعرجان» للجاحظ (ص: ٦٨)، و«تاريخ الطبري» (٩/ ١٢٥)، و«إعتاب الكتاب» (ص: ١٤٥)، و«زهر الآداب» (٣/ ٧١١)، و«نهاية الأرب» (٥/ ١٠١).

(٤) كذا في النسخ، وصحفت في المطبوع إلى (المفضل).

(٥) الحسن بنُ صالح بن صالحِ بنِ حَيٍّ الهَمْدانيُّ الثَّوريُّ، الكوفي، أبو عبد الله، كان فقيهًا وَرِعًا، وممَّن تجرَّد للعبادة ورَفَضَ الرئاسة على تشيُّعٍ فيه، يروي عن الشَّعبيِّ وسِماك بن حَرْبٍ، روى عنه أهل الكُوفة، (ت: ١٦٧هـ). ينظر: «الثقات» لابن حبان (٦/ ١٦٤)، و«تهذيب الكمال» (٦/ ١٧٧).

(٦) ما سبق من أول السند إلى هنا في (ظ): (لما توالت)، وفي (ل): (ولما تواترت).

(٧) هو أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الشهيد الحسين الحسيني، سيِّد العلويَّة وشيخهم، =

القاسِمُ بنُ عليٍّ بنِ عمرَ بنِ عَليٍّ بنِ الحُسَينِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو والدُ محمَّدِ بنِ القاسِمِ الصُّوفيِّ الخارِجِ بخراسان في أيَّام المعتصم، فحُبِسَا عِند الفضلِ بنِ الرَّبيع، فكانا في حَبسِه في داره الشارِعَةِ على دِجْلَة، قُرْب رأسِ الجِسر بمَشْرَعَةِ الصَّخرِ.

وكانَ حَسَنَ الصَّنيعِ إليهما، يُؤتَون بمائدةٍ كمائدتِه الَّتي توضَعُ بين يَدَيهِ، وتُواصَلُ من الحَلوَى والفاكهةِ والثلجِ في الصَّيف بمثل ما يكون على مائدته، إلى أن أُتُوا بالمائدةِ ذاتَ يومٍ فتغدَّيا[1]، ثمَّ رُفِعَت من بين أيديهم فوضِعَتْ بَين يَدي الموكلين بهما، فأكَلوا، وأكثروا، ودخل وقتُ القائلةِ، فناموا، **فخرجَ أحمدُ بنُ عيسَى بنِ زيدٍ** إلى جُبٍّ في ناحيَةِ الدِّهْلِيز، فرأى القَومَ نيامًا، فغرفَ من الجُبِّ بالكوز الَّذي معه، ثمَّ رَجَعَ **فقال للقاسم**: يا هذا اعلَمْ أنِّي قد رأيتُ فُرصَةً بَيِّنَةً، هؤلاء نيامٌ، والبابُ غيرُ مُقفَلٍ، لم يحكموه كما كانوا يفعلونَ، قد أَغْفَلُوه[2]، فاخْرُجْ بنا[3].

فقال له القاسِم: أَنْشُدُكَ اللهَ، لا تَفْعَلْ؛ فإنَّك تعلمُ أنَّا في عافيةٍ، خيرٌ ممَّا فيه كثيرٌ من أهل الحبوس، وهذا الرجل - يعني الفضلَ - بنا بَرٌّ، ولنا مُتعَهِّد[4].

= حبسه الرشيد عند الفضل بن الربيع مدَّة، فهرب وتنقَّل واختفى دهرًا طويلًا، وكبر وضعف بصره، (ت: ٢٤٧هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٥/ ١٠١٠).

(١) قوله: (يُؤتَون بمائدةٍ... يوم فتغدَّيا) في (ظ، ل): (يأتيهما بمائدة فإذا أكلا ورفعت من بين أيديهما، وضعت بين يدي الموكَّلين بهما، ويؤتون بالفواكه والثلج والحلوى، فأكلا يومًا من الأيام).

(٢) أي: تركوه وسَهَوا عنه. ينظر: «لسان العرب» (غ ف ل: ١١/ ٤٩٧).

(٣) (لم يحكموه كَما كانوا يَفعَلونَ قد أَغْفَلُوه، فاخرُج بِنا) ليس في (ظ، ل).

(٤) في (ظ، ل): (والفضل محسن إلينا).

فقال له أحمد: دَعْني منكَ، واعْلَم أنَّ العلامةَ بيني وبينكَ: أَنْ أَغْرِفَ من الجُبِّ، فإن تحرَّكَ القَومُ رجعتُ إليكَ، وكانَتْ عِلَّتي ظاهِرَةً بسبب ذلك الكُوزِ، [ض/٧٩] وإن لم يتحرَّكوا، فأنا واللهِ خارجٌ، وتارِكُكَ بموضعك، واعلَمْ أنَّك لا تَسلَمُ بعدي.

ثمَّ خرج وغَرَفَ بذلك الكُوزِ من الجُبِّ، ثمَّ طَرَحَه من قامَتِه، -وكانَ أطولَ منِّي ومِنكَ[(١)]- فما تحرَّكَ منهم أحدٌ، فقال للقاسم: قد رأيتَ ما استظهرتُ به لك ولنفسي، وأنا والله خارجٌ، ثمَّ مضى، واتَّبَعَهُ القاسِمُ، ففتحا البابَ وخَرَجَا، وقالا: لا نَجتَمِعُ في طَرِيقٍ، ولكن موعدُنا موضع كذا.

قال: فما جاز أحمدُ عتبةَ البابِ بخمسين ذراعًا حتَّى لَقِيَه غُلامُ الفضلِ بنِ الرَّبيع، مَدَنيٌّ، أَعْرف بهما منهما، فبُهِتَ الغُلامُ لمَّا رآه[(٢)]، فأومأ إليهِ أحمدُ بكُمِّه كالآمر له بغضبٍ أن تَنَحَّ، فما ملك الغُلامُ نفسَه أن فعل[(٣)]، ثمَّ كانَ عَزْمُه أن يَستَقيمَ في تلك الطريقِ، فلما بُـلِيَ من الغلام بما بُـلِي عَدَلَ عن تلكَ الطريقِ وسارَ في طريقٍ أُخرى؛ للاستظهار على الغلام، وأسرَعَ حتَّى نجا.

وذَكَرَ بَقيَّة الحديث[(٤)].

(١) (وكان أطول مني ومنك) ليس في (ظ، ل).
(٢) في (ظ، ل): (فلمَّا جازا العتبةَ بخمسين ذراعًا لقيهما.... لما رآهما).
(٣) في (ظ): (تنحَّى).
(٤) ينظر: «مقاتل الطالبيين» (ص: ٤٩٣).

[٥: ٤٣] [محمَّدُ بنُ ناصرِ الدولةِ الحَمْدانيُّ يتخلَّصُ من سجنِ أخيه أبي تَغلِب]

ومن ظَرِيف ما شاهَدناهُ من هذا الباب: أن أبا تَغلِبَ، فضلَ اللهِ، عدَّةَ الدولةِ ابنَ ناصِرِ الدولةِ استوحشَ من أخيه محمَّدُ(١) بعد موت أبيهما، فَقَبَضَ عليه، واستصفى مالَه ونِعمَتَه، وقَبَضَ عقارَه وضَيعتَه، وَثقَّله بالحديد، وأنفذه إلى القلعة المَعروفَة بأَرْدُمُشتْ(٢)، وهي مَشهورَةٌ من أعمال المَوصِل، حَصينَةٌ، فحبسه في مطمورةٍ، ووكل بحِفظِه عجوزًا يَثِقُ بها، جلدَةً ضابطةً، يقال لها: نازْبانوا(٣)، وأَمَرَها أن لا تُوصِلَ إليه أحدًا، ولا تُعَرِّفَه خبرًا، وأن تُخفِيَ مَوضِعه عَن جَميع شَحنَةِ القلعةِ وحَفَظَتِها، ففَعَلَتْ ذلك، فأقامَ على حاله تلك نحو ثمانِ سِنين.

ثمَّ اتَّفق أن انحدرَ أبو تَغلِبَ معاونًا لِبَخْتِيارَ بنِ مُعِزِّ الدولةِ أبي الحُسَين(٤)،

---

(١) هو أبو الفوارس الحمداني، محمَّد بن ناصر الدولة، خرج في سرية نحو بلاد الروم، فأسرته الروم بمن معه، وذلك عام (٣٤٨هـ)، وفي سنة (٣٦٠هـ) تولَّى نصيبين، واحتال عليه أخوه أبو تغلب فقبض عليه واعتقله في قلعة أردمشت، وضيّق عليه، وثقّله بالحديد حتَّى أطلقه عضد الدولة لمّا ملك تلك الديار. ينظر: «تجارب الأمم» (٦/ ٣٣٢)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ٧٦٠).

(٢) **أَرْدُمُشْت**: قلعةٌ حصينةٌ قرب جزيرة ابن عمر، في شرقي دجلة الموصل، على جبل الجوديِّ، فتحها المعتضد بالله وخرَّبها، وتُعرَفُ أيضًا بـ«كَوَاشِي». يُنظر: «معجم البلدان» (١/ ١٤٦).

(٣) في (ر، ط، ح): (يازبانوا)، وفي (س، ج، ش): (بازبانوا)، ولم نقف على ترجمتها.

(٤) هو عِزُّ الدولة بن مُعِزِّ الدولة، بختيار بن أحمد بن بويه الديلمي، صاحب العراق، أبو منصور، تسلطن بعد أبيه، فخرج عليه ابنُ عمِّه عضد الدولة، وجرت بينهما حروب، حتى قتله عضد =

ومعهما العساكرُ، يَقصِدان بغدادَ لمحاربة عَضُدِ الدولة أبي شُجاعٍ[١]، وَخرج للقائهما، فكانَت بينهما الوقعةُ المشهورةُ بقربِ قَصرِ الجَصِّ[٢]، فَقَتل بَخْتِيارُ، [ظ/١٠١] وانهَزَمَ أبو تغلبَ، فدخل المَوصِلَ، وخافَ من تخلُّصِ أخِيه محمَّدُ، فكتب إلى غُلامٍ له، كانَتِ القلعةُ مُسَلَّمةً إليه، يقال له: طاشتمر[٣]، في أن يُمكِّنَ رئيسًا من رؤساء الأكرادِ يُقالُ له: صالحُ بن بانويه[٤]، وكان كالشريكِ لطاشتمر[٥] في حفظ القلعة، من أخيه محمَّدِ بنِ ناصِرِ الدولةِ، ليُمضِيَ فيهِ ما أمر به، وكتب إلى صالحٍ، يأمُرُهُ بقتل محمَّد، فمكَّن طاشتمر صالحًا منهُ.

فلمَّا أرادَ الدُّخولَ على محمَّدٍ ليَقتُلَهُ، مَنَعَتْ نازبانوا[٦] من ذلك، **وقالت**: لا أُمَكِّن منه إلَّا بكتابٍ يَرِدُ عليَّ من أبي تغلبَ.

= الدولة سنة (٣٦٧هـ)، وكانت إمارته (١١ سنة). ينظر: «تكملة تاريخ الطبري» للهمذاني (ص: ١٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٢٣١).

(١) هو السلطان فناخسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي، سبقت ترجمته (١/ ١٩٤).

(٢) **قصر الجَصِّ**: قصر عظيم قرب سامرَّاء، بناه المعتصم للنزهة، وعنده قُتل بختيار بن معز الدولة بن بويه. يُنظر: «معجم البلدان» (٤/ ٣٥٦).

(٣) في (ض، ك): (طاشتم)، وأغلب كتب التاريخ على أنه طاشتمر التركي، وأخباره منثورة في ذلك، ففي سنة (٢٦١هـ) تحارب مع ابن واصل وعبد الرحمن بن مفلح، وقتل طاشتمر. ينظر: «تجارب الأمم» (٤/ ٤٣٢)، و«الكامل في التاريخ» (٦/ ٣٢١)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٣٨).

(٤) في (ر، ك): (بابويه)، وفي (ظ): (تانويه). وفي «تجارب الأمم» (٦/ ٤٤٢): (بادويه)، وهو رجلٌ من الأكراد بينه وبين أبي تغلب بن الحسن قربى من جهة والدته فاطمة بنت أحمد الكردية.

(٥) في (ض، ك): (طاشتم) في الموضعين.

(٦) في (ن): (نازيانوا)، وفي (ر): (بازبانوا).

ودخل عضدُ الدولةِ المَوصِلَ، وأجفلَ عنها أبو تغلبَ[1]، وكَدَّتْه[2]العساكرُ، واشتَدَّ عليه الطَّلبُ.

ووَرَدَ عليه كتابٌ من القلعة بما قالت نازبانوا[3]، فإلى أن يُجيب عنهُ أحاطت عَساكِر عَضُدِ الدولةِ بالقلعةِ ونازلوها، فانقَطع ما بين أبي تغلبَ وبينها، ولم يَصِلْ إليها كتابٌ.

ثمَّ فتحها عضدُ الدولةِ بعد شهورٍ، بأن واطأَهُ صالحُ بن بانويه على القبضِ على طاشتمر[4]، وكتب إليهِ يُعرِّفهُ ما عَمِلَه، ويستأذِنُه[5] فيما يعمله.

وكانَ لمحمَّدٍ خادمٌ خصيٌّ أسودُ مملوكٌ يلي أمرَ دارِه، اسمُه ناصحٌ، وكانَ بعد القَبضِ على محمَّدٍ، قد وقع إلى عَضُدِ الدولة، وهو بِفارِس[6]، فَصارَ من وُجوهِ خَدَمَتِه، فلمَّا وَرَدَ خبرُ فتحِ القلعةِ، أَذْكَرَهُ ناصحٌ بأمرِ مَولاه، فكتب بأن يُطلَبَ في القلعة، فإن وُجِدَ حَيًّا أُطْلِقَ وأنفذ به إلَيهِ مكرمًا.

فحين دَخَلَ صالِحٌ، ومعهُ بعضُ مَن قد صَعِدَ إلى القلعة من أصحاب عَضُدِ الدولةِ إلى محمَّدٍ في محبسِه؛ جَزِعَ جزعًا شديدًا، ولم يشكَّ أنَّهم جاؤوا بأمرِ أبي تَغلِبَ لقتْلِه، فأخذ يتَضَرَّع، ويقول: ما يدعو أخي إلى قتلي؟

---

(١) أي: أسرع في الهرب. ينظر: «المصباح المنير» (ج ف ل).

(٢) في (ظ، ل): (وكَرَدَتْه). **وكلاهما معناه:** طردوه طردًا شديدًا. يُنظر: «لسان العرب» (ك د د: ٣/ ٣٧٨)، و(ك ر د: ٣/ ٣٧٩).

(٣) في (ن): (نازيانوا)، وفي (ر): (بازبانوا).

(٤) في (ض، ك): (طاشتم).

(٥) في (ظ، ل): (ويستأمره).

(٦) في (ظ، ل): (وكان لما قبض على محمَّد هرب إلى عضد الدولة).

فقال له صالحٌ: لا خوفَ عليك، إنَّما أَمَرَنا الملكُ أن نُطلِقَكَ، وتمضيَ إليه مُكَرَّمًا، فقد مَلَكَ هذه البِلادَ.

فقال: أَغَلَبَ ملكُ الرُّومِ على هذه النواحي، وفَتَحَ القلعة؟

قالوا: لا، ولكن الملكُ عَضُدُ الدولةِ.

قال: الَّذي كانَ بشيراز؟ **قالوا**: نعم.

فقال محمَّدٌ: أَوَقَدْ جاءَ إلى بَغداد؟ **قيل**: نعم.

قال: وأينَ بختيار؟ **قالوا**: قُتل.

قال: وأبو تغلب؟

قالوا: انهزمَ ودخل إلى بلد الرُّوم.

فقال: والملكُ عضدُ الدولةِ أين هو؟

قالوا: بالمَوصِل، وهو ذا نحملك إليه مُكَرَّمًا.

فسجدَ حينَئِذٍ شُكرًا، وبكى بكاءً شديدًا، وحَمِدَ الله عَزَّوَجَلَّ.

وجاؤوا ليفكوا[1] قيودَه، فقال: لا أُمَكِّن من ذلك إلَّا بعد أن يُشاهِدَ حالي الملِكُ.

فَحُمِل إلى المَوصِلِ إلى عَضُدِ الدَّولة[2]، فرأيتُه وقد أُصعِدَ به مُقَيَّدًا من المعبر الَّذي عَبَر فيهِ دجلةَ إلى دارِ أبي تغلبَ الَّتي نزلها عضدُ الدولةِ بالمَوصِل،

(١) في (ظ، ل): (فأرادوا فكَّ).

(٢) (إلى عضد الدولة) ليست في (ض).

وَكنتُ أنا إذ ذاك أتقلَّدها له، وجَميعَ ما فَتَحَه ممَّا كانَ في يَدِ أبي تغلبَ مُضافًا إلى حُلْوان[1]، وَقطعَةٍ من طَريق خُراسان، فرأيتُ محمَّدًا يمشي في قيوده، حتَّى دَخَلَ إلَيهِ، فقبَّل الأرض بَين يَديه، ودعا له، وشكره.

وأُخرِجَ إلى حجرَةٍ من الدَّار فأُخِذَ حديدُه[2]، **وَحُمِلَ** على فرسٍ فارِهٍ بمركبٍ حَسنٍ من ذَهَبٍ، وقُيِّدَ بين يَدَيهِ خمسُ دوابٍّ بمراكبِ فضَّةٍ مُذهبَةٍ، وَخمسٍ بجِلالها، وثَلاثونَ بَغْلًا بأُكُفِها[3] محمَّلةً مالًا صامِتًا[4]، ومِن صنوفِ الثِّيابِ الفاخرةِ، والفُرُشِ السَّريَّةِ[5]، والطِّيبِ، والآلاتِ المرتفعةِ القدرِ، **إلى دارٍ** قد فرِّغَتْ له، وفُرِشَتْ بفُرُشٍ حسنةٍ، ومُلِئَتْ بكلِّ ما يحتاج إليهِ من الصُّفرِ، والآلات الجافية[6]، والعُلُوفاتِ، والحَيَوانِ، والحَلوى، والطعامِ ممَّا نقل من المطبخ[7]، وغير ذلك.

---

(١) **حُلْوانُ** العراق: هي في آخر حدودِ السَّوادِ ممَّا يلي الجبالَ من بغداد، قيل: سميت بحلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، كان بعضُ الملوك أقطعه إيَّاها فسميت به. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٢٩٠).

(٢) أي: كسرت قيوده.

(٣) في جمعُ إكافٍ، **وإكاف الحمار**: بَرْذَعَتُه، وهو في المراكبِ شبهُ الرِّحال والأقتاب. ينظر: «تاج العروس» (أ ك ف: ٢٣/ ٢٧).

(٤) **المال الصامت**: الذهب والفضة، والناطقُ: الحيوان. ينظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» (/ ٣٩٨).

(٥) **سَرِيُّ المالِ**: خِيَارُهُ. ينظر: «المصباح المنير» (س ر ي).

(٦) **الصُّفر**: هو النحاس الجيد، وقيل: هو ضربٌ من النحاس تُتَّخذُ منه الأواني. ينظر: «لسان العرب» (ص ف ر: ٤/ ٤٦١).

والآلات الجافية: هي ما يتخذ الأخشاب كشجر الجُمَّيْزِ، وهو شجرٌ يشبه شجر التين. ينظر: «الإفادة والاعتبار» للبغدادي (ص: ٩).

(٧) في (ظ): (وأطعمة نقلت إليه).

ثمَّ أَقْطَعَه بعد أَيَّامٍ إقطاعًا بثلاثِ مئَة ألفِ دِرهَمٍ، وولَّاه إمارَةَ بَلَدِهِ وأعمالِه، وَجَميع ما كانَ يَتَولاهُ أَبو تغلبَ[1].

(١) ينظر: «مرآة الزمان» (١٧/ ٥١٦)، و«أنس المسجون» (ص: ١٤٩).

[٥: ٤٤] [أسرهُ الرومُ في أَيَّام مُعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتخلَّصَ من الأسرِ في أيَّام عبدِ الملكِ]

روى حُمَيدٌ[١] كاتبُ إبراهيمَ بنِ المهديِّ أنَّ إبراهيمَ حَدَّثهُ أنَّ مخلدًا الطَّبَريَّ كاتِبَ المهديِّ على ديوان السِّرِّ حَدَّثهُ أنَّ سالمًا مولى هشامِ بنِ عبدِ الملكِ وكاتِبَه على ديوان الرسائلِ[٢] أخبرهُ أنَّه كانَ في ديوان عبد الملكِ يتَعَلَّم كما يتَعَلَّم الأَحداثُ في الدَّواوين، إذ وَرَدَ على عبد الملكِ بنِ مروانَ كتابُ صاحبِ البريدِ أنَّ خَيلًا من الرُّوم تراءت للمُسلمين، فنفروا إليها ثمَّ عادوا ومعهُم رجلٌ كانَ قد أُسِرَ في أيَّام مُعاويةَ، فذكرَ أنَّ الرُّومَ لما تواقَفُوا مع المُسلمين[٣] أخبروهم أنَّهم لم يأتوا لِحَربٍ، وإنَّما جاؤوا بهذا المُسلمِ ليُسَلِّموه للمسلمين؛ لأنَّ عَظيمَ الرُّومِ أمرهم بذلك.

وذَكَرَ صاحب البَريدِ أنَّ النافرين ذكروا أنهم سألوا المسلمَ عمَّا قالت الرُّومُ، فوافَقَ قَولُه قَولَهم.

وذَكَرَ أنَّ الرُّومَ لما تركوه وانصرفوا سألناه عن سبب مَجِيئِه، فَذَكَر أنَّه لا يُخبِرُ بذلك أحدًا دون أمير المؤمنينَ. [ظ/١٠٢]

---

(١) في (ش): (نُجيد).

(٢) هو سالم بن عبد الله، ويقال: ابن عبد الرحمن، أبو العلاء، وكان أستاذ عبد الحميد بن يحيى الكاتب. ينظر: «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٧٩)، و«الوافي بالوفيات» (١٥/ ٥٥).

(٣) أي: وقفوا معهم موقف الحرب. ينظر: «تاج العروس» (و ق ف: ٢٤/ ٤٧٥).

فأمر عبدُ الملك بإشخاصِه، فأُشخِصَ إلى دمشقَ؛ فلمَّا دَخَلَ على عبدِ الملك، **قال له**: مَن أنت؟

قال: **قتَّاتُ** بنُ رَزِين اللَّخمي -**قال مؤلِّف هذا الكتاب**: كذا كان في الأصل الَّذي نقلتُ مِنهُ «قتَّات»، وأظنُّهُ خطأً؛ لأنَّ المشهورَ قُبَاثُ بن رَزِين اللَّخميُّ[١]، وقد روى الحديث عن عُلَيِّ بن رَباحِ اللَّخميِّ[٢]، عن عقبَةَ بنِ عامرٍ الجُهَنيِّ[٣]، أو لعلَّه غيرُه، والله أعلم. **رَجَعَ الحديثُ**[٤]- أَسْكُنُ فُسطَاطَ مِصرَ في الموضع المعروفِ بالحمراء، أُسِرْتُ في زمن مُعاوية، وطاغيةُ الرُّومِ إذ ذاك تُوما بنُ مَرزوق.

فقال له عبد الملك: فكيف كان فعله بكم؟

قال: لم أَرَ أحدًا أشدَّ عداوَةً للإسلامِ وأهلِه مِنهُ، إلَّا أنَّه كانَ حَليمًا، فكانَ المسلمونَ في أيَّامِه أحسنَ أحوالًا منهُم في أيَّام غَيرِه، إلى أن أفضى الأمرُ إلى ابنه ليون، فقال في أوَّل ما مَلَكَ: إنَّ الأسرى إذا طال أَسْرُهم في بلدٍ أَنِسُوا به، ولو كانَ على غايةِ الرَّدى[٥]، وَلَيسَ شَيءٌ أنكأُ[٦] لقُلوبِهِم من تنقُّلِهم من بلدٍ إلى بلدٍ.

---

(١) هو قباث بن رزين بن حميد بن صالح بن أصرم اللخمي، أبو هاشم المصري. قال أبو حاتم: لا بأس بحديثه. وكان إمام جامع مصر، (ت: ١٥٦هـ). ينظر: «تهذيب الكمال» (٢٣/ ٤٦٨)، و«تاريخ الإسلام» (٤/ ١٨٦).

(٢) هو عُلَيُّ بن رباح بن قصير بن قشيب اللخمي المصري، وهو عَليّ وإنَّما صُغِّر؛ لأنَّ بنو أميَّةَ إذا سمعوا بمولودٍ اسمه عَليّ، قتلوه، فبلغ ذلك رباحًا، فقال: هو عُلَيٌّ، وكان ثقة عالمًا إمامًا، (ت: ١١٤هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤١٢).

(٣) هو عقبة بن عامر بن عبس الجهني، أبو حماد، وقيل: أبو أسيد، سكن مصر، وكان واليًا عليها، وابتنى بها دارًا، (ت: ٥٨هـ). ينظر: «الاستيعاب» (٣/ ١٠٧٣).

(٤) قوله: (قال مؤلف هَذا... رَجَعَ الحديثُ) ليس في (ض، ظ، ل)، وأثبتناه من (ك).

(٥) **الرَّدَى**: الهلاك. ينظر: «لسان العرب» (ر د ي: ١٤/ ٣١٦).

(٦) في (ف): (أردى). **نكَأَ القَرْحةَ يَنكَؤُها**: قَشَرَهَا قَبْلَ أن تَبْرَأَ فَنَدِيَتْ. ونَكَأْتُ العَدُوَّ أَنْكَؤُهم: =

فأمَرَ باثنَي عشرَ قِدْحًا[1]، فكتب على رأسِ كلِّ قِدْحٍ اسمَ بِطْرِيقٍ[2] من بَطارِقة البُلدانِ، وتُضرَب في كلِّ سنةٍ أربعَ مرَّات، فَمَن خرج اسمُه في القِدْح الأوَّل حُوِّل إليهِ المسلمونَ، فاحتبسَهم عِنده شهرًا، ثمَّ إلى الثَّاني، ثمَّ إلى الثَّالِث، ثمَّ يُعاد القِدْح بعد ذلك.

فَكُنَّا لا نصير عند أحدٍ من البَطارِقة إلَّا قال لنا: احمَدُوا الله حيثُ لم يَبْتَلِكم ببِطْرِيقِ البُرْجان[3]، فكُنَّا نرتاع لذِكْره، ونحمَد رَبَّنا إذ لم يَبْتَلِنا به.

فمكثنا على ذلك سِنين، ثمَّ ضَرَبَ القِداحَ فَخَرَجَ الأوَّلُ والثَّاني لبِطْرِيقَين، والثَّالِثُ لبطريقِ البُرْجان، فمرَّ بنا في الشَّهرَينِ غمٌّ كَبيرٌ نترقَّب المكروهَ.

ثمَّ انقضى الشهران، فحُملنا إليهِ، فرأينا على بابه من الجَمعِ خلافَ ما كُنَّا نرى، ورأينا من زَبانِيَتِهِ من الغِلْظةِ خلافَ ما كُنَّا نرى، ثمَّ وصلنا إليهِ، فتبين لنا[4] من فَظاظَتِه وغِلْظته ما أيقنَّا معه بالهَلَكَة، ثمَّ دعا بالحدَّادينَ فأمرَ بتقييدِ المُسلمينَ

= لُغَةٌ في نَكَيْتُهم. ينظر: «لسان العرب» (ن ك أ: ١/ ١٧٤).

(١) **القِدْح**: سهم المَيْسِر. ينظر: «لسان العرب» (ق د ح: ٢/ ٥٥٦).

(٢) **البِطْرِيقُ**: القائد من قوَّاد الروم، وهو مُعَرَّبٌ، والجمع البطارِقَةُ. ينظر: «مختار الصحاح» (بطرق).

(٣) **البُرْجان**: هم من وَلَدِ يُونان بن يافث، وهي مملكةٌ كبيرةٌ واسعةٌ، وهم يُحارِبُون الرومَ حربًا شديدًا، بين القسطنطينية وبلاد بُرْجان خمسة عشر يومًا، وهم مجوسٌ ليس لهم كتاب، وذكر المسعوديُّ لهم عاداتٍ غريبةً، منها ما سيُذكر في القصَّة أنهم إذا مات لهم ميتٌ أنزلوه في بئرٍ، وأنزلوا معه امرأتَه وحَشَمَه، فيبقون هناك حتى يموتوا. وقد غزا المسلمون البُرجان أيَّام عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. والمقصود هنا **ببطريق البرجان**: البطريق الذي يلي حدودَ البرجان، والله أعلم. ينظر: «أخبار الزمان» للمسعودي (ص: ٩٧)، و«معجم البلدان» (١/ ٣٧٣).

(٤) (فتبين لنا) في (ظ، ل): (فبُلِينا).

بأمثالِ ما كانَ يُقَيِّدُهم به غَيرُه، فلم يزل الحَديدُ يُعمَل[1] في رِجلِ واحِدٍ واحِدٍ حتَّى صارَ الحدَّاد إليَّ، فنظر البِطْرِيقُ إليَّ نظرًا بخِلافِ العَينِ الَّتي كانَ ينظر بها إلى غَيري، ثمَّ كلَّمني بلسانٍ عربيٍّ، فسألَني عن اسمي ونَسَبي ومَسْكَني، كما سألني عنهُ أميرُ المُؤمنينَ، فصَدَّقْتُه فيما سألَني.

ثمَّ قال لي: كيفَ حفظُك لكتابكم؟ فأعلَمتُه أنِّي حافظٌ.

فقال: اقْرَأْ آلَ عمران. فقرأتُ منها خمسين آيةً، **فقال**: إنَّك لقارئٌ فصيحٌ.

ثمَّ سألَني عَن روايتي للشِّعر، فأعلمتُه أنِّي راوِيةٌ له، فاسْتَنْشَدَني لجماعةٍ من الشُّعَراء، فأنشدتُه، **فقال**: إنَّك لحَسَنُ الرِّوايةِ.

ثمَّ قال لخليفتِه: إنِّي قد وَمِقْتُ[2] هذا الرَّجلَ، فلا تُحَدِّدْه.

ثمَّ قال: وَلَيسَ من الإنصافِ أَنْ أَسوءَه في أصحابه، ففُكَّ الحَديدَ عن جماعَتِهم، وأَحْسِنْ مثواهم، ولا تُقَصِّر في قِرَاهم[3].

ثمَّ دَعا صاحبَ مَطبَخه، **فقال له**: لستُ أطعَمُ طعامًا ما دامَ هذا العَرَبيُّ عندي إلَّا معه، فاحْذَرْ أن تُدخِلَ مَطبخي ما لا يحِلُّ للمُسلمين أكلُه، وأن تجعَلَ الخمرَ في شيءٍ من طبيخك. ثمَّ دَعا بمائدةٍ، واستدناني حتَّى قعدتُ إلى جانِبه.

فقلت له: فَدَتْكَ نفسي، من أيِّ العَرَبِ أنت؟

---

(١) في (ل) (يجعل).

(٢) **ومِقَهُ**: أَحَبَّه. ينظر: «لسان العرب» (و م ق: ١٠/ ٣٨٥).

(٣) **القِرَى**: الضِّيافة. ينظر: «مختار الصحاح» (ق را).

فضَحِكَ، **وقال:** لستُ بعربيٍّ، ولستُ أعرفُ لمسألتكَ جوابًا فأُجيبَكَ عن سؤالك.

فقلت له: مع هذه الفصاحة بالعَرَبيةِ!

فقال: إن كانَ العِلم باللِّسانِ ينقل الإنسانَ من جنسه إلى جنسِ مَن حَفِظَ لسانَه، فأنت إذًا روميٌّ، فإنَّ فصاحتَكَ بلسان الرُّومِ ليست بدُونِ فصاحتي بلسانِ العَرَب، فعلى قياسِ قولكَ يَنبَغي أن تكون رُومِيًّا، وأكونَ عَربيًّا.

فصَدَّقتُ قَولَه، وأقمتُ عِندَه خمسَة عشرَ يومًا، لم أكن مُنذُ خُلِقتُ في نعمَةٍ أكبرَ منها.

[ظ/١٠٣] فلمَّا كانَ لَيلَةُ ستَّةَ عشرَ يومًا فكَّرت أنَّ الشَّهرَ قد مضى نصفُه، وأن اللَّياليَ تُقرِّبُني من الانتِقال إلى غيره، فَبِتُّ مَغمومًا.

وصارَ إليَّ رسولُه في اليوم السَّادِسَ عشرَ يدعوني إلى طَعامه، فلمَّا حَصَلَ الطَّعامُ بين أيدينا رأى أَكْلي مُقصِّرًا عمَّا كانَ يَعهَد، فَضَحِك، **ثمَّ قال:** أَحسَبُك يا عَرَبيُّ لمَّا مضى نصفُ الشَّهرِ فكَّرتَ في الأَيَّام أنَّها تُقَرِّبك من الانتِقال عنِّي إلى غَيري، فبِتَّ مغمومًا؛ لأنَّه لا يُعامِلُك أحدٌ بمثل مُعامَلتي، ولا عَيشُك معه كعَيشِك معي، فسهرتَ واعتراكَ غَمٌّ غَيَّر طعامك. فأعلمته أنَّه قد صَدَق.

فقال: ما أنا إنْ لم أُحْسِن الاختيارَ لصديقي بِحُرٍّ، وقد(١) أَمَّنك اللهُ مِمَّا حَذِرتَ، ولم أَلبَثْ في اليوم الَّذي وصلتَ إليَّ فيهِ حتَّى سألتُ الملِكَ فصيَّرك

---

(١) قوله: (ما أنا إنْ... وقد) في (ظ): (قد)، وليس في (ل، ف).

عندي ما كنتَ في أرض الروم، فلستَ تنقل عن يدي[1]، ولا تخرج منها[2] إلَّا إلى بلدك، وأرجو أن يُسَبِّبَ اللهُ ذلك على يدي. فطابت نفسي.

ولم أَزَلْ مُقيمًا عنده إلى أن انقَضى الشَّهرُ، فلمَّا انقَضى ضُرِبَ بالقداحِ، فخرج الأوَّلُ والثاني والثَّالِث لبطارقةٍ غيرِ الَّذي نحن عندَه، فحوَّل أصحابي، وبقيتُ وحدي.

وتغديت[3] في ذلك اليومِ مع البِطْرِيق، وكان من عادتي أن أنصرفَ من عنده بعد غدائي إلى إخواني من المُسلمين، فنتحدَّثُ ونأنَسُ، ونقرأ القُرآنَ، ونُجَمِّع الصَّلَواتِ، ونتذاكرُ الفَرائِضَ، ويَسمَعُ بَعضُنا من بعضٍ ما حَفِظَ من العلمِ وغَيرِه، فانصَرَفتُ ذلك اليومَ بعد غدائي إلى الموضعِ الَّذي كنت أصير إليهِ وفيه المسلمونَ، فلم أَرَ فيهِ أحدًا إلَّا الكَفَرَة، فَضَاقَ صَدري ضِيقًا تمنَّيتُ أنِّي كنتُ مع أصحابي، فَبِتُّ بليلةٍ صعبةٍ، لم أطعَمْ فيها الغُمْض[4]، فأصبحتُ أَكْسَفَ خَلقِ الله تعالى بالًا[5]، وأسوأَهُم حالًا.

وصارَ إليَّ الرَّسولُ في وقت الغَداءِ، فصِرتُ إليهِ، فتبيَّنَ الغَمُّ في أَسِرَّةِ وجهي[6]، ومددتُ يدي إلى الطَّعام فرأى مَدَّ يدي إليه خلافَ مدِّي الَّذي كانَ

(١) قوله: (فصيَّرك عندي... عن يدي) في (ظ): (أن يُصَيِّرَكَ عِندي مدى الدهرِ).

(٢) (منها) ليست في (ظ، ل).

(٣) (وتغديت) ليست في (ظ، ل).

(٤) **الغُمضُ**: النوم. ينظر: «لسان العرب» (غ م ض: ٧/ ١٩٩).

(٥) **كَسَفَ بالُه**: حَدَّثَته نَفسُهُ بالشَّرِّ، ورجل كاسف البال: سيِّءُ الحال. ينظر: «الصحاح» (ك س ف: ٤/ ١٤٢١)، و«لسان العرب» (ك س ف: ٩/ ٢٩٩).

(٦) **الأَسِرَّة**: جمعُ سِّرٍ أو سِرَرٍ، وجمعُ الجمع أسارير، وهو ما في الجبهة من الخطوط. ينظر: «تاج العروس» (س ر ر: ١٢/ ٧).

يعرف، فَضَحِكَ، **ثمَّ قال**: أَحسَبُك اغتَمَمْتَ بفراقِ أصحابِك؟ فأَعلَمتُه أنَّه صَدَق، **وسألتُه**: هل عِندَه حيلَةٌ في ردِّهم إلى يده وبلَدِه؟

[ص/٢٢١] **فقال**: إنَّ المَلِكَ لم يَرَ أن يَنقُلَ أصحابَكَ من يَدِي إلى يدِ غيري إلَّا لِيُعَذِّبهم بما يفعل، ومن المُحَال أن يَدَعَ تدبيرَه في الإضرار بهم لميلي إليك ومحبَّتي لك، وما عندي في هذا الباب حيلَةٌ.

فسألته أن يسأَلَ الملكَ إخراجي عن يَدِه، وضمِّي إلى أصحابي أكونُ معهم حيثُ كانوا.

فقال: ولا في هذا أيضًا حيلَةٌ؛ لأنِّي لا أستجيزُ أن أَنقُلَكَ من سَعَةٍ إلى ضِيقٍ، ومن كَرامَةٍ إلى هَوانٍ، ومن نعمَةٍ إلى شقاءٍ.

فلمَّا قال ذَلِكَ تبيَّنَ فيَّ الانكسارَ وغَلَبَةَ الغمِّ، **فقال لي**: بَلَغَ بكَ الغَمُّ إلى النِّهايَة؟

فأخبَرته أنَّه قد بلغ بي من[1] الغمِّ أن اختَرتُ الموتَ على الحياة؛ لعِلْمي أنَّه لا راحَةَ لي بغيره.

فقال: إن كنتَ صادِقًا فقد دَنَا فَرَجُك.

فسألتُه عمَّا دلَّه على ذلك، فأَعْلَمَني أنَّ بَطْرَقَةَ بَلَدِه لم تزل منذ سنينَ[2] في آبائِهِ يتوارثونها، وأنَّ عَددَهم كانَ كثيرًا، ولم يبقَ غيرُ أبيه وعَمِّه، وكانَت البطرقةُ إلى عَمِّه دون أبيه، وهما جميعًا بلا ولدٍ، فبَذَلا للمتطبِّبين الكثيرَ من الأموال

---

(١) ليست في (ل).

(٢) (منذ سنين) ليست في (ظ، ل)، وفي(ك): (منذ مئتي سنة).

لعلاجِهما بما يعالِجُ به المتطبِّبونَ الرجالَ والنساءَ، إلى أن بَطَلَ العمُّ ويَئِسَ من الانتشارِ[1]، فصرفَ بعضُ الأَطِبَّاء عنايتَه إلى معالجةِ أبي البِطْرِيقِ، فعَلِقَتْ أمُّه به.

فلمَّا علمَ العمُّ أنَّه قد عَلِقَتْ أمُّه به، جمع عدَّةً من الحَبالَى من أَلسِنَةٍ[2] مُختَلفَةٍ؛ منها العَرَبيُّ، والرُّوميُّ، والإفرنجيُّ، والصَّقْلَبِيُّ، والخَزَرِيُّ[3]، وغيرُ ذَلِك، فوَضَعْنَ في داره.

فَلَمَّا وضعت البطريقَ أمُّه، أمَرَ بتصيير أولَئِكَ النِّساءِ كُلَّهنَّ معه يُرْضِعْنه[4]، وتقدَّم إلى كلِّ واحِدَةٍ مِنهُنَّ أن لا تكَلِّمَه إلَّا بلسانِها.

فَلَمْ يستتمَّ له أربعُ سنينَ حتَّى تكلَّم بِكُلِّ الأَلسِنَةِ الَّتي لأمَّهاته اللاتي أرضعنَه.

ثمَّ أمر بتصييرِ مُلاعِبيه ومُؤَدِّبيه من جَميعِ أجناسِ النِّساءِ اللواتي ربَّيْنَه، فكانوا يُعَلِّمونَه الكِتابَةَ، وقراءَةَ كُتُبِهم، فلم تمرَّ عليه تسعُ سنينَ حتَّى عَرَفَ ذلك كُلَّه. [ظ/١٠٤]

---

(١) قوله: (يعالج به المتطببون... الانتشار) في (ظ، ل، ف): (يُصلِحُ الرِّجالَ للنِّساء).

(٢) في (ل): (في تلك السنة).

(٣) **الإفرنجي**: نسبة إلى فرنجة، وهو فرنجة بن حام، نُسِبَ إليه جماعةٌ من الروم. ينظر: «الأنساب» (١٠/ ١٩٧).

والصَّقْلَبِيُّ نسبة إلى الصَّقَالِبة، وهم عدَّةُ أُمَمٍ، فمنهم النصارى، ومنهم مَن يقولون بالمجوسية ومَن يعبدون الشمس، وبلادهم شرقيها البلغار الداخلة وبعضٌ من بلاد الروسِ؛ وجنوبيها بعض بحر بنطس (البحر الأسود) وبعض من الروم؛ وغربيها وشماليها بأسرِهِ مفازاتٌ وخرائِبُ الشمال. ينظر: «أخبار الزمان» (ص: ٩٢)، و«حدود العالم من المشرق إلى المغرب» (ص: ١٨٧)، و«اللباب في تهذيب الأنساب» (٢/ ٢٤٤).

والخَزَرِيُّ: نسبة إلى الخَزَر، وهم جيلٌ عظيمٌ من الترك، بلادهم خلف باب الأبواب الذي يقال له الدربند، وفيهم خلقٌ كثيرٌ من المسلمين والنصارى واليهود وعبدة الأوثان. ينظر: «آثار البلاد وأخبار العباد» (ص: ٥٨٤).

(٤) (يُرْضِعْنه) ليست في (ظ).

ثمَّ أَمر عَمَّه أن يُضَمَّ إليهِ جماعَةٌ من الفرسان يُعلِّمونَه الثِّقافةَ والمناولةَ[١]، وجَميعَ ما يتعلَّمُه الفرسان، وتقدَّم بمَنْعِه من سُكنى المنازلِ، وأمرَ أن يَنزِلَ في المضارِب[٢]، وأن يُمنعَ من أكل اللَّحم إلَّا ما يَصِيدُه بطائرٍ يَحمِلُهُ على يَدِهِ، أو بكلبٍ يسعى بين يَدَيهِ، أو بسهمِه.

فكانت تلكَ حالُه حتَّى استوفى عشرَ سنين، ثمَّ ماتَ عَمُّه، وَوَلِيَ أبوهُ البَطْرَقةَ بعد عَمِّه، وأمرهُ بالقُدوم عليه، فلمَّا رآهُ ورأى فَهمَه وأدبه وشمائِلَه، اشتَدَّ عَجَبُه به، فسَمَحَ له بما لم تكن المُلوكُ تسمَحُ لأولادها به، وأعدَّ له المَضَارِبَ والفَساطِيطَ الدِّيباجَ[٣]، وضمَّ إليهِ جماعةً كثيفةً من الفرسان، ووسَّع على الجميع في كلِّ ما يحتاجونَ إليه، وردَّه إلى سُكنى المضارِبِ، وأخذه بالاستبعاد عن منازل أبيه.

قال البطريق: فلمَّا تمَّت لي خمسَ عشرَةَ سنةً ركبت يومًا لارتيادِ مكانٍ أكون فيه، فبَصُرتُ بغديرِ ماءٍ قدَّرت طولَه ألفَ ذِراعٍ، وعرضُه ما بين ثلاث مئَةِ ذِراعٍ إلى الأربعِ مئةِ ذراعٍ، فأمرتُ بِضَربِ مضاربي عليه، وتوجَّهتُ إلى الصَّيد، فرُزِقتُ مِنهُ في ذلك اليومِ ما لم أطمعْ في مثله كَثرَةً، ونزلتُ في بعض المضارِب، فأمرت الطبَّاخين فطَبَخُوا لي ما اشتهيتُ من الطَّعام، ثمَّ نصبتُ المائِدَة بين يدي.

---

(١) **الثِّقافةُ**: العَمَلُ بالسَّيْفِ. **والمناوَلَة**: المناوَشةُ في القِتالِ، وقد تناوَشَ القومُ في القتال، إذا تناولَ بعضُهم بعضًا بالرماح، ولم يتدانَوا كلَّ التداني. ينظر: «لسان العرب» (ث ق ف: ٩/ ٢٠)، و(ن و ش: ٦/ ٣٦١).

(٢) **المضارب**: جمع مَضْرِب، وهو الخيمة، وضرب الخيمة: نصبها. ينظر: «المصباح المنير» (ض ر ب).

(٣) **الفَساطِيطَ**: جمع فُسطاط: وهو بيتٌ من شَعر. **الدِّيباج**: ضربٌ من الثِّياب سَدَاهُ وَلُحْمَتُهُ إبْرِيْسِمٌ، والإبريسم هو الحرير. ينظر: «لسان العرب» (ح ر ر: ٢/ ٢٦٢)، و(ف س ط: ٧/ ٣٧١)، و«المصباح المنير» (د ب ج).

فإنِّي لأنظرُ إلى الطبيخ يُغْرَفُ، إذ سَمِعتُ ضجَّة عَظيمَة، فما فَهِمتُ خَبَرَها حتَّى رأيتُ رؤوسَ أصحابي تتساقطُ عن أبدانهم، فتنحَّيتُ عن مكاني الَّذي كنتُ فيهِ وخلعتُ الثِّياب الَّتي كانت عَليَّ، ولَبِستُ بعضَ ثيابِ عَبِيدي، ثمَّ ضربتُ بِبَصَري يَمْنَةً ويَسْرةً فَلم أر حَوْلي إلَّا مقتولًا، وإذا فاعلُ ذلك بأصحابي مَنْسِرٌ[1] من مَنَاسِرِ البُرْجان.

ثمَّ أُسِرتُ كما تُؤسر العبيدُ، واحتُمِلَ جميعُ ما كان معنا من مَضْرِبٍ وغَيرِه، وصاروا بي إلى ملكِ البُرْجان، فلمَّا رآني -ولم يكن له ولدٌ ذكرٌ- أَمَرَ بالتوسعة عليَّ، وأن أكونَ واقِفًا على رأسِه، وسمَّاني ابنَه.

وكانَ للمَلِكِ بِنتٌ، وكانَ بها مُغْرَمًا، وكان قد علَّمَها الفروسيَّةَ، ومناولةَ[2] الفُرْسان، ومُسَاهَمَتَهم، ومُراكَضَتَهم.

فقال -وأنا حاضرٌ- **لجماعةٍ من بطارقَتِه:** مَن مِنكُم يتَوَجَّه إلى مَلِكِ الرُّوم، فيَجِيئُني بكاتبٍ من بَلَدِه عنده؛ ليُعَلِّم ابنتيَ الكِتابةَ.

فأعلمته أنَّ رسولَه لا يأتيه بأكتبَ منِّي، فأمرني أن أكتبَ بين يَدَيهِ، فكتبتُ، فاستحسنَ خطِّي، وقَرَنَه بكُتُبٍ كانَتْ تَرِدُ عليه من والدي، فرأى خطِّي أَجودَ منها، فَدفعَ إليَّ ابنَته وأمرَني أن أعلِّمها الكِتابَةَ، فهَوِيتُها وهَوِيَتْني.

---

(١) **المَنْسِر**: قطعةٌ من الجيشِ تمرُّ قُدَّامَ الجيشِ الكبيرِ، ويقال: المَنسِر الجيشُ لا يمرُّ بشيءٍ إلَّا اقتلعه. ينظر: «لسان العرب» (ن س ر: ٥/ ٢٠٥)، و«المصباح المنير» (ن س ر).

(٢) في (ظ، ل، ف): (ومساواة).

فَمَكَثَتْ معي حتَّى استوفتْ ثلاثَ عشرَة سنةً، ثمَّ عادت يومًا وهي باكيةٌ، **فقلت لها**: ما يُبْكيكِ يا سيِّدتي؟

فقالت: دَعْني، فقد يحقُّ لي البكاءُ. فسألتها عن السَّبَبِ.

فقالت: كنتُ جالسةً بين يدي أبي وأمِّي في هذه اللَّيلَة، فغَلَبَتْنِي عَيني، فَنمتُ، فسمِعت أبي يقول لأمِّي: أرى ثَدْيَي ابنَتِكِ قد فَلَّكا[1]، وأرى هذا الرُّومي قد غلُظَ كَلامُه[2]، وليسَ ينبغي أن يجتمعا بعد هذا الوقتِ، فإذا جَلَسَتْ غدًا معه فابعثي إليهما مَن يفرِّق بينهما؛ حَتَّى لا يَراها ولا تراهُ.

قال البِطْرِيق: ومِن سُنَّة البُرْجان أنَّ الرجلَ هو الذي[3] يخطُبُ لابنته زوجًا[4]، ولا يخطُب لها إلَّا مَن تختارُه البنتُ.

قال البِطْرِيقُ: فقلت لابْنَةِ الملكِ: إذا سألَكِ أبوكِ عمَّن تُحِبِّينَ أن أَخطُب لَكِ من الرِّجال، فقولي: لستُ أريدُ إلَّا هذا الرُّوميَّ.

فَغَضِبَتْ، وقالت: كيفَ يجوز أن أسأل أبي أن يُزَوِّجَنِي بعبدٍ؟

قال: فقلت لها: ما جعلني اللهُ عبدًا، وأبي مَلِكُ الرُّومِ.

قال: وأهلُ البُرْجان يُسَمُّون البِطريقَ الرُّوميَّ الَّذي يلي حدَّ البُرْجانَ «مَلِكَ الرُّوم».

---

(١) **فَلَّكَ ثديُ الجاريةِ**: اسْتَدارَ. ينظر: «لسان العرب» (ف ل ك: ١٠/ ٤٧٨).

(٢) في (ل، ك): (وأرى خلق هذا الرومي قد غلظ).

(٣) (أنَّ الرجُلَ هو الذي) في (ظ): (أن يكون الرجل).

(٤) في (ظ) زيادة: (حَتَّى يُزَوِّجها).

فسألَتْني: هل أخبرتُها بِحَقٍّ؟ فأَعلَمْتُها أنَّه حقٌّ. [ظ/١٠٥]

فما انقضى كلامُنا حتَّى جاءَ رسول الملِك ففرَّق بيننا، ولم يَمضِ بعد ذلك إلَّا ثلاثةُ أيَّامٍ حتَّى دعاني الملكُ، فدخلتُ عليه، فرأيتُ أَماراتِ الشَّرِّ في وجهه مُستَحكِمَة.

فقال لي: يا شَقِيّ، ما حَمَلَكَ على الكَذِب في نفسِك ونَسَبِك؟ وأنا أحكُم على مَن انتسبَ إلى غيرِ أبيه بالقَتلِ.

فقلتُ له: ما انتسبتُ إلى غير أبي.

فقال لي: أتقول إنَّك ابنُ ملك الرُّوم؟ فأعلمتُه أنِّي أقول ذلك، ودَعوتُه إلى الكَشف عَنهُ.

فقال: لستُ أحتاجُ إلى كَشفِ أَمرِكَ برَسولٍ أُرسِلُهُ ليَعرِفَ خبرَك، ولكنِّي أَمتَحِنُكَ بأشياءَ أعرِفُ منها صِدْقكَ من كَذِبك. فدعوتُه إلى كشفها بما شاءَ[1].

فَدَعا بدابَّةٍ، ولِبْدٍ، وسَرْجٍ، ولِجَامٍ، فأَمَرَني بتناولِ الدَّابَّة من السائس، ثمَّ أَمَرَني بأخذِ اللِّبْدِ فأخذتُه، ثمَّ أَمَرَني بإلقائه على الدَّابَّة فَفعلتُ، ثمَّ أَمَرَني بأخذ السَّرْجِ فأَخَذتُه، ثمَّ أَمَرَني بشدِّ الحِزامِ والثَّفَرِ واللَّبَبِ[2] واللِّجامِ للدَّابَّة، ففعلتُ ذلك،

---

(١) في (ل): (الكشف بما أراد).

(٢) **الثَّفَرُ**: السَّيْرُ -قطعةٌ من الجلد- الَّذي في مُؤَخَّرِ السَّرْجِ. ينظر: «لسان العرب» (ث ف ر: ٤/ ١٠٥).

واللَّبَبُ: هو ما يُشدُّ على صَدْر الدابَّة؛ يكونُ للرَّحْلِ والسَّرْجِ يَمْنَعُهما من الاستئخارِ. ينظر: «لسان العرب» (ل ب ب: ١/ ٧٣٢).

[ض/٢٢٢] ثمَّ أَمَرَني بالرُّكوب فرَكِبتُ، وأَمَرَني بالمسيرِ فسرتُ، وأَمَرَني بالإقبال والإدبار ففعلتُ، ثمَّ أَمَرَني بالنُّزول فنزلتُ.

فقال عند ذلك: أَشْهَدُ أنَّه ابنُ مَلِكِ الرُّومِ؛ لأَنَّهُ أخذ الدَّابَّة أَخْذَ مَلِكٍ، وعَمِلَ سائر الأشياء مثلما تَعمَلُه المُلوك، واشْهَدوا أنِّي قد زَوَّجته ابنَتي.

فلمَّا قالوا: شَهِدنا. **قال:** لا تشهدوا.

فلمَّا سَمِعتُ قَولَه: «لا تشهدوا»، تخوَّفتُ أن يأتيَ على نفسي.

ثمَّ قال لي: لم أتوقَّفْ عن الشَّهادَةِ رَغبَةً عنكَ، ولكنَّا لنا شَرطٌ لا نقدرُ أن نُخالِفَه، ولم نأمَنْ أن نضطرَّ[١] إليهِ فنحملَكَ على شرطٍ لم نكن شرطناه عليك[٢]، فنكون قد ظَلَمناك، أو نَدَعُ لَكَ سُنَّة بلدنا، فنكون قد فارقنا سُنَّتنا[٣]، **إنَّ سُنَّتنا يا روميُّ:** أن لا نُفَرِّق بين الزَّوجَينِ إذا ماتَ أحدُهما، فإن ماتَ الرَّجلُ قبلَ المَرأَةِ، نوَّمناها معه في نَعشِه، وحملناهما معًا حتَّى نُنْزِلَهما إلى بِئرٍ هي مأوى مَوْتانا، وجَعَلْنا معهُما طعامًا وشَرابًا لثلاثةِ أيَّامٍ، ثمَّ أنزلناهما البِئرَ، ونُدَلِّيهما بحبالٍ[٤]، فإذا صارا في قَرارِها سَيَّبنا الحبالَ، وكَذَلِكَ إن ماتَت المرأَةُ قبلَ الرَّجُلِ جعلناها في سريرِها، وَجَعَلنا زَوجَها معها، وصيَّرناهما جميعًا في البِئرِ[٥]؛ فإن رَضِيتَ

(١) في (ظ): (تضطرَّ).
(٢) (شرط لم نكن شرطناه عليك) في (ظ): (شرطنا، وهو ما لم نُخبِرْك به، ونقفك عليه).
(٣) في (ل) زيادة: (أن نعاملك بها).
(٤) (ونـدليهما بحبال) ليست في (ظ).
(٥) قوله: (جعلناها في... البِئر) ليس في (ل).

بهذه السُّنَّةِ فبارَكَ الله لَكَ في زَوجِك، وإن لم تَرْضَ أَقَلْناكَ، فَلَسْنا نُزَوِّجُك، ولا تَسْتَقِيمُ لنا[1] على خلاف سنَّتنا.

فأحوَجَتْني الصَّبابةُ بها أن **قلتُ**: قد رَضِيتُ بهذه السُّنَّةِ[2].

فأَمَرَ بتجهيزِها وتسليمها إليَّ، وجَمَعَ بيننا، فأقمتُ معها أربعينَ يومًا، لا نرى إلَّا أنَّا قد فزنا بملك الدُّنيا.

ثمَّ اعتلَّتْ عِلَّةً كانَت معها غَشيَةٌ لم يَشُكَّ كلُّ مَن رآها في أنَّها قد قَضَتْ[3]، فجُهِّزَتْ بأفخرِ ثيابِها، وجُهِّزْتُ مَعَها بمثل ذلك، وحملنا في نَعشٍ واحِدٍ، ورَكِبَ المَلِكُ وأهلُ المملكةِ، فشيَّعونا إلى شَفِيرِ البئر، ثمَّ شَدُّوا أسافلَ السَّريرِ بالحبال، وجعلوا معنا في النَّعشِ طعامًا وشرابًا لثلاثة أيَّامٍ، ثمَّ حطُّونا[4] حتَّى صِرْنا في قَرارِ البِئر.

ثُمَّ أُرْخِيَتْ علينا الحبالُ، فَسَقَطَ حَبلٌ منها على وَجهِ الجاريةِ فبحدَّة وقوعه أزالَ الوجعَ الذي أصابها من الغَشْيِ، فانْتبَهَتْ، فلمَّا انتبَهَتْ رأيتُ أنَّ الدُّنيا قد جُمِعَتْ لي.

واسْتَمْرَتْ عيني على[5] الظُّلمَة، فرأيتُ في الموضع الَّذي أنا فيهِ من الخبزِ اليابِسِ ما له دهرٌ كثير، فأخذنا نتغذَّى به جَميعًا.

---

(١) في (ل): (يستقيم أمرنا).

(٢) هذا شرط باطل وسنَّة سيِّئة.

(٣) في (ظ): (إلَّا أنَّها قبضت).

(٤) أي: أنزلونا. ينظر: «مختار الصحاح» (ح ط ط).

(٥) كذا في (ك)، وفي (ل): (ولما استترت على عَيني)، وفي (ظ): (واستمرَّت على عَيني). ولعله من مَرِئَ الطعامَ؛ أي: وجده مَرِيئًا مستساغًا. أو يكون ما في (ظ) من استمرَّ بمعنى ذَهَبَ، =

وكُنَّا لا نَعدَمُ في كلِّ يَومٍ من الأَيَّام -إلَّا النَّادِرَ- سريرًا يُدَلَّى فيه زوجان، أحدُهما ميِّت والآخرُ حيٌّ، فإن كانَ النَّازِلُ رجلًا حَيًّا تَوَلَّيتُ أنا قَتلَه؛ لِئَلَّا يكونَ مع زَوجَتي رجلٌ غيري، وإن كان الحيُّ امرأةً تولَّت زَوجَتي قَتلها؛ لئلَّا يكونَ معي امرأةٌ غيرَها.

فمكثنا في ذلك البِئرِ على هذه الحالِ أكثرَ من سنة، ثمَّ دُلِّي في البئر دلوٌ، فَعَلِمتُ أنَّ مُدَلِّيَه غيرُ بُرْجانيٍّ، وأنَّه لا يدخل ذَلِك الموضعَ غيرُ برجانيٍّ إلّا روميٌّ[1]، ووَقَعَ لي أن أقدِّم الجاريةَ قبلي، لتَخَلَّصَ ثمَّ تُعَرِّفَهُم حالي فيَرُدُّوا الدَّلوَ إليَّ فأصعدَ. [ظ/١٠٦]

فَحَمَلتُ بنتَ الملكِ فجعلتُها في الدَّلو بكسوتها، وحُلِيِّها، وجَوهرها، واجتذب القَومُ الدَّلوَ فَخَرَجَتْ إليهمُ الجاريةُ؛ فإذا القَومُ مماليكُ لأبي، ولم ينتبهوا للسؤال عنِّي[2]، وهابتهم الجاريةُ أن تقولَ لهم شَيئًا، وقد كانوا رأَوْا ما فيه أبي وأُمِّي، وما غَلَبَ عليهما من الحُزن لفقدي، فصاروا إليهما بالجارية لِيَتَسَلَّونَ بها، فسُرَّا بها، وسكنا إليها، واستمرَّتْ الهيبةُ لهما بالجارية؛ فحَصَلْتُ شرَّ مَحْصَلٍ.

= لكن لا بدَّ من (عن) بدل (على)، والله أعلم. ينظر: «مختار الصحاح» (م ر ر)، و«تاج العروس» (م ر أ: ١/ ٤٣١).

(١) قوله: (غيرُ بُرْجانيٍّ... إلّا روميٌّ) في (ل، ف): (غريبٌ يرتاد الماء، وأن برجاني لا يطلب الماء من ذلك الموضع).

(٢) في (ل): (فلم ينتبهوا لسؤالها عن الحال).

وقد كانَ صديقٌ لوالدِي له أدبٌ وحكمةُ وَعِلمٌ بالتصوير، صوَّر لهما صُورَتي في خَشَبَةٍ، وزوَّقها[1] وجعلها في بَيتٍ، **وقال لأبوَيَّ**: إذا ذكرتُما ابْنَكُما واشتَدَّ غمُّكما، فادخُلا فانظُرا إلى هذه الصُّورَة، فإنَّكما ستبكيان بكاءً كثيرًا يُعقِبُكما السَّلوةَ.

فلمَّا رأت الجاريةُ أَبَوَيَّ يدخلانِ[2] ذلك البيتَ كثيرًا، ويخرجان وقد بَكَيَا، اتَّبَعَتْهُما يومًا وهما داخلان، فبَصُرَتْ بالصُّورة، فلمَّا رأَتْها لَطَمَتْ وَجْهَها، ونَتَفَتْ شعرها، ومزَّقت ثيابَها.

فسألاها عن السَّبَبِ فيما صَنَعَتْ بنفسِها، **فقالت**: هذه صورَةُ زَوجِي. **فسألاها** عن اسمه، واسمِ أبيه وأمه. فسمَّتني.

فقالا لها: فأينَ زوجُك؟

قالت: في البئر الَّتي أُخْرِجتُ مِنها.

فَرَكِبَ أبي وأمِّي في أكثرِ أهلِ البَلَدِ، ومعهُمُ الغِلمان الَّذين أَخْرَجُوا الجاريةَ من البِئر، حتَّى وافَوا البِئرَ، فدَلَّوا الدَّلوَ -وكنتُ حين وصولهم قد سَلَلْتُ سيفي الَّذي كانَ أُنزِلَ معي لأتَّكِئَ عليه فأُخرِجَهُ من ظَهري، وأستَريحَ من الدُّنيا؛ لِغَلَبَةِ الهمِّ عليَّ- فَوَثَبتُ فَقَعَدت في الدَّلوِ، واجْتَذَبُوني حتَّى خرجتُ، فوجدتُ أبي وأمِّي وامرأتي على شَفِير البئر، وقد أحضروا لي الدَّوابَّ لأركبَ وأنصرفَ إلى بلادي، وكان أبي قد صار مَلِكَ تلكَ البلاد، فَلم أُطِعْهما، وأَعلَمْتُهما أنَّ الأصوَبَ البعثَةُ إلى أبي الجاريةِ وأمِّها حتَّى يَرَيَاها كما رأيتُماني.

(١) أي: حسَّنها. ينظر: «المصباح المنير» (ز و ق).

(٢) في (ك): (فلمَّا صارت الجارية إلى أبويَّ ورأتهما يدخلان).

ففَعَلا ذلك، ووجَّها إلى أبي الجاريةِ وأمِّها، وهو صاحبُ البُرْجان، فَخَرَجَ في أهل مَملَكَتِه حتَّى عايَنَها، وأَقامُوا لنا عُرْسًا جديدًا، وحدثت مهادنةٌ بين الرُّوم والبُرْجان، جَرَتْ فيها أيمانٌ مُؤَكَّدَة أن لا يَعْدُوَ أحدُهما على صاحبِه ثلاثينَ سنةً، وصارَ القَومُ إلى بلادهم، وصرنا إلى بلدنا(١).

قال: ومات أبي، فوَرِثتُ عنه البَطْرقة، ورُزِقتُ من بنت ملك البُرْجان أولادًا. وأنتَ يا عَرَبيُّ، فإن كانَ الغمُّ قد بلغ منكَ إلى ما ذكرتُ فقد جاءك الفَرَجُ.

فما انقَضى كلامُه حتَّى دخل عليه رسولُ مَلِكِ الروم يَدعوهُ، فمضى إليهِ، ثمَّ عاد إليَّ، **فقال**: يا عَرَبيُّ، قد جاءَك الفَرَجُ، كنت عند الملكِ، وقد جرى ذِكرُ العَرَب، ورَمَتْهُم البَطارِقَةُ عن قَوسٍ واحِدَة، فذكروا أنَّهم لا عقولَ لهم ولا أدبَ، وأنَّ قَهرَهم للرُّومِ إنَّما هو بالغَلَبَةِ والاتفاقِ، لا بِحُسنِ التَّدبير، فأَعْلَمتُ الملكَ أنَّ الأمرَ بخلاف ما قالوا، فإنَّ للعَرَبِ آدابًا وأذهانًا وتدبيرًا جيِّدًا.

فقال لي الملك: أنتَ لمحبَّتك لِضَيفِكَ العَرَبيِّ تُفرِط في إعظام العَرَبِ، وتَصِفُها بما ليسَ فيها.

فقلت: إن رأى الملكُ أن يأذَنَ في إحضار هذا العَرَبيِّ، ليَجمَعَ بَينَه وبَينَ هؤلاءِ المتكلِّمين؛ ليعرفَ فضيلَتَه. فأَمَرَ بحَمْلِكَ إليهِ.

فقلتُ: بئسَ ما صنعتَ بي؛ لأنِّي أخافُ إن غَلَبَني أصحابُه أن يستخفَّ بي، وإن غَلَبْتُهم أن يَضْطَغِنَ عَليَّ.

---

(١) في (ظ): (مَنازلنا).

فقال: هذه صفةُ العامَّة، والملوكُ على خلافِها، وأنا أُخبِرُك أَنَّك إن غلبتَهم جَلَلتَ في عين الملك، وكنت عنده بمكانٍ لِأَنْ[1] يقضيَ لك حاجةً، وإن غلبوكَ سرَّه غَلَبَةُ أهلِ دِينه لك، فأَوجَبَ لك أيضًا ذِمامًا[2]، وإنَّ أقلَّ ما تَرَى أن يُقضَى لك حاجَةٌ إن غَلَبتَ أو غُلِبتَ، فَسَلْ إخراجَكَ من بَلَدِه وردَّكَ إلى بلادك، فإنَّهُ سَيفعل ذلك. [ظ/١٠٧] [ض/٢٢٣]

قال قتات[3]: فلمَّا دخلتُ على الملكِ استدناني، وقرَّبني، وأكرمني، **وقال لي**: ناظِرْ هؤلاءِ البطارقة.

فأَعْلَمتُه أنِّي لا أرضى لنَفسي بمناظرتهم، وأنِّي لا أناظر إلَّا البطريقَ الأَكبر، فأمَرَ بإحضاره.

فلمَّا دخل سلَّمت عليه، **وقلت له**: مرحبًا أيُّها الشيخُ الكبيرُ القدر.

ثمَّ قلت له: يا شيخ، كيفَ أنت؟ **قال**: في عافية.

فقلت: كيف أحوالُك كلُّها؟ **قال**: كما تحبُّ.

فقلت له: وكيف ابنُك؟

فتضاحكت البطارقةُ كلُّها، وقالوا: زَعَمَ البطريقُ أنَّ هذا أديبٌ، وأنَّ له عَقْلًا، وهو لا يعلمُ بجهله أنَّ اللهَ تعالى قد صان هذا البطريقَ عن أن يكون له ابنٌ.

---

(١) في (ل، ف): (مكانَ أن)، وفي (ظ، ج، ش): (مكانًا لأن).

(٢) **الذِّمام**: الحقُّ والحُرْمة. ينظر: «لسان العرب» (ذ م م: ١٢/ ٢٢١).

(٣) كذا في معظم النسخ، وهكذا الرواية التي ينقل عنها المؤلف، وقد نبَّه في أوَّل القصة إلى أنَّ الصوابَ قباث.

فقلت: وكأنَّكم تَرْفَعُونه عن أن يكون له ابنٌ؟

قالوا: إيْ والله، إنَّا لنرفعه؛ إذ كانَ رَفَعَه الله عن ذلك.

فقلت: واعَجَبًا، أَيُجَلُّ عبدٌ من عبيد الله تعالى، أن يكون له ابن، ولا يُجَلُّ(١) الله تعالى -وهو خالقُ الخلائقِ كلِّها- عن أن يكون له ابن!

قال: فنَخَرَ البطريقُ نَخْرةً(٢) أفزعتني، **ثمَّ قال:** أَيُّها الملك، أَخرِجْ هذا السَّاعةَ من بلدك، لا يُفسِدُ عليك أهلَه(٣).

فدعا الملكُ الفرسانَ، فضمَّني إليهم، وأَحْضَرَ لي دَوابَّ البَريدِ، وأمر بحَمْلي عليها وتَسْلِيمي إلى مَن يَلقانا من المُسلمين، فسلَّموني إليكم(٤).

ثمَّ ذكر حديثًا لعبد الملك مع الرَّجل، لا يتَعَلَّق بهذا الباب فأذكرَه.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم بالصَّواب.

---

(١) في (ل): (أَتُجِلُّون عبدًا.... ولا تُجِلُّون).

(٢) **النَّخير**: صوتُ الأنف، **ونَخَرَ**: مَدَّ الصَّوتَ والنفَسَ في خَياشِيمِه. ينظر: «لسان العرب» (ن خ ر: ٥/ ١٩٧).

(٣) في (ل): (لئلَّا يفسد عليك أهل دينك).

(٤) في (ك): (فسلَّموني إلى مَن تسلَّمني من أهل الثَّغر). وفي بعض أحداث هذه القصة غرابة.

[٥: ٤٥] [استنقذَ المَذحِجِيِّين من أسر بني مازن]

ذكر أبو الحُسَين القاضي[١] في كتابه «كتاب الفرج بعد الشدَّة»، قال: بَلَغَني أنَّ **عَمرَو بنَ مَعْدِيْكَرِبْ الزَّبِيديَّ**[٢]، **قال:** خرجتُ في خَيلٍ من بني زَبِيدٍ أُريد غَطَفانَ، فَبَينا أنا أَسيرُ وقد انفَرَدتُ من أصحابي؛ إذ سَمِعت صَوتَ رجلٍ يُنشِدُ شِعرًا، فتَفَهَّمتُه فَحَفِظتُهُ، وهو[٣]: [من المتقارب]

أَمَـا مِـنْ فَتًى لَا يَـخَـافُ العَطَبْ ... يُخَبِّرُ[٤] عَمْرَو بْـنَ مَعْدِيكَرِبْ
بِـأَنَّـا نُـنَـوِّطُ فـي مَـازِنٍ ... بِأَرْحُلِنَا اليومَ[٥] نَـوْطَ القُرَبْ[٦]
فَـإِنْ هُـوَ لَـمْ يَـأْتِـنَـا مُـصْـرِخًـا ... فَيَكْشِفَ عَنَّا ظَـلامَ الْـكُـرَبْ[٧]

---

(١) هو عمر بن محمَّد بن يوسف الأزدي. سبقت ترجمته (١/ ٩٠).

(٢) هو عمرو بن معديكرب بن عبيد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد، أبو ثور الزبيدي، له وفادة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهد اليرموك، وكان فارسًا بطلًا ضخمًا عظيمًا، وارتد عند وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم رجع وحسن إسلامه، توفي في إمرة معاوية. ينظر: «المنتظم» (٤/ ٢٨٢)، و«تاريخ الإسلام» (٢/ ٤٣١).

(٣) في (ظ، ل): (ففهمته فإذا هو يقول).

(٤) في (ظ، ل): (يبلِّغ).

(٥) في (ظ، ل): (القوم)، و(بأرحلنا) في (ظ، ل، ض، ر): (بأرجلنا)، والمثبت من (ن).

(٦) **ناطَ الشيءَ** يَنُوطُه نَوْطًا: عَلَّقه. **ونوَّط الرَّحْلَ:** علَّق عليه. يُنظر: «الإبانة في اللغة» للصحاري (٤/ ٤٠٥)، و«لسان العرب» (ن و ط: ٧/ ٤١٨).

(٧) هذا البيت ليس في (ظ، ل).

وَإِلَّا اسْتَغَثْنَا بِعَبدِ الـمَـدَانِ وَعَـبْـدُ الـمَـدَانِ[١] لَهَا إِنْ طُلِبْ

قال: فعَلِمتُ أنَّه قولُ أَسيرٍ في بني مازِنِ بنِ صَعْصَعَة، **فقلت لخيلي:** قِفُوا حتَّى آتيكم. واقتَحَمتُ[٢] على القَوم وحدي، فإذا هم يَصْطَلون.

فقلت: أنا أبو ثَورٍ، أين أَسْرى بني مَذْحِج؟

فنادَى الأسرى من الرِّجال، وبادَرَ القَومُ إليَّ يقاتلونني[٣]، فلم أَزَلْ أُقاتِلُهم وأقتلُ منهُم حتَّى اسْتَعْفَوني، **وقالوا:** إنَّا -واللهِ- لنعلمُ أنَّك لم تأتِنا وَحْدك إلَّا وأنتَ لا تُبالي[٤]، فلك الأسرى، واكْفُفْ عَنَّا خَيْلَك.

فنزلتُ، وأطلقتُ بَعضَهم، **وقلت:** ليَحُلَّ مُطْلَقُكم مُوثَقَكُم[٥]، ولْيَرْكَبْ كلُّ واحِدٍ منكم ما وَجَدَ من الخيل. وأَقْبَلت خَيلٌ فركبوها.

فقلت للأسرى: هل علمتُم مَوضِعي حين أنشدَ مُنشِدُكم ما سَمِعتُ؟

قالوا: لا والله، وما أَصْبَحنا مُنذُ أُسِرْنا أشدَّ بأسًا ولا أتمَّ إيقانًا بالهلاكِ منَّا اليوم[٦].

---

(١) بنو عبد المدان أشراف اليمن، وبهم يُضرَبُ المثل في الشرف والعزَّة، وهو عبد المدان بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن خالد بن بجيلة بن مذحج. ينظر: «نسب معد واليمن» لابن السائب الكلبي (١/ ٢٧١)، و«شرح مقامات الحريري» لأبي العبَّاس الشريشي (٣/ ٤٠٦).

(٢) (آتيكم واقتَحَمتُ) في (ظ، ل): (أبتكر فأقتحمَ).

(٣) في (ظ): (يطلبوني).

(٤) (إلا وأنت لا تبالي) ليس في (ظ، ل، ر، ف).

(٥) في (ظ، ل): (ليحل بعضكم بعضًا).

(٦) قوله: (أُسِرْنا أشدَّ... اليوم) في (ظ، ل): (حبسنا آيس من الفرج من يَومنا هَذا).

فذلك حيثُ أقول[1]: [من الطويل]

أَلَـمْ تَرَنِي إِذْ ضَمَّنِي البَلَدُ الْقَفْرُ ... سَمِعتُ نِداءً يَصْدَعُ القَلْبَ يَا عَمْرُو

أَغِـثْـنَـا فَـإِنَّـا عُـصْـبَـةٌ مَذْحِجِيَّةٌ ... نُنَاطُ عَلَى وَفْـرٍ وَلَيس لَنَا وَفْـرُ[2]

تُكَلِّفُنَا يَا عَمْرُو مَا لَيْسَ عِنْدَنَا ... هَـوَازِنُ فَانْظُرْ مَا الَّذِي فَعَلَ الدَّهْرُ

فَقُلْتُ لِخَيْلِي أَنْظِرُونِي[3] فَإِنَّنِي ... سَرِيعٌ إِلَيكُم حِينَ يَنْصَدِعُ الفَجْرُ

وَأَقْحَمْتُ مُهْرِي حِينَ صَادَفْتُ غِرَّةً ... عَلَى الطَّفِّ[4] حَتَّى قِيلَ قَدعُقِرَ[5] المُهْرُ

فَأَنْجَيتُ أَسْرَى مَذْحِجٍ مِن هَوَازِنٍ ... وَلَـمْ يُنْجِهِمْ إِلَّا السَّكِينَةُ والصَّبرُ

وَنَــادَوا جَميعًا حَـلَّ منَّا وِثَاقَنَا ... أَخَا البَطشِ إنَّ الأَمرَ يُحْدِثُهُ الأَمرُ

وأُبْـتُ بِأَسْرَى لَمْ يَكُنْ بَينَ قَتلِهِمْ ... وَبَينَ طِعَانِي مَـازِنًـا[6] عَنهُمُ فِترُ

يزيدٌ وَعَمْرٌو والحُصَينُ وَمَالِكٌ ... وَوَهْــبٌ وَسُفْيانٌ وَسَابِعُهُمْ وَبْرُ

قال مؤلِّف هذا الكتاب: وأنشدنا أبو الفرجِ الأَصبَهانيِّ البيتَينِ الأَوَّلين:

---

(١) ينظر: «الجليس الصالح الكافي» (ص: ٥٣١)، و«شعر عمرو بن معديكرب» (ص: ١١٨).

(٢) **الوَفْر**: المال الكثير. ينظر: «مختار الصحاح» (و ف ر).

(٣) **أَنظِروني**: أي انتظروني، وقال الفرّاء: تقول العرب: أَنظِرني؛ أي انتظرني قليلًا. ومنه قولُ عمرِو بن كلثوم:

أبــا هـنـدٍ فـلا تَـعْـجَـلْ عَلَينا ... وأَنْـظِـرْنـا نُـخَـبِّـرْكَ اليَقِينا

ينظر: «لسان العرب» (ن ظ ر: ٥/ ٢١٦).

(٤) **الطَّفُّ**: ساحل البحر، وفِناء الدار، وسفح الجبل. ينظر: «لسان العرب» (ط ف ف: ٩/ ٢٢١).

(٥) في (ظ، ل): (قتل).

(٦) في (ظ، ل): (ضاربًا).

ألـم تَـرَ لمَّا ضمني البَلَد القفر

وفي الثَّاني:

تُـــرابُ عـلـى وتـــــرٍ[1].......

قــال: وفيهمــا خَفيــفُ رَمَــلٍ لمُحَمد بــن الحــارِث[2]، وفــي البيتين الأولين صنعة[3].

[ظ/١٠٨] **وأخبرني بهذا الخَبَر محمَّدُ بنُ الحسن بنِ المظفَّر، قال:** أخبرني أبو القاسِم الوهبي[4]، **قال:** أخبرنا أبو خليفَة الجُمَحِي[5]، عَن محمَّد بن سلام[6]... وذكر نحوه.

---

(١) في (ل): (برات على وبر)، وفي (ظ) نُقِطَت التاءُ فقط من (تراب)، وفي (ف) نقطت الباء، وليست في باقي النسخ، وفي المطبوع (٢/ ٢٠٧): (نراد على وتر وليس لنا وفر)، وفي المطبوع من «الأغاني» (٦/ ٥٠٣)، و«الجليس الصالح الكافي» (ص: ٥٣١): (نُزارُ على وفر وليس لنا وفر). ولعله من رابَ الرجلُ؛ أي: أعيا. ينظر: «تاج العروس» (روب: ٢/ ٥٤٦).

(٢) قوله: (وأنشدنا أبو الفرج... الحارِث) ليس في (ض).

(٣) (وفي البيتين الأولين صنعة) ليست في (ظ، ل).

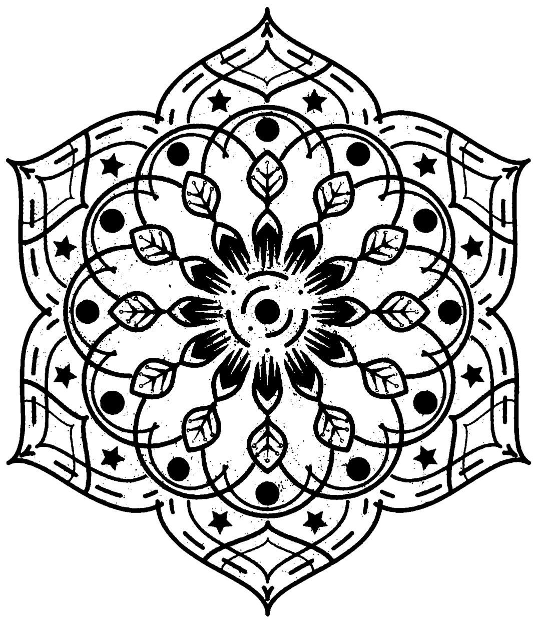
(٤) في (ظ): (الزينبي)، وفي (ل): (الزيني).

(٥) هو الفضلُ بن الحُباب بن محمَّد الجمحي البصري. سبقت ترجمته (١/ ٢١٦).

(٦) هو محمَّد بن سلام بن عبيد الله البصريُّ الجُمَحي بالولاء، أبو عبد الله، كان عالمًا أخباريًّا أديبًا بارعًا، صنَّف كتاب «طبقات الشعراء»، عاش نيِّفًا وتسعين سنة، (ت: ٢٣١هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٧٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦٥١).

البَابُ السَّادِسُ

مَنْ فَارَقَ شِدَّةً إلىٰ رَخَاءٍ بَعْدَ بُشْرَىٰ مَنَام
لَمْ يَشُبْ صِدْقَ تَأْوِيلِهِ كَذِبُ الأَحْلَام



[٦: ١] [المعتضِدُ في الحبس يرى عليَّ بنَ أبي طالبٍ ويبشِّرُه بالخلافة]

قال أبو عليٍّ: أخبرني أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ يحيى **الصُّوليُّ**[١]، **قال: حدَّثني محمَّدُ بنُ يحيى بن أبي عباد الجيشي**[٢]، **قال:**

رأى المعتضدُ[٣] وهو في حبس أَبيه كأنَّ شَيخًا جالِسًا على دجلة، يمدُّ يده إلى مائها فيصيرُ في يده وتجفُّ دِجلةُ، ثمَّ يردُّهُ[٤] فتعودُ دجلةُ كما كانت. **قال:** فسألتُ عنه فقيلَ لي: هذا عليُّ بنُ أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقُمت إليه، وسلمت عليه، فقال لي: يا أحمد، إنَّ هذا الأمرَ صائرٌ إليك، فلا تتعرَّض لوَلَدي، وصُنْهُم، ولا تُؤذِهِم. فقلتُ: السَّمعُ والطاعة يا أمير المؤمنينَ.

وحدَّثني أبي رَحِمَهُ اللَّهُ على أتمَّ من هذا، **قال:** حدَّثني أبو محمَّدٍ عبدُ الله بنُ أحمد بنِ حَمْدون، **أو قال:** حدَّثني مَن[٥] **قال:** حدَّثني أبو مُحَمَّد -وأنا أشكُّ؛

---

(١) (قال أبو علي: أخبرني أبو بكر محمَّد بن يحيى الصولي) في (ظ، ل): (أخبرنا الصولي).

(٢) (الجيشي) في (ظ): (الحسني)، وفي (ل): (الحسيني). وكلاهما تصحيف، وهو محمَّد بن يحيى بن أبي عباد، العسكري اللغوي، المعروف بـ«محبرة»، أبو جعفر، كان حسن الأدب، ونادم المعتضد، وصنف كتابًا في اللغة سمّاه «جامع المنطق». ينظر: «الفهرست» (ص: ٨٤)، و«إنباه الرواة» (٣/ ٢٣٢).

(٣) هو أحمد بن طلحة بن جعفر، أبو العباس، وقد سبقت ترجمته (١/ ٢٥٢).

(٤) في (ظ، ل) زيادة: (من يده).

(٥) قوله: (أبو محمَّدٍ عبدُ الله... حدثني من) في (ض): (أبو عبد الله محمَّدُ بنُ يحيى بنِ حمدون).

لأنِّي لم أكتبه، وإنَّما حَفِظْتُه في الحداثة في المذاكرة، ولعلَّ الألفاظَ تزيدُ أو تنقص - **قال:**

قال لي المعتضدُ[1] وهو خليفةٌ: لما قَدِمَ أبي وهو عليلُ العلَّةِ الَّتي ماتَ فيها، وأنا في حَبسِهِ؛ ازدادَ خوفي على نفسي، ولم أشكَّ في أنَّ إسماعيلَ بنَ بلبل سيحمله على قَتلي، أو يحتالَ بحيلةٍ لسفك دمي إذا وجد إليه سبيلًا، فثَقُلَ أبي في علَّته، وأُيِسَ منهُ[2].

فقمتُ في ليلةٍ من تِلكَ اللَّيالي، وأنا من الخوف على أمرٍ عظيمٍ، وقد صلَّيتُ صلاةً كثيرةً ودعوتُ الله عَزَّوَجَلَّ، ونمتُ، فرأيتُ في منامي كأنِّي قد خرجتُ إلى شاطئ دجلة، فرأيتُ رجلًا جالِسًا على الشطِّ، يُدخِلُ يده في الماء فَيقبِضُ عليه، فتقفُ دجلةُ، ولا تخرجُ من تحت يده جرعةٌ من ماء[3]، حَتَّى يجِفَّ ما تحت يده، ويتزايدُ الماءُ إلى فوق يده ويَقِفُ كالطَّود[4] العَظيم، ثمَّ يُخرِجُ يدَه من الماء فيجري، يفعل ذلك مرارًا[5]، فهالني ما رأيتُ، فدنوتُ منهُ، وسلَّمتُ عليه، **وقلتُ له:** مَن أنتَ يا عبد الله الصّالح؟

فقال: أنا عليُّ بنُ أبي طالب.

---

(١) ما سبق في (ظ، ل): (وبلغني أنَّ المعتضد حدَّث).

(٢) قوله: (لما قدم أبي، وهو عليل... وأيس مِنهُ) في (ظ، ل): (لما ضرب علي إسماعيل بن بلبل حبسني أبي، فلما قدم عليلًا من الجبل خفتُ أن يحمله على قتلي علَّةُ أبي).

(٣) (جرعة من ماء) في (ظ، ل): (الماء).

(٤) (إلى فوق يده ويقف كالطود) في (ظ، ل): (فوق يده كالطود).

(٥) في (ض): (دائمًا).

فقلت: يا أمير المؤمنينَ، ادعُ اللهَ لي.

فقال: إنَّ هذا الأمرَ صائرٌ إليك، فاعتصِدْ بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، واحفظني في وَلَدي.

فانتبهتُ، وكأنِّي أسمع كلامَه؛ لسرعة المنام.

فوَثِقْتُ بأنِّي أتقلَّدُ الخلافةَ، وقَوِيَتْ نفسي، وزالَ خوفي، فقلتُ لغلامٍ كان معي في الحبس، لم يكن معي غيرُه من غلماني[١]: إذا أصبَحنا فامضِ وابْتَعْ لي فَصًّا، واكتب عليه «أحمد المعتضد بالله»، وضعه في خاتمٍ وأتني به[٢].

ففعل، ولبستُه[٣]، وقلت في نفسي: إذا وليتُ الخلافة جعلتُ لَقَبِي المعتضد بالله.

قال[٤]: ثمَّ أخذتُ أقطع ضيقَ صدري في الحبس بتصفُّح أحوال الدُّنيا، وإعمالِ فكري في تدبير عمارةِ الخراب منها، ووجهِ فتحِ المنغلِق، وتَعيينِ العمّالِ للنواحي، والأمراءِ للبلدان.

ثمَّ أخذت رقعَةً وكتبتُ فيها: بدرٌ الحاجبُ، وعبيد[٥] الله بن سُلَيمان الوَزيرُ، فلانٌ أمير البلد الفُلانيِّ، وفلانٌ عاملُ البلد الفُلانيِّ، وفلانٌ للديوان الفُلانيِّ؛

---

(١) قوله: (كان معي ... من غلماني) في (ظ): (لم يكن معي في الحبس غَيره).

(٢) (فصًا واكتب عليه أحمد المعتضد بالله وضعه في خاتم وأتني به) في (ظ، ل): (خاتمًا وانقش على فصِّه أحمد المعتضد بالله وجئني به).

(٣) (ففعل، ولبسته) في (ظ): (فمضى، وفعل، وأتاني به، فلبسته).

(٤) (قال) ليست في (ظ، ل).

(٥) (وعبيد) في (ض، ظ، ل): (عبد)، والصواب المثبت لموافقته التراجم، وقد سبقت ترجمته (١/ ٢٥٥).

إلى أن أتيتُ على ما في نفسي من ذلك، ودفعتُها إلى الغلام، **وقلتُ له**: احتفظ بهذه، فإنَّ دمي ودمَك مُرتَهَنان بها وبما فيها. فحَفِظَها. [ض/٨١]

وما مضى على الأمر إلَّا أيَّامٌ يسيرةٌ حتَّى لحقَتِ الموفَّقَ[1] غَشْيَةٌ، لم يشكَّ الغلمانُ أنَّه قد ماتَ، فجاؤوا إليَّ[2] فأخرجوني، فأتوا بي إلى بيتٍ فيه الموفَّقُ، فلمَّا رأيتُه علمتُ أنَّه غير ميِّتٍ، فجلستُ عنده، وأخذت يدَه أقبِّلُها وأترشَّفُها، فأفاقَ، فلمّا رآني أفعلُ ذلك أظهَرَ التقبُّلَ[3] لي، وأومأَ إلى الغلمان أن قد أحسَنتُم فيما فَعلتُم.

ثمَّ ماتَ الموفَّق في ليلته تلكَ، ووَلِيتُ مَكانَهُ، فابتدأتُ بتدبير[4] الأُمور على ما كنتُ قدَّرتُه[5] في الرقعة، ثمَّ وليت الخلافةَ فأمضيتُ بقايا تلكَ التدبيرات كلِّها.

قال لي أبي: قال ابنُ حمدون: فما عرض المعتضدُ في أيَّامه للعلويِّين، ولا آذاهم، ولا قتلَ منهم أحدًا؛ لهذا المعنى.

(١) هو محمَّد (الموفق بالله) بن جعفر (المتوكل على الله)، سبقت ترجمته (١/ ٢٥٢).

(٢) (فجاؤوا إلي) ليست في (ظ، ل).

(٣) في (ظ): (القبول).

(٤) في (ظ، ل): (بتقرير).

(٥) في (ظ، ل): (دبرته).

[٦: ٢] [سليمانُ بنُ وَهْبٍ يرى منامًا فيه بُشرى بخروجِه من السجنِ]

حدَّثني عليُّ بنُ هشامِ بنِ عبد الله الكاتِبُ، **قال:** حدَّثنا أبو الحُسَين عبدُ الواحِدِ بنُ محمَّدِ الخَصِيبي، ابنُ بنتِ ابن المُدبَّر[١]، **قال:** حدَّثني أبو الفضلِ مَيمونُ بن هارونَ بنِ مخلَد[٢] بنِ أبانَ الكاتبُ -**قال**[٣] **عليُّ بنُ هشام:** وميمونُ هذا هو جدُّ أبي الحسين بنِ ميمونٍ الأفطَسِ[٤]، كاتبِ المتَّقي[٥] في أيَّام أبيه، ووزيرِه لما استُخلِف- **قال:**

كانت بيني وبين أبي أيُّوبَ سُلَيمانَ بنِ وهْبٍ مَوَدَّةٌ وَكِيدَةٌ، فلمَّا تسهَّلَتْ محنَتُه بعد قتل إيتاخَ[٦]، صرتُ إليه وهو مَحبوسٌ مُقَيَّدٌ، إلَّا أنَّه مرَّفهٌ في الكسوة،

---

(١) عبد الواحد بن محمَّد الخصيبي، وهو ابن بنت إبراهيم بن المدبّر، وقد سبقت ترجمته (١/ ٢٨٧).

(٢) قوله: (الخَصِيبي... مخلد) من (ك)، وليس في باقي النسخ.

(٣) في (ض) زيادة: (أبو الحسن)، وهو تصحيف، والصواب: (أبو الحسين)، وقد سبقت ترجمته (١/ ٢٥٥).

(٤) هو أحمد بن محمَّد بن ميمون الأفطس، أبو الحسين، من أحد كتاب ووزراء المتَّقي. ينظر: «العقد الفريد» (٤/ ٢٤٩)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي (٢/ ١٩٨).

(٥) هو إبراهيم أمير المؤمنين (المتَّقي لله) بن جعفر (المقتدر بالله) بن أحمد (المعتضد بالله) بن أبي أحمد (الموفَّق بالله) بن جعفر (المتوكل على الله) بن محمَّد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد، أبو إسحاق، ولي الخلافة بعد أخيه الراضي بالله، (ت: ٣٥٧هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٥٥٤).

(٦) إيتاخ بن عبد الله التركي، وقد سبقت ترجمته (١/ ٢٦٩).

وكِبَرِ الدَّارِ، والفَرشِ، وحُسنِ الخدمة، وقد صلحت حالُه بالإضافة إلى ما كان عليه في أوَّلِ نكبته من الضَّرب والتضييق؛ **فحدَّثني**: أنَّه رأى في منامه في تِلكَ الليلة، كأنَّ قائِلًا يقول له: [من الكامل]

اصْبِرْ وَرَبِّ البَيتِ لا يَقْتادُها ... أَحَدٌ سِوَاكَ وَحَظُّكَ المَوْفُورُ

قال: فصرتُ إلى أخيه أبي عليٍّ الحسنِ بنِ وهبٍ، فحَدَّثتُه بذلك فسُرَّ به، وكانَ كالمستتر المُمتَنع من ملاقاةِ السُّلطان، فعملَ شعرًا ضمَّنَه البيتَ، وسألني إيصالَه إلى أبي أيُّوب، فأخذتُه، ووصلتُ به إليه:

الدَّمعُ مِنْ عَيْنَي أَخِيكَ غَزِيرُ ... في لَيْلِهِ ونهارِهِ مَحْدُورُ

[ظ/١٠٩] بِأَبِي وَأُمِّي خَطْوُكَ[1] المَقْصُورُ ... أَمُقَيَّدٌ ومُصَفَّدٌ وأَسِيرُ؟

وزادني فيه غيرُه في غير هذه الرِّوايَة:

فِكَرٌ يَجُولُ بِهَا الضَّمِيرُ كَأَنَّمَا ... يَذْكُو بِهَا حَوْلَ الشَّغَافِ[2] سَعِيرُ

وَجَوًى دَخِيلٌ لَيسَ يَعْلَمُ كُنْهَهُ ... مِمَّنْ أُلَاقِيهِ[3] أَخٌ وَعَشِيرُ

فَيَظُنُّهُ أَخْدَانُهُ مُتَسَلِّيًا ... والبَثُّ في أَحْشَائِهِ مَسْتُورُ

ورَجَعَ إلى الرِّوايَة الأولى:

مَا كُنتُ أَحْسِبُنِي أَعِيشُ وَمُهْجَتِي ... تَحتَ الخُطُوبِ تَدُورُ حَيثُ تَدُورُ

---

(١) في (ظ، ل): (حظك).

(٢) (حول) في (ض، ظ): (دون). **الشَّغاف**: غلاف القلب. ينظر: «مختار الصحاح» (ش غ ف).

(٣) في (ظ، ل): (مما يلاقيه).

قَـلِـقًـا فَـإِنَّـك بـالـعَـزاءِ جَـدِيـرُ   وَعَلَى النَّوَائِبِ مُنذُ كُنتَ صَبُورُ
عَثَراتُ مِثْلِكَ في الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ   ولـهُـنَّ بَـعْـدُ مَـثَـابَـةٌ وَحُـبُـورُ
إِنْ تُمْسِ في حَلَقِ الحَدِيدِ فَحَشْوُهَا   مِنْكَ السَّمَاحَةُ والنَّدَى والخِيْرُ[1]
والفَضْلُ[2] للشُّبُهاتِ رَأْيُكَ ثَاقِبٌ   فيها يُـضِـيءُ سَـدَادُهُ[3] وَيُنِيرُ

وزادني غيرُه أيضًا:

وَتَحمِلُ العِبْءَ الثَّقِيلَ يُقِلُّهُ[4]   مِنْكَ المُجَرَّبُ حَزْمُهُ[5] المَخْبُورُ[6]
فَاصْبِرْ وَرَبِّ البَيْتِ لا يَقْتَادُهَا   أَحَـدٌ سِـوَاكَ وَحَـظُّـكَ المَوْفُورُ
مَـاذَا بِقَلْبِ أَخِيـكَ مُـذْ فَارَقْتَهُ   لِـيَـكَـادَ مِـنْ شَـوقٍ إِلَـيْـكَ يَطِيرُ
فَكَأَنَّما هُـوَ قَـرْحَـةٌ مَـقْـرُوفَـةٌ[7]   مِنْهَا الـبَـلابِـلُ[8] وَالهُمُومُ تَثُورُ
وَاللهُ مَـرْجُـوٌّ لِـكُـرْبَـتِـنَـا مَعًا   وَعَلَى الَّـذِي نَـرْجُـوهُ فِيكَ قَدِيرُ

---

(١) **الخِيرُ**: الكَرَم. ينظر: «مختار الصحاح» (خ ي ر).
(٢) في (ل): (والفصل).
(٣) في (ض): (فيما يضيء سواده).
(٤) في (ظ، ل): (بثقله).
(٥) في (ر): (عزمه).
(٦) في (ك) زيادة: (رجع إلى الرواية الأولى).
(٧) **قَرَفْتُ الشَّيءَ**: قَشَرْتُهُ. ينظر: «المصباح المنير» (ق ر ف).
(٨) **البلابل**: شدَّة الهَمِّ والوَسْواسُ في الصُّدُورِ. ينظر: «لسان العرب» (ب ل ل: ١١/ ٦٩).

قال: فما مَضَتْ إلَّا أيَّامٌ يسيرَةٌ حتَّى أُطلِقَ سُلَيمانُ بنُ وهبٍ، ثمَّ انتهى بعد سنين[1] إلى الوزارة.

وذكر هذا الخبرَ محمَّدُ بنُ عُبدُوسٍ في كتابه: «كتاب الوزراء»، على قريبٍ من هذا؛ إلَّا أنَّه أتى من الشِّعر ببيتين فقط[2].

---

(١) في (ل): (سنتين).

(٢) قوله: (وذكر هذا الخبر محمَّد... بيتين فقط) ليس في (ظ، ل).

في (ل) زيادة على جميع النسخ: (وممَّا حدَّثنا به إسحاق الصابئ عن سنان بن ثابت قال: حدَّثني والدي قال: كان أبي قُرَّةُ يعتقد أنَّ المنامات كلَّها أضغاثُ أحلامٍ لا يصحُّ منها شيء، ولا تدلُّ على شيءٍ، وكان أبو الحسن ثابتٌ يرى أنَّ بعضَها يصحُّ، وكانا جميعًا بسُرَّ مَنْ رَأَى، فخلَّفَ أبو الحسن زوجتَه بحرَّان، وهي حاملٌ. قال: فانتبه أبو رَوحٍ قُرَّةُ ليلةً من الليالي، وقال لابنه أبي الحسن: يا بُنَي رأيتُ الساعةَ رؤيا وهي محنةٌ ما بيني وبينك في أمر المنامات، فإن صحَّت استأمنتُ إليك، وإن بطلت يجب أن تستأمن إلي، فقال: ما هي؟ قال: رأيتُ كأنَّه ورد علينا كتابٌ بأنَّك رُزِقْتَ ولدًا ذكرًا في هذه الليلة، وأن طالعَه سبعُ درجٍ من السرطان. قال: وأثبتَ الرؤيا وتاريخها، فلمَّا كان بعد بضعة عشرة يومًا ورَدَ كتابٌ بالتهنئة بمولودٍ، فرجعنا إلى ما أثبتناه من تاريخ الرؤيا فكانت الليلة بعينها، فلما كان بعد أيام ورد الكتاب وفيه نسخةُ المولود وجدنا الطالعَ سبعَ درجٍ من السرطان كما رأى في منامه، فاعتقد قُرَّةُ بعد ذلك اعتقاد ابنه).

[٦: ٣] [عبيدُ اللَّهِ بنُ سُلَيمانَ يرى منامًا يبشِّر بنجاة الحسنِ بنِ مَخْلَدٍ]

حدَّثني عليُّ بنُ هشام، قال: حدَّثني أبو الفرج محمَّدُ بنُ جعفرٍ بن حفصٍ الكاتِبُ(١)، **قال:** حدَّثني أبو القاسمِ عبيدُ الله بن سُلَيمان، **قال:**

كانَ **أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ مَخْلَدٍ** أوَّلَ مَن رفعني، واستخلفَني على ديوان الضِّياع، فكنتُ أَخلُفُه عليه إلى أن وَلِيَ شُجاعُ بنُ القاسم(٢) الوزارةَ مع كِتابَةِ(٣) أوتامش(٤)، في أيّام المستعين، واشتدَّ جزعُ أبي مُحَمَّد مِنهُ؛ **فسألتُه عن سَبَبِ ذلك، فقال:** هذا رجلٌ حمارٌ، لا يغار على صناعته(٥)، وهو مع هذا من أشدِّ الناس حيلَةً وشرًّا، وهو يَعرِف كِبَرَ نفسي وصغَرَ نفسِه، وقد بدأ بأبي جعفرٍ أحمدَ بنِ إسرائيلَ،

---

(١) هو أبو الفرج محمَّدُ بنُ جعفرٍ بن حفصٍ الكاتِبُ، وكان من أهل بيت كتبة، تقلَّد ديوان السواد في سنة (٣١٢هـ)، (ت: ٣٢٨هـ) عن سبعين سنة. ينظر: «أخبار الراضي بالله والمتقي لله» للصولي (ص: ١٤١)، و«تجارب الأمم وتعاقب الهمم» (٥/ ١٩٢).

(٢) هو أبو الحسن، شجاع بن القاسم الكاتب، كان كاتبًا للأمير أوتامش، فولاه المستعين وزارته، (ت: ٢٤٩هـ). ينظر: «الوافي بالوفيات» (١٦/ ٦٧).

(٣) في (ظ، ل): (كِتبة).

(٤) هو أبو موسى، أوتامش التركي، استوزره المستعينُ لمَّا وَلِيَ الخلافةَ، وأطلقَ يدَه ويَد شاهك الخادِمِ في بيت المال، وكان كاتبه شجاع هو الذي يدير الأمور، فأُغرِيَ به الموالي، فقتلوه وقتلوا كاتبَه، سنة (٢٤٩هـ). ينظر: «تجارب الأمم» (٤/ ٣٢٥)، و«الوافي بالوفيات» (٩/ ٢٤٩).

(٥) في (ظ): (صناعة)، وفي (ل): (الصناعة).

فَصَرفهُ عَن ديوان الخراج، ونَكَبَه، ونَقَلَه[1] إلى أنطاكية، ولستُ آمَنُ أن يجعلَني في أثَرِه.

قال: فما مَضَى إلَّا أُسبوعُ حتَّى ظهر أنَّ أبا موسى عيسى بنَ فرخان شاه القنائي الكاتب -وكان من صنائعِ الحَسَنِ، وقد أسلَم إذ ذاك[2]- قد سعى مع شُجاعٍ في تقلُّدِ ديوان الضِّياع، ثمَّ تقلَّدَه صارفًا للحسنِ بنِ مَخلَد، وخلعَ عليه، فازداد جزعُ الحسن، وأغلق بابَه، وقطعَ الركوب.

فبينا أنا عنده في بعض العشيَّات، إذ أتت رقعَةُ شُجاعٍ يستدعيه، ويؤكِّدُ عليه في البِدار، فارتاعَ، ونَهَضَ، وتعلَّق قلبي به، فقعدتُ أنتظره إلى أن عادَ وهو مهمومٌ مكروبٌ.

فقلتُ: ما خبرك؟

قال: قد فَرَغَ شُجاعٌ من التَّدبير عَليَّ، وذلكَ أنَّه قد صَحَّ عندي بعد افتراقنا أنَّ أوتامش قال البارحة لبعض خواصِّه: قد ثقَّلنا على شُجاع، وحمَّلناه ما لا يُطيق من كِتبَتِي والوزارة، وتركنا هذا السبعَ[3] الحسنَ بنَ مخلَدٍ متعطِّلًا، ولا بدَّ من أن يفرغ[4] له شجاعٌ إمَّا عن كِتبَتِي أو الوزارة؛ لأقلِّدَه إحداهما. **فلمَّا بلغ ذلك شجاعًا، أنفذ إليَّ في الوقت.** [ض/٨٢]

(١) في (ظ، ل): (ونفاه).

(٢) (العتابي الكاتِب وكان من صنائع الحسن وقد أسلم إذ ذاك) ليست في (ظ، ل).

(٣) في (ر): (الشيخ).

(٤) في (ض، ل): (يفرج).

فلمَّا لَقِيتُه السَّاعةَ، **قال لي**: يا أبا محمَّد، أنت شيخي ورئيسي، وأنت اصطنعتني، وأنا معترفٌ بالحقِّ لك، وآخِرُ ما لك عندي من الإنعام أن قلَّدتَني عمالةَ هَمَذان، فانتقلتُ منها إلى هذه المرتبة، والأميرُ يحذِّرُكَ الحذرَ كُلَّه، وقد أقامَ على أنَّه لا بدَّ من نكبتك وإفقارِك؛ فَلِلْحالِ التي بيننا امتنعتُ[1] عليه في هذا، وسألتُه في أمرك، وجَرَتْ خطوبٌ فقرَّرتُ الأمرَ على أن لا تجاوِرَه، وتَشْخَصَ إلى بغداد، ورضَّيتُه بذلك، وصرفتُ عنك النكبة، وقد أمرني بإخراجكَ من ساعتك، فما زلتُ حتَّى استنظرتُه لك ثلاثة أيَّامٍ، أوَّلها يومنا هذا، فاعمَلْ على هذا، فإنَّك تمضي إلى بلدٍ الآمرُ فيه والناهي أبو العبَّاس محمَّدُ بنُ عبدِ الله بنِ طاهر[2]، وهو صديقُكَ، وتَخدُمُك النّاس كلُّهُم، ولا تَخدُمُ أحدًا، وتقرُبُ من ضَيعَتِك.

فأظهرتُ له الشُّكرَ، وضَمِنتُ له الخروج، وأنا خائفٌ منه أن يَدَعَني حتَّى أُخرِجَ آلَتِي وتجمُّلي[3] وحُرَمِي، ثمَّ يقبضُ على ذلك كلِّه، وينكبَني. [ظ/١١٠]

فقلتُ: الوجهُ أن تفرِّقَ جميعَ مالِكَ وحُرَمِكَ والأمتعةِ والدَّوابِّ، وتُودِعَه ثقاتِك وإخوانَك، من وُجوه قوَّادِ الأتراك وكتَّابهم، وتطرحَ الثَّقَلَ[4] الذي لا قيمةَ له من خيشٍ وستائرَ وأسرَّةٍ وآلة المطبخِ في الزواريقِ، وتُجلِسَ في الحرَّاقَةِ[5]

(١) (امتنعت) في (ض، ظ): (ما أقمت على الامتناع).

(٢) هو محمَّد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، أبو العباس الخزاعي، أديب شاعر، ولي إمارة بغداد في أيام المتوكل، (ت: ٢٥٣هـ). ينظر: «معجم الشعراء» (ص: ٤٣٦)، و«تاريخ بغداد» (٣/ ٤٢١).

(٣) (وتجملي) ليست في (ظ، ل).

(٤) **الثَّقَلُ**: متاعُ المسافرِ وحَشَمُه. ينظر: «مختار الصحاح» (ث ق ل).

(٥) **الحَرَّاقة**: ضربٌ من السُّفُنِ فيها مرامي نيران يُرمَى بها العدوُّ في البحر. **والزَّوارِيقُ**: =

العجائزَ اللواتي لا تفكِّرُ فيهِنَّ؛ ليظنَّ أنهُنَّ الحُرَمُ، وتخرجهُنَّ، وتجتهدُ أن يكونَ خروجُك ظاهرًا، ولا تُكاشفْ بالاستتارِ، بل على سبيل توثُّق وموادعة[1]، فإذا حصلتَ ببغدادَ استَقْرَرْتَها[2] فأمنتَ[3].

فقال: هذا رأيٌ صحيح. وأخذ يُصلِحُ أمرَه على هذا.

فلمَّا كانَ في ليلة اليوم الثالث، لم أَنَمْ أكثرَ اللَّيل؛ فكرًا فيهِ، ثمَّ نمتُ لمَّا غلبتني عَينِي، فرأيتُ كأنَّ قائلًا يقولُ لي: لا تغتَمّ، فقد ركبَ الأتراكُ من أصحاب وصيفٍ[4] وبُغَا[5] إلى أوتامش وكاتِبِهِ شُجاع، وقد هجموا عليهما وقتلوهما واسترحتم منهما.

= جمعُ زَوْرَقٍ، وهو القارب الصغير. ينظر: «الصحاح» (ح ر ق: ٤/ ١٤٥٨)، و«لسان العرب» (ز ر ق: ١٠/ ١٤٠).

(١) (توثق وموادعة) في (ظ، ل): (توقٍّ ومراوغة).

(٢) في (ل، ظ): (استترت).

(٣) (استَقْرَرْتَها فأمنت) في (ك): (واستقررتها دبرت أمرك حينئذ بما ترى).

(٤) هو وصيف التركي حاجب المستعين، ولي الأهواز، ولما بويع المعتزُّ سنة (٢٥٢هـ) بعد خلعِ المستعينِ نَفسَه، صار إليه وصيف وبغا، فردَّهما إلى مراتبهما، ولم يزل يعمل في الحيلة عليهما الى أن شَغَبَ الموالي فقتلوا وصيفًا سنة (٢٥٣هـ). ينظر: «التنبيه والإشراف» (ص: ٣١٦)، و«المنتظم» (١٢/ ٢٢).

(٥) هو بغا التركي الصغير المعروف بالشرابي الأمير، حاجب المستعين بعد وصيف، وأحد قواد المتوكل، وممن قدم معه دمشق سنة (٢٤٤هـ)، وولي فلسطين في أيَّام المستعين، قُتِلَ سنة (٢٥٤هـ). ينظر: «تاريخ دمشق» (١٠/ ٣٢٧)، و«الوافي بالوفيات» (١/ ١١٠).

فانتبهتُ مروَّعًا، ووجدتُ الوقتَ الفجرَ[1]، فصلَّيتُ، وركبتُ إلى الحسن بن مخلد، فدخلتُ عليه من بابٍ له غامِضٍ؛ لأنَّهُ كانَ قد أغلقَ أبوابَه المعروفةَ؛ فسألتُه عن خبره.

فقال: هذا آخر الأَجَلِ، وقد خِفتُ أن يُعاجِلَني شُجاعٌ بالقبضِ عليَّ، وقد أغلقتُ أبوابي، واستظهرتُ بغلماني يُراعونَ رُسُلَه، فإذا جاؤوا ورأَوا أماراتِ الشَّرِّ فيهم أنذروني، فأخرجُ من هذا الباب الغامض، وأن يسألوا عن خبر شُجاع، فإن كانَ في داره قالوا لمَن جاء يطلبني: إنَّه في دار الأمير. وإن كان في دار الأمير، قالوا للرسل: إنَّه في دار شُجاع، فيدافعوه عنِّي إلى أن أهرب.

قال: فقصصتُ عليه الرُّؤيا، فتضاحكَ، **وقال**: ما ظننتُكَ بهذه الغَفلةِ، نحن في اليَقَظَةِ على ما ترى، كيفَ يصحُّ لنا خبرُك في مَنامك؟ هذا إنَّما نمتَ وأنتَ تتمنَّى خلاصي، فرأيتَ ذلك في منامك[2].

فخرجتُ من عنده أُريدُ داري، فلقيَني في الطَّريق جماعةٌ كثيرة، فعرَّفوني أنَّ الأتراكَ قد ركبوا بالسِّلاحِ، فعُدتُ[3] إلى منزلي، فأغلقتُ بابي، ووصَّيتُ جاري[4] بحفظ الدَّار، وعدتُ فدخلتُ على الحسن فأخبرتُه بالخبر، فأمرَ بمراعاة الأمر.

فما زلنا نتعرف الأخبارَ ساعةً بعد ساعة، إلى أن جاءَ الناسُ فعرَّفونا أنَّ الأتراكَ قتلوا شجاعًا، ثمَّ دخل رجلٌ، فقال: أنا رأيتُ الساعة رأسَ أوتامش، وصحَّ الخبر بقتلهما جميعًا.

---

(١) (ووجدت الوقت الفجر) في (ض): (وقد جاء انفجار الصبح).

(٢) (هذا إنَّما نمتَ... في منامك) ليست في (ض، ل، ظ)، وأثبتناها من (ك).

(٣) في (ل): (فعديت).

(٤) في (ظ، ل): (عيالي).

ونُهِبَتْ سُرَّ مَن رأى[1]، فما أفلتَ أحدٌ من النهب أحسنَ من إفلات الحَسَنِ؛ لأنَّه كان قد جعل مالَه كلَّه عند القوَّاد وكتَّابهم، فلم يَضِعْ منهُ شيءٌ، وكانَ متعطلًا عن الخدمة[2]، فَلم يقصد النهَّابة دارَه، وما أمسينا إلَّا على سرورٍ بالفرج الذي لم يكن في الحساب.

(١) (سر من رأى) في (ظ، ل): (سامراء كلها).

(٢) (عن الخدمة) ليست في (ض، ظ)، وفي (ض): (معطلا).

[٦: ٤] [أبو العبّاسِ بنُ الموصول يرى بشرى بنجاتِهِ من حبسِ سَيفِ الدولةِ]

حدَّثني أبو الفرج المخزوميِّ، المعروف بالببغاء الشاعر الكاتب، قال: كانَ بحَلَبَ رجلٌ تاجرٌ[١] بزّازٌ، يُعرَف بأبي العبَّاس بنِ الموصول[٢]، اعتقلَه سيفُ الدولةِ[٣] بخراجٍ كانَ عليه مُدَّةً، وكانَ الرجلُ حاذقًا بالتفسير للرؤيا.

فلمَّا كانَ في بعض الأَيّـام، كنتُ بحضرةِ سيفِ الدولة، وقد وصَلَتْ إليهِ رقعةُ البَزّاز، يسأله فيها حُضورَ مَجلِسه، **فأمر بإحضاره، وقال:** لأيِّ شيءٍ سألتَ الحُضور؟

فقال: لِعِلْمِي أنَّه لا بُدَّ أن يُطلِقَني الأميرُ سيفُ الدولة من الاعتقال، في هذا اليوم.

فقال له: ومن أين لك[٤] ذلك؟

---

(١) (رجل تاجر) ليست في (ظ، ل).

(٢) أبو العبَّاس بن الموصول الحلبيُّ الأسديُّ، جَدُّ بني الموصول الحلبيِّين، وهم بيتٌ من كبار بيوت الحلبيِّين، فيهم الوزراءُ والفضلاء. ينظر: «بغية الطلب في تاريخ حلب» (١٠/ ٢٨٨).

(٣) هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الجزري، أبو الحسن، الأمير، صاحب المتنبي وممدوحه، وأخو ناصر الدولة، وكان أديبًا شاعرًا، (ت: ٣٥٦هـ). ينظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٠١)، و«تاريخ الإسلام» (٨/ ١٠٢).

(٤) (لك) في (ظ): (علمت)، وفي (ل) زيادة: (علم).

قال: لأنِّي رأيتُ البارحةَ في منامي في آخرِ اللَّيل رجلًا، وقد سلَّم إليَّ مِشطًا، وقال: سرِّحْ لحيتك، ففعلتُ ذلك، فتأوَّلتُ التسريحَ، سراحًا من شدَّةٍ واعتقال، ولِكَونِ المنامِ في آخر اللَّيل حكمتُ أنَّ تأويلَه يصحُّ سريعًا، ووثقتُ بذلك، فجعلت الطَّريقَ إلى الأميرِ مسألةَ الحضورِ؛ لأَسْتَعْطِفَه.

فقال له: لقد أحسَنتَ التأويلَ، والأمرُ على ما ذكرتَ، وقد أطلقتُكَ، وسَوَّغْتُكَ[1] خَراجَك في هذه السَّنَة.

فخرج الرجلُ وهو يشكره ويدعو له.

---

(١) **سَوَّغَ له** كذا؛ أي: أعطاهُ إيَّاهُ. وأيضًا **سوَّغَهُ له**: أباحه، وجوَّزه. **والمرادُ بالتَّسويغِ**: الإذنُ في تَنَاوِلِ الاستِحقاقِ من جهةٍ مُعَيَّنَةٍ، تَيسيرًا وتَسهيلًا على الآخِذِ. ينظر: «المصباح المنير» (س و غ)، و«تاج العروس» (س و غ: ٢٢/ ٥٠٨).

[٦: ٥] [المأمونُ يرى النبيَّ ﷺ في منامِهِ يقولُ له: «أَغِثْ أبا حسّان الزياديَّ»]

أخبرنا القاضي أبو طالب محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ البهلول التنوخيُّ، فيما أجاز لي روايته عنهُ، بعدما سمعته منهُ، **قال:** حدَّثنا محمَّدُ بنُ خلفِ بنِ وكيعٍ القاضي، **قال:** حدَّثني أبو سَهلٍ الرّازيُّ القاضي، **قال: حدَّثني أبو حسَّان الزياديُّ القاضي**[1]، **قال:**

جاءَني رجلٌ من أهل خُراسان، فأودعني بَدْرَةَ دراهمٍ، فأخذتها مضمونة، وكنتُ مُضِيقًا[2]، فأسرعتُ في إنفاقها[3]، وكانَ عَزَمَ على الخروج إلى مكَّة، ثمَّ بدا له فعادَ فطَلَبَها، فاغتمَمْتُ وقلتُ له: تعودُ غدًا. [ظ/١١١]

ثمَّ فَزِعتُ إلى الله تعالى ودعوتُه، ثمَّ ركبتُ بَغْلَتِي في الغَلَس، وأنا لا أدري أين أتوجَّه، وعبرت الجسرَ، وأخذت نحو المُخَرِّم[4]، وما في نفسي أحدٌ أقصده، **فاستقبلني رجلٌ راكبٌ، فقال:** إليك بُعثْتُ.

---

(١) الحسن بنُ عثمان بن حماد، أبو حسان الزيادي، القاضي، وليَ قضاءَ الشرقية، وكان أحد العلماء الأفاضل، ومن أهل المعرفة والثقة والأمانة، (ت: ٢٤٣هـ). ينظر: «أخبار القضاة» لوكيع (٣/ ٢٩٢)، و«تاريخ بغداد» (٨/ ٣٣٩).

(٢) **أضاق**: ذهب مالُه؛ فهو **مُضِيقٌ**. ينظر: «مختار الصحاح» (ض ي ق).

(٣) في (ض): (فأخذتها مضمومة وأسرعت فيها). وفي «أخبار القضاة»: (مضمومة ثم سرقت بما فيها).

(٤) **المُخَرِّم**: محلَّة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلّى، وهي منسوبة إلى مخرِّم بن يزيد. =

فقلت: ومَن بعثك؟

قال: دينارُ بنُ عبدِ الله، فأتيتُه وهو جالسٌ؛ **فقال**: ما حالك؟

قلتُ: وما ذاك؟

فقال: ما نمتُ اللَّيلةَ إلَّا أتاني آتٍ، يقول: أَغِثْ[1] أبا حسَّان.

[ص/ ٨٣] فَحَدَّثته بحديثي، فَدَعا بعشرين ألفِ درهمٍ، فدفعَها إليَّ، فرجعتُ، فصلَّيت في مَسجِدي الغَداةَ، فجاء الرجلُ، فَقَضَيتُه، وأنفقتُ الباقي[2].

❁ ووقع لي هذا الخبرُ من طريقٍ آخرَ؛ فحدَّثني طلحةُ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرٍ الشّاهِدُ، قال: حدَّثني أبو الحسين عبدُ الواحدِ بنُ محمَّدٍ الخَصِيبيُّ، **قال**: حدَّثني أبو عليٍّ أحمدُ بنُ إسماعيلَ نطَاحةُ، **قال**: حدَّثني أبو سهلٍ الرّازيُّ القاضي، **قال**: **حدَّثنا أبو حسَّان الزياديُّ، قال**:

أَضَقْتُ إضاقةً بلغتُ منها[3] الغايةَ، حتَّى ألحَّ عليَّ القصَّابُ، والبقَّال، والخبَّاز، وسائرُ المُعامِلين، ولم يبقَ لي حيلةٌ.

فإنّي يومًا من الأيّام على تلك الحال، وأنا مفكِّرٌ فيما أَحتالُ وكيف أعملُ، إذ دخل عليَّ غلامي، فقال: حاجٌّ بالباب يستأذنُ، فقلت: ائذن له.

= ينظر: «معجم البلدان» (٥/ ٧٢).

(١) في (ظ، ل): (أدرك).

(٢) ينظر: «أخبار القضاة» لوكيع (٣/ ٢٩٢).

(٣) في (ض ظ) زيادة: (إلى).

فدخل رجلٌ خراسانيٌّ، فسلَّم، **وقال**: ألستَ أبا حسَّان؟

فقلتُ: بلى، فما حاجتك؟

فقال: أنا رجلٌ غريبٌ وأريدُ الحَجَّ، ومعي جملةُ مالي، وهو[1] عشرَةُ آلاف درهمٍ، وقد أحضرتُه في بَدرَةٍ معي، وأنا محتاجٌ أن يكون[2] قِبَلَكَ إلى أن أَقضِيَ حجِّي وأرجعَ فآخذه؛ إذ كنتُ غريبًا بهذا البلد لا أعرف به أحدًا.

فقلت: هاتِ البَدرَةَ. فسلمها إليّ، وخرجَ بعد أن وزنَ ما فيها وختمها[3].

فلمَّا خرجَ فكَكْتُ خاتمها على المكان، ثمَّ أحضرتُ المعاملين، فقضيتُ كلَّ مَن كان له عندي دينٌ، واتسعتُ وأنفقتُ، وقلتُ: أضمنُ هذا المالَ للخراسانيِّ، فإلى أن يجيءَ يأتي اللهُ عَزَّوَجَلَّ بفرجٍ من عنده.

فكنت يومي ذلك في سَعَةٍ، وأنا لستُ أشكُّ في خُروج الخراسانيِّ الحاجي[4].

فلمَّا أصبحتُ من غدِ ذلك اليوم، **دَخَلَ إليَّ غلامي، فقال**: الخراسانيُّ الحاجي الذي كان عندكَ أمسِ بالبابِ يستأذنُ.

فقلت له: ائذن له.

---

(١) (جملة من مالي وهو) ليست في (ظ، ل).

(٢) (معي وأنا محتاج أن يكون) في (ظ): (أسألك أن تقبضها وتدعها).

(٣) (بعد أن وزن ما فيها وختمها) ليست في (ظ، ل).

(٤) (الحاجي) ليست في (ظ، ل). **والحاجي**: الحاجُّ. ينظر: «المحيط في اللغة» (٣/ ١٤٢).

فدخل إليَّ، **فقال**: إنِّي كنتُ عازِمًا على ما أعلمتُكَ، ثمَّ قد ورد عليَّ الخبرُ بوفاةِ والدي، وَقد عزمت على الرُّجوع إلى بلدي، فتأمر لي بالمال الذي[1] أعطيتُكَ أمس.

فورد عليَّ أمر[2] لم يَرِدْ عليَّ مثلُه قطُّ، وتحيَّرتُ فلم أَدْرِ ما أجيبُه، **وفكَّرتُ فقلتُ**: ماذا أقول للرجل؟ إن جحدتُه قدَّمني إلى القاضي فحلَّفني، فكانت الفضيحةُ في الدُّنيا والآخرة، والهَتْكُ، وإن دَافَعتُهُ صاحَ وهَتكَنِي.

فقلت له: نعم، عافاك الله، منزلي هذا ليس بالحَرِيزِ، ولما أخذتُ مالكَ وجَّهتُه إلى مَن هو قِبَلَه، فتعودُ في غدٍ فتأخُذَه[3].

فانصرفَ، وبقيت متحيِّرًا، لا أدري ما أعمل، وغَلُظَ عليَّ الأمرُ جدًّا، فأدركني اللَّيلُ، وفكَّرتُ في بُكُورِ الخراسانيِّ، فلم يأخذني النّومُ، ولم أقدر على الغُمضِ[4].

فقمتُ إلى الغلام، **وقلت**: أَسرِجِ البغلةَ.

فقال: يا مولايَ، هذه العتمةُ بعدُ، وما مضى من الليل شيءٌ، فإلى أين تمضي؟

فرجَعتُ إلى فراشي، فإذا النّومُ مُمتَنع عليَّ، فلم أزل أقوم إلى الغلامِ، وهو يردُّني، ففعلت ذلك ثلاث مرات، وأنا لا يأخذني القَرار.

---

(١) (فتأمر لي بالمال الذي) في (ظ، ل): (فتفضل بالبدرة الَّتي).

(٢) في (ظ، ل) زيادة: (عظيم).

(٣) في (ظ، ل): (أخذت منك البَدرة، أنفذتها إلى موضع أحرز منهُ، فتعود إليّ غدًا، لأسلمها إليك).

(٤) **الغُمضُ**: النوم. ينظر: «لسان العرب» (غ م ض: ٧/ ١٩٩).

وطلع الفجرُ، وأسرجَ البغلةَ، فركبتُ وأنا لا أدري أين أتوجَّه، فطرحت عِنانَ البغلة، وأقبَلتُ أفكِّر، وهي تسيرُ، حتَّى بلغتُ الجسر فعَدَلَتْ بي إليه، فتركتُها، فعَبَرَتْ.

ثمَّ قلت: إلى أين أعبُرُ؟ إلى أين أتوجَّه؟ ولكن إن رجعتُ وجدتُ الخُراسانيَّ على بابي، فأدَعُها تمشي إلى حيثُ شاءَت، فمَضَت البغلةُ، فلمَّا عَبَرَت الجسرَ أخذَتْ بي يَمنَةً ناحيَةَ دار المأمون، فتركتُها، وَمَرَّت، فلم أزل كذلك إلى أن قربتُ من دار المأمون، والدُّنيا بعد مظلمَةٌ؛ فإذا فارسٌ قد تَلقَّاني، فنَظَرَ في وجهي ثمَّ سار وتَرَكَني، ثمَّ رَجَعَ إليَّ، **وقال:** ألست أبا حسَّان الزياديَّ؟ **فقلتُ:** بلى. **فقال:** بُعثْتُ إليكَ.

فقلت: وما تُريدُ، رحمك الله، ومَنْ بعثك إليَّ؟ **فقال:** الأميرُ الحسنُ بنُ سهلٍ.

فقلت: وَما يُريد مني الحسن بن سهل؟ ثمَّ قلتُ: امضِ بنا. فَمَضَى معي حتَّى **استأذنَ لي على الحسنِ بنِ سهلٍ، فدخلت إليه، فقال:** يا أبا حسَّان، ما خبرُك؟ وَكَيف حالك؟ لمَ انقَطَعتَ عنَّا؟

[ظ/١١٢] **فقلتُ:** لأسبابٍ؛ وذَهَبتُ لأعتذرَ عن التَّخَلُّف، **فقال:** دع هذا عنكَ، أنت في لَوثةٍ، أو في أمر، ما هو؟ فإنِّي رأيتُكَ في النّوم في تخليطٍ كثير.

فابتدأتُ فشرحتُ له قصَّتي من أوَّلها إلى أن لَقِيَني صاحبُه، ودخلتُ عليه.

فقال: لا يغمُّك الله يا أبا حسَّان، قد فرَّجَ الله عَزَّوَجَلَّ عنك[1]، هذه بدرةٌ للخراسانيِّ مكان بَدرَته، وهذه بدرةٌ أخرى تتَّسِعُ بها، فإذا نَفَدَتْ أَعلِمْنا.

---

(١) (يا أبا حسان، قد فرج الله عَزَّوَجَلَّ عنك) ليست في (ظ، ل).

فرجعتُ من ساعتي، فقضيتُ دينَ الخراسانيِّ، واتَّسعتُ، وفرَّجَ الله عَزَّوَجَلَّ عنِّي، فله الحمد[١].

❁ **وحدَّثني بهذا الحديث أيضًا أبو الفرجِ محمَّدُ بن جعفرٍ، مِنْ وَلَدِ صالحٍ** صاحبِ المصلَّى، **قال:** حدَّثنا أبو القاسم عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ أبي حسَّان الزياديِّ، وكانَ مُحدِّثًا بِبَغدادَ، ثقةً، مشهورًا، **قال: حدَّثني أبي، عن أبيه، قال:**

كنتُ وُلِّيتُ القَضاءَ من قِبَلِ أبي يوسُفَ، ثمَّ صُرِفتُ، وتعطَّلت سنين، وأَضَقْتُ إضاقةً شديدَةً، وركبني دينٌ فادحٌ، لخبازٍ، وقصَّابٍ، وبقَّالٍ، ونَقليٍّ[٢]، وعطَّارٍ، وبزَّازٍ، وغيرهم، حتَّى قطعوا مُعامَلَتي لكثرة ما لهم عليَّ، وإِياسِهم من أن أَقضِيهم، فتضاعَفَتْ إضاقتي، واشتدَّت حَيرتي.

فإنّي يومًا في مسجدي، قد صلَّيتُ صلاة الصبح[٣]، ثمَّ انقلبتُ أُلقِي درسَ الفقهِ على أصحابي؛ إذ جاءَني رجلٌ خراسانيٌّ... **وَذَكَرَ الحديثَ على نحوِ ما ذكرَه طلحَةُ، إلَّا أنَّه قال:**

فلمَّا بَلَغَتْ بَغْلَتِي مربَّعَةَ الخُرْسِيِّ[٤]، استقبلني موكبٌ فيه من الشموع والنفاطاتِ ما قد أضاء منهُ الطَّريقُ، فصارَ كالنهار، فطلبتُ زقاقًا أستخفي فيه،

---

(١) ينظر: «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٣٩)، و«تاريخ دمشق» (١٣/ ١٣٦)، و«المنتظم» (١١/ ٢٩٩).

(٢) **النقلي** نسبة إلى (**النَّقْل**) بفتح النون وضمِّها، وبعضهم خطَّأ الضمَّ، وقال ابن دريد: بفتح النون والقاف. وهو أكلُ الفواكِه ونحوِها، وأصله ما يؤكل مع الشرابِ، وفي «أساس البلاغة» (٢/ ٣٠١): وتفكهَّوا بالنَّقل. ينظر: «تاج العروس» (ن ق ل: ٣١/ ٢٧).
أو هو الذي يُصلِحُ الخُفَّ، يقال: نَقَلَ الخُفَّ؛ أي: أصلحَهُ. ينظر: «المصباح المنير» (ن ق ل).

(٣) في (ر): (بأهله الغداةَ).

(٤) **مُرَبَّعَةُ الخُرْسِيِّ**: محلَّة في شرقي بغداد، نُسِبَت إلى الخُرْسِيِّ صاحبِ شرطة بغدادَ في أيام =

حتَّى يجوزَ الموكِبُ، فلم أجد، فإذا **بِرَجُلٍ من بين الموكِبِ**، **يقول**: أبا حسَّان[1]. فتأمَّلتُه، فإذا هو دينارُ بنُ عبدِ الله، فسلَّمتُ عليه.

فقال: إليكَ جئتُ، أرسلَ إليَّ أميرُ المؤمنينَ الساعةَ، وأَمَرَني أن أحضرك بنفسي[2].

فمضيتُ معه حتَّى أدخلَنِي على المأمون.

فقال لي المأمون: ما قصتك؟ فإنِّي رأيتُكَ في النوم البارحة، وأَمَرَني رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بإعانتك. فَحَدَّثْتُه بحديثي.

فقال المأمون: أعطوا أبا حسَّانَ ثلاث بِدَرٍ، وولَّاني الرَّيَّ، وأَمَرَني بالخروج إليها.

قال: فعدتُ إلى بيتي وما طلع الفجرُ، فلمَّا كان وقتُ صلاتي في مسجدي، خرجتُ، فإذا بالخراسانيِّ، فلمَّا قضيتُ الصَّلاة أدخلتُه الدارَ وأخرجتُ البَدرةَ. [ض/ ٨٤]

فلمَّا رآها، قال: ما هذا؟ فقصصتُ عليه القصة، وأعطيته منها بدرة، فأخذها وانصرف.

وذكر محمَّد بن عُبدوسٍ، في كتاب «الوزراء»، في أخبار دينار بن عبد الله: أنَّ رسولَه لقيَ أبا حسَّان في الطَّريق، فقال له: الوزيرُ يسلِّم عليك ويقول لك: قد قسمتُ شيئًا على عيالنا، فذكرتُ عيالك. فأنفذَ إليه عشرةَ آلافِ درهمٍ، فأخذها،

= المنصور. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٣٥٨ - ٥/ ٩٩).

(١) في (ظ، ل) زيادة: (والله).

(٢) (أن أحضرك بنفسي) في (ض): (أركب إليك الساعة بنفسي، وأحضره إياك).

ورجع من الطَّريق، وباكَره الخراسانيُّ فأعطاهُ إيَّاها كلَّها؛ لأنَّهُ كانَ أنفقَ جميعَ مال الخُراسانيِّ، ثمَّ عاد إلى دينارِ بن عبد الله من غَدٍ فشكره وعرَّفه الحديث.

قال: فكأنَّا إنَّما قضينا الخُراسانيَّ. ثمَّ أمر له بعشرَةِ آلافِ درهمٍ أخرى. ولم يذكر ابنُ عُبدوسٍ في خبره ذكر المنام.

وحدَّثني أبي هذا الحديث في المذاكرة، قال: حدَّثني شيخٌ، ذَكَرَه أبي وأُنْسِيتُه أنا، عن أبي حسَّان الزياديِّ، بنحو ما ذكره محمَّدُ بنُ جعفرٍ في حديثه، **إلَّا أنَّه قال فيه:** إنَّ الخُراسانيَّ قال لأبي حسَّان: إن رَجَعَ الحُجَّاج ولم ترني قد رجعتُ إليك، فاعلم أنِّي هلكتُ، والبَدرَةُ هبةٌ منِّي إليك، ومتى رجعتُ فهي لي.

ثمَّ يتقارَبُ لفظُ الحديثين، إلى أن لَقِيَه في الجانب الشَّرقيِّ قومٌ، فلمَّا رآهم تنحَّى عن طريقهم، فلمَّا رأَوه بطيلسانٍ بادروا إليه، وقالوا له: أتعرف منزلَ رجلٍ يقال له: أبو حسَّان الزيادي؟ فقال: أنا هو، فقالوا: أَجِبْ أميرَ المؤمنينَ، فحُمِلَ، **فدخل على المأمون، فقال له:** مَن أنت؟

فقال: رجلٌ من أصحابِ أبي يوسُف القاضي من الفقهاء[1].

قال: بأيِّ شيءٍ تكنَّى؟ **قال:** بأبي حسَّان.

قال: بماذا تُعرَف؟ **فقال:** بالزياديِّ، ولستُ منهم، إنَّما سكنتُ بينهم فنُسبتُ إليهم.

فقال: قصتك؟ فشرحتُ له خبري، فبكى بكاءً شديدًا، **وقال:** ويحك، ما تركني رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2] أنام بسببكَ، أتاني في أوَّل اللَّيل فقال: «أَغِثْ

(١) في (ظ، ل) زيادة: (وأصحاب الحديث).

(٢) في (ظ) زيادة: (أن).

أبا حسَّان الزياديَّ»، فانتبهتُ ولم أعرفك، واعتمدتُ السُّؤال عنك[1]، وأثبتُّ اسمَكَ ونسبَكَ، ونمتُ، فأتاني وقالَ كمقالته، فانتبهتُ فَزِعًا، ثمَّ نمتُ، فأتاني، وقال: «ويحك، أغِثْ أَبا حسَّان»، فما تجاسرتُ على النَّوم حياءً من رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[2]، وأنا ساهرٌ من ذلك الوقت[3]، وقد بَثَثْتُ في طَلَبِكَ. **ثمَّ أعطاني عشرةَ آلاف درهمٍ، فقال:** هذه للخراسانيِّ. ثمَّ أعطاني عشرةَ آلاف درهمٍ أخرى، **فقال لي:** اتَّسع بهذه، وأصلِحْ أمرَكَ، وأعمر دارَكَ، واشتَرِ مركبًا سَريًّا[4]، وثيابًا حَسَنَةً، وعبدًا يمشي بين يديك[5]. ثمَّ أَعطاني ثلاثينَ ألفَ درهمٍ، **فقال:** جهِّز بناتِكَ بهذه، وزوِّجْهن، فإذا كانَ يوم الموكبِ، فصِرْ إليَّ لأقلِّدَكَ عملًا[6]، وأُحسِنَ إليك.

فخرجتُ والمال محمولًا معي، فجئتُ إلى مَسجِدي، فصليَّت الغَداةَ، والتفتُّ وإذا بالخُراسانيِّ، فأدخلته إلى البَيت[7]، وأخرجتُ بدرةً **فقلتُ:** خُذ هذه[8].

---

(١) (واعتقدت السؤال عنك) ليست في (ل).

(٢) (حياء من رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ) ليست في (ظ، ل).

(٣) (من ذلك الوقت) ليست في (ظ، ل).

(٤) (مركبًا سَريًّا) في (ل): (مركوبًا وغلامًا). **وسَرِيُّ المالِ:** خِيَارُهُ. ينظر: «المصباح المنير» (س ر ي).

(٥) في (ك): (يدي دابَّتك).

(٦) (لأقلدك عملًا) في (ظ): (حتى أقلِّدك عملًا جليلًا).

(٧) (وإذا بالخُراسانيِّ، فأدخلته إلى البيت) في (ظ، ل).: (بالباب فأدخلته).

(٨) (فقلت خذ هذه) في (ظ، ل): (فدفعتها إليه).

فقال: هي غيرُ مالي. **فقلت**: نعم. **قال**: ما سبب هذا؟[1] فقصصتُ عليه قصَّتي، فبكى، **وقال**: والله لو صدقتني في أوَّل الأمر عن خبركَ ما طالبتك بها، وأمَّا الآن، فوالله لا دخلَ ماليَ شيءٌ من مال هؤلاء، وأنتَ في حِلٍّ. وقام فانصرف.

فأصلحتُ أمري، وبكَّرتُ يومَ الموكبِ إلى باب المأمون، فدخلت وهو جالسٌ جلوسًا عامًّا[2]؛ فلمَّا مَثَلْتُ بين يديه استدناني، ثمَّ أخرج عَهْدًا من تحت مُصَلّاهُ، **وقال**: هذا عهدُكَ على قضاء المدينة الشرقيَّة من الجانب الغربيِّ من مدينة السَّلام، وقد أجريتُ عليك في كلِّ شهرٍ كذا وكذا، فاتَّقِ الله تَدُمْ لكَ عنايةُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال[3]: فَعجبَ النَّاسُ من كلامِه، وسألوني عن معناهُ، فأخبرتُهم الخبرَ، فانتشر.

فما زالَ أبو حسَّان قاضي الشرقيَّة إلى أن ماتَ في[4] آخر أيَّام المأمون[5].

---

(١) قوله: (هي غير مالي... هذا؟) في (ظ، ل): (ليسَ هذه بدرتي، أريد مالي بِعَينِه).

(٢) قوله: (فَلما دخلت... غامًا) في (ظ، ل): (فدخلت وهو جالس جلوسًا عامًا).

(٣) (قال) ليست في (ظ، ل).

(٤) (أن مات في) ليست في (ظ، ل).

(٥) لكن ذكر الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٣٩) أنَّه وليَ قضاءَ الشرقيَّة في خلافة المتوكل. وقد ذكر هذه القصة المؤلِّف في «نشوار المحاضرة» (٢/ ٢٣٤).

[٦: ٦] [يعقوبُ بنُ داودَ يرى في منامِه البشرى بالفرجِ وخروجِه من الحبسِ]

وأخبرني محمَّدُ بن الحسن بن المظفَّر، قال: حدَّثني أبو عمر محمَّدُ بنُ عبد الواحِدِ، قال: أخبرني بشرُ بن موسى الأسدي، قال: أخبرني بعضُ الهاشميِّين، قال: حبس المهديُّ يعقوبَ بن داود[1] وزيرَه، فطال حَبسُه، فرأى في منامه كأنَّ [ظ/١١٣] قائلًا يقول له: قل:

يا رفيقُ، يا شفيقُ، أنت ربِّي الحقيق، ادفع عنِّي المَضِيق، إنَّك على كل شيءٍ قدير.

قال: فقلتها، فما شعرتُ إلَّا بالأبواب تُفتَح، قال: فأُدخِلتُ على الرشيد، فقال: قد أتاني الَّذي أتاكَ، فاحْمَدِ الله عَزَّوَجَلَّ. وخلَّى سبيلي.

❁ ورويَ هذا الخبر، على خلاف هذا؛ فحدَّثني عليُّ بنُ أبي الطَّيِّبِ، قال: حدَّثنا ابن الجرَّاح، قال: حدَّثنا ابن أبي الدُّنيا، قال: حدَّثني خالد بن يزيد الأَزْديُّ.

❁ وأخبرنا محمَّد بن الحسن بن المظفر، قال: أنبأنا أبو بكر محمَّدُ بن محمَّد السَّرخسيُّ، قال: حدَّثنا أبو عبد الله المُقَدِّمي القاضي، قال: حدَّثنا أبو محمَّد

---

(١) هو أبو عبد الله، يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان، مولى عبد الله بن خازم السلمي استوزره أمير المؤمنين المهدي، وقرب من قلبه وغلب على أمره، ثم نكبه وأودعه السجن، فلم يزل فيه محبوسًا إلى أن ولي هارون الرشيد الخلافة فأطلق عنه، (ت: ١٨٢هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٨٢).

[التَّمِيمِيُّ][1]، قال: حدَّثنا **خالِد بن يزيد، قال:** حدَّثنا عبد الله بنُ يعقوبَ بن داود، **قال:** قال أبي: حَبَسَني المهديُّ في بئرٍ وبُنِيَتْ عليها قُبَّة، فكنتُ فيها[2] خمس عشرة سنة، حتَّى مضى صدرٌ من خلافة الرشيدِ، وكان يدلَّى إليَّ في كلِّ يومٍ رغيفٌ وكوزُ ماءٍ، وأُؤذَنُ بأوقات الصَّلاةِ، فلمَّا كان رأسُ ثلاثَ عشرة سنة، أتاني آتٍ في منامي، فقال: [من البسيط]

حَنَا عَلَى يُوسُفٍ رَبٌّ فَأَخْرَجَهُ ... مِنْ قَعْرِ جُبٍّ وَبِئْرٍ حَوْلَها غُمَمُ[3]

قال: فحَمِدتُ الله تعالى، وقلتُ: أتى الفرجُ. ثمَّ مَكَثتُ حولًا لا أرى شيئًا، فلمَّا كان في رأسِ الحَول أتاني ذلك الآتي، فقال لي: [من الطويل]

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ إِنَّهُ ... لَهُ كُلَّ يَومٍ في خَلِيقَتِهِ أَمْرُ

ثمَّ أقمتُ حَولًا لا أرى شيئًا، ثمَّ أتاني ذلك الآتي بعد الحول، فقال: [من الوافر]

عَسَى الكَرْبُ الَّذِيْ أَمْسَيتُ فيهِ ... يَكُونُ وَراءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

فَيَأْمَنُ خائِفٌ ويُفَكُّ عَانٍ ... وَيَأْتِي أَهْلَهُ النَّائِي الغَرِيبُ [ض/ ٨٥]

فلمَّا أصبحتُ نُودِيتُ، فَظَنَنتُ أنِّي أُؤذَن بالصَّلاة، فدُلِّي إليَّ حَبلٌ، وقيل لي: شُدَّ به وسَطَكَ. ففعلت، فأخرجوني، فلمّا تأمَّلتُ الضَّوءَ غُشِّيَ على بَصَرِي، فانطلقوا بي فأُدخِلتُ على الرشيد، **فقيل لي:** سلِّم على أمير المؤمنين.

---

(١) في (ض): (المغني)، وفي المطبوع: (المعي). وكلاهما تصحيف، والمثبت من «ترتيب الأمالي الخميسية» للشجري (١٠٥٧).

(٢) في (ظ): (فلبثت فيها).

(٣) جمع «غُمَّة»، وهي الحيرة واللَّبْس. ينظر: «المصباح المنير» (غ م م).

فقلتُ: السَّلام عليك يا أمير المؤمنينَ ورحمة الله وبركاته، المهدي.

قال: لستُ به.

فقلت: السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، الهادي.

قال: لست به.

فقلت: السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاتُه. **قال**: الرشيد. **فقلتُ**: الرشيد.

فَقال:[(١)] يا يعقوبَ بنَ داود، والله ما شفع فيك إليَّ أحدٌ، غيرَ أنِّي حملتُ اللَّيلةَ صبيَّةً لي على عنقي، فذكرتُ حَمْلَكَ إيَّايَ على عنقك، فرثيت لك من المحلِّ الَّذي كنتَ فيه، فأخرجتُكَ.

قال: وأَكْرَمَني، وقرَّب مجلسي، ثمَّ إنَّ يحيى بنَ خالدٍ تنكَّر لي، كأنَّهُ خافَ أن أغلبَ على أمير المؤمنين دونَه، فخفته، فاستأذنتُ في الحجِّ، فأذن لي.

فلم يَزَلْ مُقيمًا بمكَّة، حتَّى مات بها[(٢)].

❁ **وحدَّثني به أبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في المذاكرة** بإسنادٍ لم أحفظه ولم أكتبه في الحالِ[(٣)]، **وكانَ في الخبر**: أنَّ المهديَّ حبسَه في بئرٍ، ووكَّلَ أمرَه إلى خادمٍ له،

---

(١) في (ظ، ل) زيادة: (وعليك السلام).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٨٨)، ومن طريقه أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٣٨٣)، ومن طريق أبي عبد الله المقدمي أخرجه الشجري في «ترتيب الأمالي الخميسية» (١٠٥٧).

(٣) (لم أحفظه ولم أكتبه في الحال) في (ر): (له).

واستَحْلَفَه أن لا يخبر بخبره أبدًا لأحدٍ من الخلق كلِّهم، فكانَ الخادمُ الموكَّلُ به يُنزِلُ إليه في كلِّ يومٍ رغيفين، ودَوْرَقُ ماءٍ، منهُ شُربُه وطَهورُه، وفي البئر موضعٌ يتطهَّر فيه، فكانَ كذلك خمس عشرة سنة.

فلمّا كان بعد خمس عشرة سنةً سأل عنه الرشيدُ، فقيل له: إنَّه كان سُلِّمَ إلى فلانٍ الخادم، وذَكَرَ أنَّه ماتَ، فأَحضَرَ الخادمَ، وسألَ عنهُ، فقال: قد ماتَ. فاسْتَشْبَتَهُ، فرأى كلامًا مُختَلِفًا، فجَذَبَه، فقال: لا أعرفُ خبرَه[1]. فهدَّدَه، فأقام على الإنكار، إلى أن استحضرَ الرشيدُ المقارعَ، **فقال**: أنا أصدُق، استَحْلَفَنِي أميرُ المؤمنين المهديُّ ألَّا أُخبِرَ بخبرِه أحدًا من الخلق أبدًا.

فأكرهه الرشيدُ، فدلَّ على البئر التي هو فيها. **ثمَّ تتَّفِقُ الرِّوايتان.**

قال: فلمَّا وقف بين يدي الرشيد، وسلَّمَ، **قال الرشيدُ مُخفِيًا لكلامه**: مَنْ أمير المؤمنينَ؟ **فقال**: المهدي.

فقالوا: قد مضى لسَبيله[2]، فسلِّمْ على أمير المؤمنين. فسلَّمَ.

فقال: قولوا له: من أمير المؤمنين؟ **فقال**: موسى.

فقال: قولوا له: قد هَلَكَ، فسَلِّمْ على أمير المؤمنينَ. فسلَّمَ.

فقال: قولوا له: مَن أمير المؤمنينَ؟ **فقال**: هارون. ثمَّ تتفق الرِّوايَتانِ[3].

---

(١) (خبره) في (ر): (غيرَ موته).

(٢) (لسبيله) في (ر): (بحال سبيله).

(٣) من قوله: (وحدَّثني به أبي) إلى هنا سقط من (ظ، ل).

❁ **ورُوِيَ لي هذا الخبر على وجهٍ آخَرَ**، وهو أضعفها عندي، إلَّا أنِّي أجيءُ به كما بلغني، **فحُدِّثتُ برواياتٍ مختلفة، قال: حدثني**[1] عبدُ الله بن أيّوب، **قال**: رأيت يعقوبَ بنَ داودَ في الطواف، **فقلتُ له**: كيفَ كانَ سببُ خروجك؟

قال: كنتُ في المُطبِقِ[2] حَتَّى خفتُ على بَصَرِي، **فأتاني آتٍ في منامي**، فقال لي: يا يعقوبُ كيفَ ترى مكانك؟ **فقلت**: وما سؤالك؟ أما ترى ما أنا فيه، أليسَ يكفيك هذا؟ **قال**: قم فأَسْبِغ الوضوءَ، وصلِّ أربعَ ركعاتٍ، وقل:

يا مُحسِنُ، يا مُجمِلُ، يا مُنعِمُ، يا مُفضِّل، يا ذا الفضلِ والنِّعَم، يا عظيم، يا ذا العرش العظيم، اجعَل لي ممَّا أنا فيه فرجًا ومخرجًا.

فانتبهتُ، وقلتُ في نفسي: هذا في النَّوم. ورجعتُ إلى نفسي، فحفظتُ الدُّعاءَ، وقمتُ فتوضَّأتُ، وصلَّيت، ودعوتُ به، فلمَّا أسفَرَ الصُّبحُ، جاؤوني، فأخرجوني؛ فقلتُ: ما دعاني إلَّا ليقتُلَني.

فلمَّا رآني أَومَأَ إليهم: اذهبوا به إلى الحمام، فنَظِّفُوه، وأتوني به. فطابت نفسي، وسجدتُ شكرًا لله تعالى، فأطلتُ السُّجودَ، فقالوا لي: قُمْ. فقال لهم الرشيدُ: دعوه ما دامَ ساجدًا. ثمَّ رفعتُ رأسي، ثمَّ مُضيَ بي إلى الحمام.

فلمّا ردُّوني إليه[3] خَلَع عليَّ، ثمَّ ضرب بيده على ظهري، وقال لي: يا يعقوب، لا يَمُنَّنَّ عليك أحدٌ بمِنَّة، فما زلتُ منذُ اللَّيلَة قَلِقًا بأمرك[4].

---

(١) قوله: (ورُوِيَ لي هذا الخبر... قال: حدثني) في (ل، ظ): (وحدَّث)، وأثبتناها من (ح).

(٢) **المُطبِق**: سجن تحت الأرض. ينظر: «تاج العروس» (ط ب ق: ٢٦/ ٦٢).

(٣) (ردوني إليه) في (ظ، ل): (خرجتُ)، والمثبت من (ر، ح).

(٤) من قوله: (ورُوِيَ لي هذا الخبر) إلى هنا سقط من (ض). وذكر القصة بهذا السياق الخطيب =

❁ **قُرِئَ على أبي بكرٍ الصُّوليِّ بالبصرة في سنة خمسٍ وثلاثين وثلاثِ مِئَة وأنا حاضرٌ أسمع:** حدَّثكم الطيِّبُ بنُ محمَّدٍ الباهليُّ، **قال:** حدَّثنا [قعنب][1] بن مُحرِز، **قال:** حدَّثنا سعيدُ بنُ سالمٍ بحديثِ يعقوبَ بنِ داودَ، **قال:** حدَّثني بحديثه بمكَّة، **قال:**

حَبَسَنِي المهديُّ في مكانٍ لا أعرف فيه ليلًا ولا نهارًا، حتَّى عَفَا شعري[2] وصار أطولَ من شعور البهائم، فكنت أُؤَذِّنُ بأوقات الصلاة، فأصلِّي إلى جهةٍ لا أدري أهي القبلةُ أم لا، فلمَّا مضت إحدى عشرة سنةً أتاني آتٍ في منامي، فقال:

[من البسيط]

حَنَا على يُوسُفٍ رَبٌّ فَأَخْرَجَهُ ... مِنْ قَعْرِ بِئْرٍ وَبَيْتٍ حَوْلَهُ ظُلَمُ

فحمدتُ الله عَزَّوَجَلَّ على ذلك، ثمَّ أتاني ذلك الآتي بعد سنةٍ، فقال: [من الطويل]

عَسَى فَرَجٌ يَأتي بِهِ اللهُ إنَّهُ ... لَهُ كُلَّ يَومٍ في خَلِيقَتِهِ أَمْرُ

ثمَّ مكثتُ حَوْلًا، فأتاني ذلك الآتي، فقال: [من الوافر]

عَسَى الكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيتَ فِيهِ ... يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

= في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٣٨٣)، والضياء المقدسي في «العدة للكرب والشدة» (ص: ٩٦).

(١) في (ض): (كعيب). وهو تصحيف؛ فالذي يروي عنه الطيب بن محمَّد الباهلي هو قعنب بن محرز. ينظر: «الأوائل» للعسكري (ص: ١٩٥).
قعنب بن مُحرز بن قعنب من أهل الْبَصْرَة يروي عَن أبي عَاصِم والبصريين حَدَّثنا عَنهُ مُحَمَّد بن عبد الْكَرِيم الْوزان. ينظر: «الثقاة» لابن حبان (٩/ ٢٣).

(٢) أي: كَثُرَ وطال. ينظر: «المصباح المنير» (ع ف و).

فَيَأْمَنُ خَائِفٌ وَيُفَكُّ عَانٍ وَيَأْتِي أَهْلَهُ النَّائي الغَرِيبُ[1]

واللهِ لئن دخلتَ في أعمالهم بعد أن خلَّصكَ الله ليرمينَّكَ بصاعقة. فما كان بأسرعَ من أن دُلِّيَ إليَّ حبلٌ، فشدَدتُ به وسطي وجُذِبتُ، فأُخرِجْتُ وما أُبصِرُ، فأُخِذَ من شعري، وأُلبِستُ ثيابًا، وأُدخِلتُ إلى مجلسٍ، **فقيل لي**: سلِّم على أمير المؤمنين.

فقلت: السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقيل لي: ومَن أميرُ المؤمنين؟ **فقلت**: المهدي.

فقيل لي: رحم الله المهديَّ، سلِّمْ على أمير المؤمنين. **فقلت**: السلام عليكَ يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقيل لي: ومن أمير المؤمنين؟ **فقلت**: أبو محمَّدٍ، موسى الهادي.

فقيل لي: رحم الله الهادي، سلِّمْ على أمير المؤمنين. **فقلت**: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقيل لي: ومَن أمير المؤمنين؟ **فقلت**: أبو جعفر هارون الرشيد. **وكلَّمني الرشيدُ فقال**: وعليكَ السلامُ، يَعِزُّ عليَّ يا يعقوب بما نالك.

فجعلتُ المهديَّ في حِلٍّ وسَعَةٍ، وشكرتُه على تخليتي، **فقال**: لا يَمُنَّنَّ عليك يحيى بنُ خالدٍ[2] ولا غيرُه، فما لأحدٍ في إطلاقك شيءٌ، ولكنِّي حملتُ بُنَيَّةً

---

(١) البيتان لهُدبة بنِ خَشْرَمَ، وسيذكرها المؤلِّف في (٥/ ٣٣٠). ينظر: «حماسة البحتري» (ص: ٤٣٩).

(٢) البرمكي، وقد سبقت ترجمته (١/ ٣٢٧).

لي على عنقي، فذكرتُ حملَكَ إيَّايَ على عاتقك، وتسريحك إيَّاي من الكتَّاب، فأمرتُ بإخراجك.

فدعوتُ له، فأمر لي بخمسِ مئةِ ألفِ درهمٍ، وردَّ عليَّ ضِياعي ما يغلُّ عليَّ خمسةَ آلاف دينارٍ في السنة، وأمر[1] بعلاج عيني فعولجتُ شهورًا إلى أن صرتُ أقرأ الخطَّ الجليلَ، فكان يدعوني ويخلو معي ويحدِّثني، فساءَ ذلك يحيى بنَ خالدٍ، فاستأذنته في الحجِّ، فأذن لي، وأنا مقيمٌ بمكَّة كما تراني[2].

(١) في (ض): (وتقدَّم)، والمثبت من (ر).
(٢) من قوله: (قرئ على أبي بكر الصولي) إلى هنا سقط من (ظ، ل).

[٦: ٧] [المهديُّ يُخرِجُ رجلًا من السجنِ لمنامٍ رآه]

وجدتُ في بعض الكتب: أنَّ المهديَّ استحضر صاحبَ شرطته ليلًا، وقد انتبه من منامه فَزِعًا، فقال له: ضَعْ يدك على رأسي، واحلف بما أَسْتحلفُك به. [ظ/١١٤]

فقال: هي تقصُرُ عن رأس أمير المؤمنينَ، ولكن عليَّ وعليَّ، وحلفَ بأيمان البيعَةِ أنَّه يمتثل ما يُؤمَر به.

فقال: صِرْ إلى المُطبِقِ، واطلب فلانًا العلويَّ الحُسَيني، فإذا وجدتَه فأخرِجْهُ وخيِّرْه[١] بين الإقامة عندنا مطلقًا مكرَّمًا مَحبُورًا، أو[٢] الخروج إلى أهله، فإن اختارَ الخروجَ قُدْتَ إليه كذا وكذا، وأعطيتَه كذا وكذا، وإن اختار المقام أعطيتَه كذا وكذا[٣]، وهذه توقيعاتٌ بذلك. [ض/٨٦]

قال: فأخذتُها وصرتُ إلى مَن أزاحَ علَّتي في الجميع[٤] وجئتُ إلى المُطبِق، فطلبت الفتى، فأُخرِجَ إليَّ وهو كالشنِّ البالي، فعرَّفتُه أمرَ أمير المؤمنينَ، وعرضتُ عليه الحالين، فاختار الخروجَ إلى أهله بالمدينة، فسلَّمت إليه الصِّلةَ والحملانَ[٥].

---

(١) (فأخرجه وخيره) في (ظ، ل): (فخيره).

(٢) (محبورًا أو) في (ل): (وبين).

(٣) في (ض) زيادة: (ورزق كذا).

(٤) (الجميع) في (ظ): (بابها). وليست في (ل).

(٥) **الحُمْلان**: ما يحمل عليه من الدَّوابِّ في الهبةِ خاصَّةً. ينظر: «لسان العرب» (ح م ل: ١١/ ١٧٥).

فلمّا جاءَ ليركبَ ويمضي، **قلت له**: بالَّذي فرَّج عنك، هل تعلم ما دعا أميرَ المؤمنينَ إلى إطلاقك؟

قال: إي[1] والله، كنت اللَّيلةَ نائمًا، فرأيتُ النَّبيَّ صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مَنامي، وقد أيقظني، وقال: أَيْ بُنَي ظلموك؟ **قلتُ**: نعم، يا رسولَ الله.

قال: قُم، فصلِّ ركعتينِ، وقل بعدهما:

يا سابقَ الفَوت، ويا سامع الصَّوت، ويا كاسيَ[2] العظام بعد الموت، صلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّد، واجعل لي من أمري فرجًا ومَخْرجًا، إنَّك تعلمُ ولا أعلم، وتقدرُ ولا أَقْدِر، وأنتَ علَّام الغيوب، يا أرحمَ الراحمينَ.

قال: فوالله لقد قُمت، ففعلتُ، وما زلتُ أكرِّرُها حتَّى دعوتَني.

فحمدتُ الله عَزَّوَجَلَّ على توفيقي في مسألته، وعدتُ إلى المهديِّ، فحدَّثته بالحديثِ، **فقال**: ويحك، صَدَقَ، إنِّي كنتُ نائمًا في فراشي، فرأيتُ في منامي زنجيًّا بعمود حديدٍ قائمًا على رأسي يقول[3] لي: أطلِق فلانًا العلويَّ الحسينيَّ وإلَّا قتلتُكَ. فانتبهتُ فَزِعًا، فوالله ما جَسَرْتُ على العَود إلى النوم حتَّى جئتَنِي بإطلاقه[4].

---

(١) في (ظ، ل): (إني).

(٢) في (ظ): (ناشز)، وفي (ل): (ناشر).

(٣) قوله: (ويحك صدق... رأسي يقول) في (ظ، ل): (صدق والله، لقد أتاني رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم، فأمرني بإطلاقه. وفي خبر آخر: لقد أتاني زنجي في فراشي، بعمود حديد، فقال).

(٤) ينظر: «مرآة الزمان» (١٢/ ٢٩٩).

[٦: ٨] [المُعتَمِدُ يُخرِجُ منصورًا الجمَّالَ والحدَّادَ من الحبس لمنامٍ رآه]

أخبرني أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ، فيما أجازَ لي روايتَه، بعدما سمعتُ منهُ، **قال**: حدَّثني **أحمد بن يزيد المُهلَّبيُّ، قال:**

كنَّا ليلةً بين يدي المعتَمِد على الله[١]، **وقال**: لا يبرحَنَّ أحدٌ. ثمَّ نام مقدارَ نصفِ ساعة، وانتبه، **فقال**: أَحضِروني من الحبس رجلًا[٢] يُعرَفُ بمنصورٍ الجمَّال. فأُحضِرَ.

فقال له: منذُ كم أنت محبوسٌ؟ **فقال**: منذُ ثلاثِ سنين.

قال: فاصدقني عن خبرك؟

فقال: أنا رجلٌ من أهل المَوصِل، كان لي جملٌ أعمل عليه، وأعودُ بكرائه على عيالي[٣]، فضاقَ الكسبُ عليَّ بالموصِل، فقلت: أخرجُ إلى سُرَّ مَن رَأَى، فإنَّ العمل ثَمَّ أكثرُ. فخرجتُ، فلمَّا قربت منها، إذا جماعةٌ من الجُندِ قد ظَفِروا بقومٍ يقطعون الطَّريقَ، فكتبَ صاحبُ البريدِ بعددهم، وكانوا عشرةً، فأعطاهُم واحدٌ

---

(١) هو أمير المؤمنين أحمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل بن محمَّد المعتصم بن الرشيد، أبو العبّاس، ولي الخلافة بعد المهتدي بالله سنة (٢٥٦هـ)، وكان مولده بسر من رأى، وأمه أم ولد، (ت: ٢٧٩هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٩٨).

(٢) يقال: أَحْضَرَ الشيءَ، وأَحْضَرَه إيَّاه. ينظر: «لسان العرب» (ح ض ر: ٤/ ١٩٧).

(٣) في (ض): (عيلتي).

من العشرة مالًا على أن يُطلِقوه، فأطلقوه وأخذوني مكانَهُ، وأخذوا جَمَلي، فسألتُهم بالله عَزَّوَجَلَّ، وعرَّفتُهم خبري، فأبَوا وحبسوني، فماتَ بعضُ القومِ، وأُطلِقَ بعضُهم، وبقيتُ وحدي.

فقال المعتمِد: أحضروني خمسَ مئة دينارٍ، فجاؤوا بها إليه.

فقال: ادفعوها إليه. وأَجرَى عليه ثلاثينَ دينارًا في كلِّ شهر، **وقال:** اجعلوا أمر جِمَالنا إليه.

ثمَّ أقبلَ علينا، **فقال:** رأيتُ الساعَةَ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في النوم، **فقال:** يا أحمد، وجِّه الساعةَ إلى الحبس فأخرِجْ منصورًا الجمَّالَ، فإنَّهُ مظلومٌ، وأحسِنْ إليه. ففعلتُ ما رأيتُم.

قال: ثمَّ نامَ من وقته، وانصرفنا[(١)].

❁ ووقع إليَّ هذا الخبرُ من طريقٍ آخرَ بأتمَّ من هذه الرواية بإسنادٍ غيرِ هذا[(٢)]، **قال:** كان المعتمِدُ مع سماحةِ أخلاقِه وكثرةِ جودِه[(٣)]، فاشتهى يومًا أن يصطَبِحَ

(١) ينظر: «نثر الدر في المحاضرات» (٣/ ٩٤)، و«التذكرة الحمدونية» (٨/ ٥٤).

(٢) (بإسنادٍ غيرِ هذا) في المطبوع: (فحدَّثني أبو محمَّدٍ الحسنُ بن محمَّد الصلحي، الذي كانَ كاتبَ أبي بكر بن رائق، ثمَّ كتب لسيف الدولة، ثمَّ كانَ آخر تصرف تصرفه أن كتب للمطيع لله رَحِمَهُٱللَّهُ على ضياع الخدمة، وخاصِّ أمرِه، في وزارة أبي محمَّدٍ المهلبيِّ لمعزِّ الدولة، قال: حدَّثني أبو عليٍّ الأوارجي الكاتب، قال: **حدَّثني أبو محمَّد عبد الله بن حمدون النديم**). وقال المحقق: هو زيادة من نسخة مكتبة الأسكوريال. ونحن لم نستطع قراءته من هذه النسخة لسوء التصوير، وليس في باقي النسخ التي عندنا. وقد ذكر هذه القصة ابنُ الجوزيِّ في «المنتظم» (١٢/ ١٠٥) بالسند إلى التنوخي إلى ابن حمدون.

(٣) من قوله: (أخبرني أبو بكر محمَّد...) إلى هنا في (ل، ظ): (حدثنا الصوليُّ عن أحمد بن =

على الأترجِّ[1]، فجُمِع له شيءٌ كثيرٌ مُفرِطُ العِدَّةِ، وعُبِّيَ وحُزِمَ بعضُه[2]، فاصطَبَحَ عليه، ولم يَدَعْ شيئًا من الخُلَعِ والصِّلاتِ إلَّا عَمِلَه مع ندمائه ذلك اليوم، وخصَّنِي منهُ بالكثير.

وكانَت علامَتُه إذا أرادَ أن ينهضَ جُلَساؤه، أن يلتَفِتَ إلى سريرٍ لطيفٍ كانَ إذا جلس يستند إليه، ويُشِيلَ برجله[3] كأنَّهُ يريدُ أن يصعدَه، فيقوموا، فإن كانَ يريد النَّوم صَعِدَه فنامَ، وإن لم يُرِد النَّومَ ردَّ رجلَه إذا قمنا.

فلمّا كانَ في ذلك اليوم جلسنا بحضرته نهارنا أجمع، وقطعةً من اللَّيل، ثمَّ شالَ برجلِه فقُمنا، وانصرفَ الجلساءُ، فمضيتُ إلى حُجرةٍ موسومةٍ كانت لي من بينهم[4].

فلمَّا انتصف اللَّيل إذا بخدمٍ يدقُّون بابَ حجرتي، فانتبهتُ مرعوبًا، فقالوا: أَجِبْ أميرَ المؤمنينَ. فقمتُ، وقلتُ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، قد مضى يومُنا

= يزيد المهلبي، قال: كنَّا ليلةً بين يدي المعتمِد وكان كثير).

(١) **اصطبح**: شَرِبَ الصَّبُوحَ، وهو الشرب بالغداة. ينظر: «مختار الصحاح» (ص ب ح).
والأُتْرُجُّ: شجرٌ من فصيلة الحمضيَّات، يُشبِهُ الليمون لكنه أكبر حَجْمًا منه، أصفرُ اللون، ذو رائحةٍ عطريَّةٍ فوَّاحة، منه الحلو، ومنه الحامض، والحلو منه كبير الحجم طيِّب الطعم، ويسمى في الشام (الكبَّاد). ينظر: «صفة جزيرة العرب» (ص: ٢٠٠)، و«المعجم الوسيط» (١/ ٤ - ٢/ ٧٧٢).

(٢) (وعُبِّيَ وحُزِمَ بعضُه) ليست في (ظ، ل)، وأثبتناها من (ر، ن، ح).

(٣) أي: يرفعها. ينظر: «المصباح المنير» (ش و ل).

(٤) من قوله (فلمّا كانَ في ذلك...) إلى هنا في (ظ، ل): (فلمّا كانَ ذلك اليوم ردَّ رجلَه إلى السرير في أوَّل اللَّيل، وانصرفت إلى حجرتي التي كانت مرسومة لي)، والمثبت من (ر، ن).

وبعضُ ليلتنا أحسنَ مُضِيٍّ، وقدَّرتُ أنّي إلى أن صِرتُ بحضرَته[1]، فلمَّا رآني قائمًا لم يَسْتَجلِسني، **وقال لخادمه:** عليَّ بصاحبِ الشرطة الساعةَ.

فمتُّ جَزَعًا، وقلتُ في نفسي وأنا واقفٌ بين يديهِ: لم تَجرِ عادتُه باستدعاء صاحبِ الشرطة، وما هو إلَّا لبليَّةٍ قد احتِيلَ بها عليَّ عنده.

فأقبلتُ أنظر إليه طمعًا أن يُفاتحني بكلمةٍ، فأُدارِيه في الجواب، وهو لا يرفع رأسَه من الأرض، إلى أن جاءَ صاحبُ الشرطة، فرفع رأسَه إليه، **وقال:** في حبسكَ رجلٌ يُعرَفُ بفلان بنِ فلانٍ الجمَّال؟ -وفي روايةٍ: يُعرَفُ بمنصورٍ الجمَّال[2]- **قال:** نعم.

فقال: أَحضِرْنيه السّاعةَ.

فمضى ليُحضِرَه، وسَهُلَ عليَّ الأمرُ قليلًا، ووقفتُ، وهو لا يخاطبني بشيءٍ، إلى أن أُحضِرَ الرجلُ.

فقال له المعتمد: مَن أنت؟ **قال:** أنا منصور بن فلان الجمَّال.

قال: وما قصَّتُك؟

[ظ/١١٥] **قال:** أنا مظلومٌ، حبستُ منذُ كذا وكذا سنة، وأنا رجلٌ من أهل الجبل، وكانَ لي جمالٌ أعيشُ من فضل أجرتها، وكانَ يتقلَّدُ بلدَنا فلانٌ العامِلُ، فاستُدعيَ

(١) قوله: (ولم أزل أفكر... بحضرته) في (ظ، ل): (فأتيتُه وأنا في نهاية الجَزَع).

(٢) (وفي رواية: يعرف بمنصور الجمال) ليست في (ل، ر).

إلى الحضرة، فأخذ جمالي غَصْبًا، يستعين بها في حَمل متاعِه[1]، فتظلَّمتُ إليه وصِحتُ[2]، فلم ينفَعْني ذلك، وقال: إذا صرتُ بالحضرةِ رددتُها عليك.

فخرجتُ معه لئلَّا تذهب الجمالُ أصلًا، فكنت مع جمالي أَخدِمُها في الطَّريق، فَلَمّا قربنا من حُلْوانَ[3] سلَّ الأكرادُ منها جملًا مُحَمَّلًا، فبلغه الخبرُ، فأحضرني، **وقال**: أنتَ سرقتَ الجملَ بما عليه. **فقلتُ**: غلمانُك يعلمون أنَّ الأكرادَ سلُّوه.

فقال: الأكراد إنَّما جاؤوا بمواطأةٍ منك. ثمَّ أمر بضربي، وتقييدي، وطرحي على بعض جمالي.

فلمّا وردنا إلى الحضرةِ أُنفِذتُ إلى الحبسِ، وأخذ الجمالَ، ولم يكن لي[4] متظلِّمٌ، ولا مُذَكِّرٌ، فطال حبسي، وطالت[5] بي المحنةُ إلى الآن.

فقال لبعض الخدم: امضِ الساعةَ إلى فلانٍ العامِلِ، واقعد على دماغه، ولا تبرح، أو يردَّ عليه جمالَه أو قيمتَها على ما يُريد، فإذا قبض ذلك، فاحمله إلى الخزانة، واكْسُهُ كِسوةً حسنةً، وادفع إليه كذا وكذا دينارًا، واصرفه مُصاحَبًا.

ثمَّ قال لصاحب الشرطة: في حبسك رجلٌ يعرف بفلان بن فلانٍ الحدَّاد؟ **قال**: نعم.

---

(١) في (ل، ر): (سواده).

(٢) في (ر): (وضجَّيتُ).

(٣) **حُلْوان** العراق آخرُ حدودِ السوادِ ممَّا يلي الجبالَ من بغداد. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٢٩٠).

(٤) في (ل) زيادة: (متكلِّمٌ ولا).

(٥) (فطال حبسي وطالت) في (ل، ل): (فطالت).

قال: أَحضِرْنيه الساعةَ. فأحضرهُ.

فقال له: ما قصتك؟

فقال: حُبِستُ بظُلمٍ، أنا رجلٌ من أهل الشَّام، وكانت لي نعمَةٌ فزالت، فهَرَبتُ من بلدي، إلى أن وافيتُ الحضرةَ طلبًا للتَّصَرُّف[1]، فتعذَّر عليَّ حتَّى كدت أتلف جوعًا.

فسألتُ عَن عملٍ أعمله ليلًا لأتوفَّر نهارًا على طلب التَّصَرُّف، وأُنفِقُ ما أكسبه في الليل نهارًا، فأُرشِدتُ إلى حدَّاد يعمل ليلًا، فقصدتُه، فاستأجرني كلَّ ليلةٍ بدرهمٍ، فكنتُ أعمل معه، وكانَ معه غلامٌ آخر يَضرِبُ بالمطرقة، فأفسدَ ذلك الغُلامُ على الحدَّاد نَعلًا كان يضربها، فاغتاظَ عليه، ورماه بالنعل الحديد على قُلَّتِه[2]، فَتَلِفَ للوقتِ، فهربَ الحدَّادُ، وبقيتُ أنا في الموضع متحيِّرًا لا أدري إلى أين أمضي، وأحسَّ الحارسُ في الحال بما رابَه، فهجم على الدُّكان، فوجدني قائمًا، والغلامَ مَيتًا، فلم يشكَّ أني القاتلُ، فقبضَ عليَّ ورفعني، فحُبستُ إلى الآن[3].

فقال لصاحب الشرطة: خلِّ عنه.

---

(١) **التصرُّف:** الاكتساب وطلب المعاش. ينظر: «لسان العرب» (ص ر ف: ٩/ ١٩٠).

(٢) (قُلَّته) في (ل): (قَلبه). **القُلَّة:** رأس الإنسان، وقُلَّةُ كلِّ شيءٍ أعلاه. ينظر: «مختار الصحاح» (ق ل ل).

(٣) قوله: (حبست بظلم... إلى الآن) في (ر): (حبست ظلمًا منذ كذا وكذا، قال: وما كان سبب ذلك؟ فقصَّ عليه قصة طويلة).

وقال لخادم آخر: خُذهُ فغيِّر حاله واكْسُهُ، وادفع إليه خمسَ مئةِ دينارٍ، ودعه ينصَرِفُ مُصاحَبًا.

ثمَّ رفع رأسه إليَّ، وقال: يا ابنَ حمدون، الحمدُ لله الذي وفَّقني لهذا الفعل.

ففُرِّجَ عنِّي، فقلتُ: كيفَ تكلَّف أميرُ المؤمنينَ النَّظرَ في[1] هذا بنفسه، في مثل هذا الوقت؟

فقال: ويحك، إنِّي رأيت في منامي رَجُلًا يقول لي: في حَبسِكَ رجلانِ مظلومان، يقال لأحدهما: منصور الجمال، والآخر: فلان بن فلان الحداد، فأَطْلِقْهما السَّاعة، وأحسِنْ إليهما وأَنْصِفْهما. فانتبهتُ مذعورًا، ثمَّ نمتُ، فما استثقلت[2] حتَّى رأيتُ الشَّخص بعينه، يقول لي: ويلك، آمُرك أن تُطلِق رجلَينِ مظلومين في حَبسِك قد طال مكثهما، وتُحسِنَ إليهما، فلا تفعل، وترجع إلى نومك؟ لقد هَمَمت أن أوجعك. فكاد يمدُّ يدَه إليَّ، **فقلت له**: يا هذا مَن أنت؟

فقال: أنا محمَّد رسول الله. فكأنِّي قبَّلتُ يده، **وقلتُ**: يا رسول الله، ما عرفتُك، ولو عرفتُك ما تجاسرتُ على تأخير أمرِك.

فقال: قُم، فافعلْ في أمرهما السَّاعةَ ما أمرتُكَ به.

فانتبهتُ مذعورًا، فاستدعيتُك لتشاهد ما يجري.

---

(١) (النظر في) ليست في (ل).

(٢) في (ل): (استقلت).

فقلت: هذه منة عظيمة على أمير المؤمنين لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فليشكُرِ اللهَ أميرُ المؤمنين ويكثر الصدقة[1].

فقال: امضِ فقد أزعجناك، فعدتُ إلى حُجرَتي. [ظ/١١٦]

فلمَّا كانَ من غَدٍ عَشِيًّا، دخلتُ إليه، فأحببتُ أن أُعَرِّفَ الجلساءَ ما جرى البارحة، ليُسَرَّ هو بذلك، وكنت أعرف من طَبعه أنَّه يحبُّ الإطراءَ والمدحَ، ونشرَ ما هذا سبيلُه، فإنَّهُ إذا عمل عملًا جميلًا أكثرَ من ذكره، وتبجَّح به وإن كان صغيرًا.

فقلت: أرى أميرَ المؤمنينَ ليس يُخبِرُ خدَمَه بما كان من المعجزة البارحة.

فقال: وما ذاك؟

قلتُ: إحضاري البارحةَ، وإحضارُ صاحبِ الشرطة، والجمَّالِ، والحدَّادِ، ورؤياه النَّبيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وما أمره به فيهما، والإحسانِ إليهما وإطلاقهما[2].

فقال: والله ما أذكر من هذا شيئًا، وما كنتُ إلَّا نائمًا طول ليلتي ما انتبهتُ.

فقلتُ: بلى يا سيِّدي.

فتنكَّر، وقال: قد صرت تغالطني وتخادعني بالكذب.

فقلتُ: أعيذُ أميرَ المؤمنينَ بالله، هذا أمرٌ مشهورٌ في الدَّار عند الخدم الخاصَّة.

---

(١) (فليشكُرِ اللهَ أميرُ المؤمنين ويكثر الصدقة) ليست في (ظ).

(٢) (والإحسان إليهما وإطلاقهما) في (ل): (وما تقدم به إلى أمير المؤمنينَ من إطلاقهما والإحسان إليهما).

فقال: مَن كان حاضِرُه؟

فقلت: فلانٌ الخادمُ، وفلانٌ، وفلانٌ صاحبُ الشرطة[١]، وقصصت عليه القصَّة، وشرحتها.

فاستدعى الخدمَ، فتحدَّثوا بمثل ما ذكرتُه، فأظهر تعجُّبًا شديدًا، وحلف بالله العظيم، وبالبراءةِ من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالنفيِ من العَبَّاس[٢]: أنَّه لا يذكر شيئًا من ذلك، ولا يعلم إلَّا أنَّه كانَ نائمًا، ولا رأى منامًا، ولا انتبَه، ولا جلسَ، ولا استدعى أحدًا، ولا أمرَ بأمر.

فما رأيتُ أعجبَ من هذا المنام والحال، ولا أطرفَ من نسيانه[٣] ذلك[٤].

ووجدتُه في بعض الكتب عن قريبٍ من هذه الألفاظ، إلَّا أنَّه ليس فيه حديث[٥] الأترجِّ، وذكر فيه أنَّ اسمَ الجمَّال كان نصرًا، وأنَّ قصَّته: أنَّه كانَ من أهل نهاوند، وله جمال يُكرِيها، فاكترى عاملُ المعونةِ منها عشرينَ جملًا، وحمل عليها عشرين رجلًا من الأكراد أسرى، ليحمِلَهم إلى الحضرة، فسار الجمَّال معهم، فهرب في بعض الطريق واحدٌ منهم، فوقع لصاحب المعونة أنَّ

---

(١) قوله: (في الدّار عند الخدم... الشرطة) في (ظ) (عند الخدم وصاحب الشرطة بنفسه).

(٢) (وبالنفي من العباس) ليست في (ل).

(٣) (من نسيانه) في (ظ) و(من هذا الاتِّفاق في تشابه).

(٤) ينظر: «المنتظم» (١٢/ ١٠٥)، و«مرآة الزمان» (١٦/ ١٦٢).

(٥) قوله: (في بعض الكتب... حديث) في (ظ): (في خبر آخر قريب من هذا، ولا يذكر فيه).

نصرًا الجمَّالَ هرَّبه، فقيَّدَه وحمَلَه مكانَه، فلمَّا دخلوا الحضرةَ، أُنفِذَ الجمالُ مع القومِ إلى الحبس، وأخذ صاحبُ المعونة جماله[1]. ثم تتقارب الروايتان[2].

(١) قوله: (وأنَّ قصته أنه كانَ... المعونة جماله) في (ظ): (وأنه كان من نهاوند، وأن صاحب المعونة اكترى منه عشرين جملًا يحمل عليها عشرين رجلًا استُدعِيَ بهم، فهرب منهم رجلًا [كذا في (ظ)]، فأخذَ الجمَّال مكانَه). وأعاد بعدها في (ل، ر، ن) قصَّة الحدَّاد.

(٢) (ثم تتقارب الروايتان) ليست في (ظ). ومن قوله: **(ووقع إليَّ هذا الخبرُ من طريقٍ آخرَ) إلى هنا ليس في (ض).**

[٦: ٩] [أبو بكرٍ الماذَرائيُّ وأحدُ شيوخِ الكتَّابِ]

وحدَّثني أبو محمَّدٍ الصِّلْحِي[١]، قال: حدَّثني أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عليٍّ الماذَرائي[٢] بمصر، وكانَ شيخًا جليلًا، عظيم الحال والنعمة والجاه، قديمَ الرياسةِ والولايات الكبار للأعمال، قد وزر لخُمَارَوَيه بن أحمد بن طولون[٣]، وتقلَّد مصرَ مرَّات، وعاش نيِّفًا وتسعين سنة، ومات في سنة نيِّفٍ وأربعين وثلاث مئة[٤]، قال:

لما كتبتُ لخُمَارَوَيه، كنت حَدَثًا، فركبتني الأشغالُ، وقطعني[٥] ترادفُ الأعمال عن تصفُّحِ أحوال المتعطِّلين، وكانَ ببابي شيخٌ من شيوخ الكتَّاب قد

---

(١) هو الحسن بن محمَّد الصلحي، أبو محمَّد الكاتب، كان من الأعيان ببغداد، وتصرَّف في عدَّة أعمال للسلطان، وتولَّى الكتابة لابن رائق الأمير، وخلفه على الحضرة مدَّة ولايته، ثمَّ كتب لسيف الدولة، (ت: ٣٧٦هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٨/ ٤٢٥)، و«الوافي بالوفيات» (١٢/ ١٣٩).

(٢) في (ض، ل): (المارداني)، وفي (ر، ن): (الماذراني). وهذه النسبة إلى (ماذرايا) بالذال المعجمة كما في «معجم البلدان» (٥/ ٣٤)، وقال: هي قرية فوق واسط من أعمال فم الصِّلح مقابل نهر سابس، وإليها ينسب الماذرائيون كتَّاب الدولة الطولونيَّة. وفي «الأنساب» للسمعاني (١٢/ ١٣): (مادرايا) بالدال المهملة، قال: وظنِّي أنَّها من أعمال البصرة، وقد سبقت ترجمة أبي بكر الماذرائي (١/ ٢٦٩).

(٣) هو خُمَارَوَيه بن أحمد بن طولون، أبو الجيش، ولي بعد وفاة أبيه وله عشرون عامًا، قتله غلمانه على فراشه في دمشق وحمل تابوته إلى مصر سنة (٢٨٢هـ). ينظر: «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٤٩).

(٤) توفي بمصر سنة (٣٤٥هـ). ينظر: «تاريخ ابن يونس» (٢/ ٢١٨)، و«تاريخ بغداد» (٤/ ١٣٦).

(٥) (فركبتني الأشغال وقطعني) في (ل): (في كتبتي، فقطعني).

طالت عُطلَته، وقد غَفِلتُ عن تصريفه، فرأيت ليلةً في منامي أبي[1]، وكأنَّه يقول لي: ويحكَ يا بُني، أما تستحي من الله عَزَّوَجَلَّ أن تتشاغل بأعمالك، والناسُ ببابك يَتلَفُون ضُرًّا وهُزْلًا[2]؟ هذا فلانٌ من شيوخ الكتَّاب[3]، قد أفضى أمرُه إلى أن تقطَّع سراويلُه، وما يمكنُه أن يشتريَ بدلَه، أحبُّ أن لا تُغفِلَ أمرَه أكثر من هذا.

قال: فانتبهتُ مُتَعَجِّبًا، واعتقدتُ الإحسانَ إلى الشَّيخ من غَدٍ، ونمتُ.

وأصبحتُ وقد أنسيتُ أمرَه، فرَكبتُ إلى دار خُمَارَوَيه، وأنا أسير إذ تراءى لي الرجل على دويبةٍ له ضعيفةٍ، ثمَّ أومأ إلى الترجُّلِ فانكشف فَخِذُه، فإذا هو لابسٌ خفًّا بِلا سَراويل، فحين وقعت عيني على ذلك ذكرتُ المنام، وقامَت قيامتي، فوقفت في موضعي، واستدعيته.

وقلت له: يا هذا، ما حلَّ لك؟ ما صنعت بنفسك من تَركِ إذكاري بأمرك؟ ما كانَ في الدُّنيا مَن يوصل لك رقعَةً، أو يُخاطب في أمرك؟ الآنَ قد قلَّدتُك النّاحيةَ الفُلانيَّة، ورزقتُكَ رِزقَهَا، وهو في كلِّ شهرٍ مئتا دينارٍ، وأطلقتُ لكَ من خزانتي ألفَ دينارٍ معونَةً، وأمرتُ لك من الثياب والحُملان بكذا وكذا، فامضِ واقبض ذلك واخرُجْ، فإنْ حَسُنَ أثرُك في عَمَلك زدتُكَ، وفعلت بك وصنعت.

قال: وضممت إليه مَن يتنجَّزُ له ذلك[4].

---

(١) وهو علي بن أحمد بن رستم الماذرائي الكاتب، سكن مصر، وكان على ديوان الخراج لخُمَارَوَيه بن أحمد بن طولون، روى عن الأمير تكين مولى المعتضد حديثًا. ينظر: «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (١٨/ ٤٠)

(٢) **هَزَلْتُ الدَّابَّةَ أَهزِلُها هُزْلًا**؛ أي: أَضْعَفْتُها بإساءة القيامِ عليها. ينظر: «المصباح المنير» (ه ز ل).

(٣) (وهزلًا؟ هذا فلان، من شُيوخ الكتاب) في (ل): (الشيخ فلان مقيم ببابك).

(٤) ينظر: «تاريخ بغداد» (٤/ ١٣٦)، و«المنتظم» (١٤/ ١٠٧)، و«تاريخ دمشق» (٥٤/ ٢٣٦).

[٦: ١٠] [رجلٌ مِن دِمَشْقَ يرى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويأمرُه بمساعدَةِ الحسنِ بنِ يُوسُفَ الأزرقِ]

حدَّثني أبو الحسن أحمدُ بنُ يوسفَ الأزرقِ بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ البهلولِ[١] **الأنباريِّ التنوخيّ، قال:** خرج أخي أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ يوسفَ يقصدُ أخاه أبا يعقوبَ إسحاقَ بنَ يوسفَ[٢]، وهو حينئذٍ بمصرَ، ومعه زوجةٌ كانت لأبي يعقوبَ ببغداد، وبُنَيَّةٌ منها.

[ض/ ٨٧] فلمّا عاد حدَّثني أنَّه سلك في قافلةٍ كبيرةٍ، من هِيتَ[٣] على طريق السَّماوَة، يريدُ دمشقَ، **قال:** فلمَّا حصلنا في أعماق[٤] السَّماوَة، أَخْفَرَتْنا[٥] خُفراؤنا، وجاءَ قومٌ من الأعراب فظاهروهم علينا، وأظهروا أنَّهم من غيرهم، وقطعوا علينا[٦]، واستاقوا رِكابنا[٧]، فبقيتُ أنا والناسُ مطَّرِحين على الماء الذي كنَّا نزلنا عليه بلا جملٍ، ولا دليلٍ، ولا زادٍ، فأيسنا من الحياة.

---

(١) في (ض) زيادة (بن).

(٢) هو إسحاق بن يوسفَ الأزرقِ بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول بن حسان التنوخي أبو يعقوب، من البيت المشهور بالفضل، والعلم، والرواية، روى عن أبي سعيد العدوي، روى عنه أخوه أبو غانم محمَّد. ينظر: «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» للغزي (ص: ١٦٩).

(٣) بلدةٌ على الفرات من نواحي بغداد، فوق الأنبار، ذات نخلٍ كثيرٍ وخيراتٍ واسعة. ينظر: «معجم البلدان» (٥/ ٢٤١).

(٤) (أعماق) ليست في (ل).

(٥) **أَخْفَرَه**: نقضَ عهدَه وغَدَر. ينظر: «مختار الصحاح» (خ ف ر).

(٦) (وأظهروا أنهم من غيرهم، وقطعوا علينا) ليست في (ض).

(٧) (ركابنا) في (ل): (إبلنا وبهائمنا).

فقلت للنّاس: إن الموت لا بدَّ منه على كلِّ حال، أَقَمنا في أماكننا أو سِرنا، فلَأَنْ نسيرَ في طلب الخلاص لعلَّ الله عَزَّوَجَلَّ يرحمُنا ويخلِّصُنا، أَوْلى من أن نموتَ هَاهُنا، وإن متنا في سيرنا كنَّا أعذرَ في ذلك[١]، فساعِدوني.

فسارَعْنا وسِرْنا يومنا وليلتنا، وأنا أحمل الصبيَّةَ بنتَ أخي؛ لأنَّ أمَّها عجزت عن حَملِها، فلمَّا[٢] طالَ الطَّريق، ولم نَرَ مَحَجَّةً[٣] ولا إنسانًا، أحسسنا بالهلاكِ، ومات منَّا قومٌ.

قال: وأنا في خلال هذا قد بدأتُ بختمةٍ، وأنا متشاغلٌ بها، وبالدعاء، إلى أن وقعنا في اليوم الثاني على حِلَّة أعرابٍ[٤]، فأنكرونا، فلم أعمل أنا عملًا، حتَّى وَلَجتُ بيت[٥] امرأةٍ منهم، وأمسكتُ ذيلَها، وكنتُ سَمِعتُ أنَّ هذا إذا عَمِلَه إنسانٌ فهو آمِنٌ من شرِّهم، وقد وجبَ حَقُّه عليهم.

قال: فتفرَّقنا في بيوتهم، واختلفت أحوالُ الناسِ، فأمَّا أنا، فإنَّ صاحبَ البيت الذي نزلت عليه لمَّا رأى هيبتي[٦] ودرسي للقرآن، ولم أزل أُحادِثُه وأرفُقُ به، قال لي: ما تشاء؟ قلتُ: تُركِبُني أنا وهذه المرأةَ وهذه الطفلةَ راحلةً لك، وتسيرُ معي إلى دمشقَ حتَّى أعطيكَ ثمنَ راحلتك وأهبها لك، وأقضي حقَّك بعد هذا.

---

(١) (في ذلك) ليست في (ل).

(٢) في (ض، ل) (وكلَّما)، والمثبت من (ر، ن).

(٣) **المَحَجَّة**: جادَّة الطريق. ينظر: «مختار الصحاح» (ح ج ج).

(٤) **الحِلَّة**: القومُ النازلون، وتُطلَق الحِلَّةُ على البيوت مجازًا؛ تسمية للمحلِّ باسم الحالِّ، وهي مئةُ بيتٍ فما فوقها. ينظر: «المصباح المنير» (ح ل ل).

(٥) (بيت) في (ل): (إلى خباء امرأة).

(٦) في (ل): (هيئتي).

قال: فتذمَّمَ[١] واستحيا، وقدَّرتُ أني إذا دخلتُ دمشقَ وجدتُ بها مِن أصدقاء أخي مَن آخذ منه ما أريدُه.

قال: فكساني الأعرابيُّ، وكسا المرأةَ والصبيَّة، ووطَّأَ لي راحلةً ولهما راحلة، وحمل معنا من الماء والزاد كفايتَنا، وركبَ معنا راحلةً، وكانَ أكثرُ من وصل معنا إلى ذلك الموضِعِ قد تأتَّى له مثلُ ما تأتَّى لي.

قال: فسرنا ونحن[٢] رفقَةٌ صالحةُ العدد، فلمّا كانَ بعد أيام، شارفنا دمشقَ مع طلوع الشَّمس، وإذا بأهلها قد خرجوا يستقبلون الناس، وكلُّ مَن له صديقٌ أو معرفةٌ يسألُ عنهُ، وقد بلغهم خبرُ القطع، **فما شعرتُ إلَّا بإنسانٍ يسأل عنِّي، بكُنيَتِي ويسمِّيني**[٣]، **فقلتُ**: ها أنا ذا.

فعدل إليَّ، **وقال**[٤]: أنت أبو محمَّد بنُ الأزرق الأنباريُّ؟ **قلت**: نعم.

فقال: إليَّ، وأَخَذَ[٥] بخطام راحِلَتي، وتبعني الأعرابيُّ براحلته، حتَّى دخلنا مع الرجل دمشق، فجاء بنا إلى دارٍ حسنةٍ سَريَّةٍ تدلُّ على نعمةٍ[٦]، فأَنْزَلَنا، ولم أشكَّ أنَّه صديقٌ لأخي.

---

(١) **تذمَّمَ**: استَنْكَفَ. ينظر: «مختار الصحاح» (ذ م م).
(٢) (ونحن) في (ل): (وصرنا).
(٣) في (ظ): (ونسبي).
(٤) في (ظ): (فعَدا).
(٥) (فقال: إليَّ، وأخذ) في (ظ، ل): (فأخذ).
(٦) (سريَّةٍ تدلُّ على نعمةٍ) ليست في (ض، ل).

فنزلتُ، وأنزلتُ الأعرابيَّ معي، وأُخِذَت جمالُنا، وأُدخِلْنا الحمَّامَ، وأُلبِستُ خلعةً نظيفةً، وفُعِلَ بالمرأةِ والصبيَّة مثلُ ذلك، وأقمتُ عنده يومين في خَفض عيشٍ، لا أسألُه عن شيءٍ، ولا يسألني.

فلمَّا كانَ اليوم الثالث، **قال لي**: ما صورة هذا الأعرابيِّ معك؟ فأخبرتُه بما أخذناه منه. **فقال**: خذ ما تريدُ من الدنانير.

قلت: كذا وكذا دينارًا. فأعطانيها، فَدَفَعتُها إلى الأعرابيِّ، وسلَّمت إليه جمالَه، وسألت الرجلَ أن يزوِّدَه زادًا لا يكون مثلُه في البادية، فأصلحَ[١] له شيئًا كثيرًا[٢]، وخرج الأعرابي شاكرًا[٣].

فقال لي الرجل: أين تريدُ الآن من البلاد؟ وكم يكفيك للنفقة؟

قال: فلمَّا قال لي هذا ارتبتُ به[٤]، **وقلتُ**: لو كانَ هذا من أصدقاء أخي الذين كاتَبَهُم بتَفَقُّدِي، لكانَ قد عَلِمَ[٥] مقصدي.

فقلت: بكم كاتَبَكَ أخي أن تُعطِيَني؟

قال: ومن أخوك؟

قلت: أبو يعقوبَ بنُ الأزرقِ الأنباريُّ، المقيم[٦] بمصر.

---

(١) في (ر): (فأخرج).

(٢) قوله: (لا يكون... كثيرًا) في (ظ): (كثيرًا ففعل).

(٣) في (ض): (سائرًا).

(٤) في (ل): (منه).

(٥) (قد علم) في (ظ): (يعرف).

(٦) (المقيم) في (ظ): (الكاتب)، وفي (ل): (الكاتب المقيم).

فقال: والله، ما سمعت باسمِ هذا الرَّجُل[١] قطُّ، ولا أعرفهُ.

فورد عليَّ أعجبَ مَوردٍ، **فقلت**[٢]: يا هذا، إنِّي ظننتُكَ صديقًا له، وأنَّ ما عامَلْتَني به من الجميل من أجلِه، فانبسطتُ إليك بالطَّلبِ، ولو لم أعتقد هذا لانقبضتُ، فما السَّبَبُ فيما عاملتني به؟ [ظ/١١٧]

قال: أمرٌ هو أوكدُ من أمرِ أخيك، يجب معه أن يكون انبساطُك أتمَّ.

فقلت: ما هو؟

قال: إنَّ خبر الوَقْعَةِ بالقافلة التي كنتَ فيها بَلَغَنا في يومِ كذا وكذا، فما بقي بدمشقَ كبيرُ أحدٍ إلَّا وردت عليه مصيبةٌ عظيمةٌ[٣]، إمّا بذهاب مالٍ، أو بغَمٍّ على صديق غَيرِي، فإنَّه لم يكن لي بشيءٍ من ذلك تعلُّقٌ، واتَّعدَ الناسُ بالخروج إلى تلقي المنقطِعِ، وإصلاح أحوالهم، ولم أعزم أنا.

فلمَّا كانَ في اللَّيل، رأيتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم وهو يقول لي: أدرك أبا محمَّدٍ بنَ[٤] الأزرق الأنباريَّ، وأَغِثْه، وأصلح شأنَه بما يبلِّغُه مقصدَه، فلمَّا أصبحتُ خرجتُ مع الناس أسألُ عنك، وكانَ ما رأيتَ، فهاتِ الآن اذكُرْ ما تريدُه.

قال: فَبَكَيتُ بكاءً شديدًا، لم أقدر معه على خطابه[٥]، ثمَّ نظرتُ ما يبلِّغُني مصرَ، فطلبتُه منهُ، وأخذتُه، وأصلحتُ أمري، وسألتُ الرجلَ عمَّا يُعرَفُ به، فقال: أنا فلان بن فلانٍ المعروف بالصَّابوني. وذكرَهُ أبو محمَّدٍ، ونسيه أبو الحسن.

---

(١) (باسم هذا الرجل) في (ل): (بهذا الاسم قط).

(٢) (أعجب مورد فقلت) في (ظ): (أمر عظيم وقلت له).

(٣) قوله: (بِدِمَشق... عَظيمَة) في (ظ): (أحد بدمشق إلا وردت عليه مصيبة).

(٤) (بن) ليست في (ظ، ل، ف).

(٥) (ولم أقدر معه على خطابه) في (ظ): (لم أقدر على خطابي معه مدة).

قال: فلمَّا بلغتُ إلى مصرَ، حدَّثتُ أخي بالحديثِ، فعَجِبَ منه، وبكى.

قال أبو الحسن: وضرب الدَّهرُ مِنْ ضَرَبانِه[1]، وورد أخي أبو يعقوب إلى بغداد بعد سنين كثيرة، فتذاكرنا هذا الحديثَ، **فقال لي**: لما عرَّفَنِي أخي أبو محمَّدٍ ما عامله به ابنُ الصابونيِّ الدِّمَشقيُّ هذا، جعلته صديقًا، فكنت أكاتبُه، فلمَّا ورَدتُ إلى دمشقَ وجدتُ حالَ الرجلِ قد اختلَّت، بمِحَنٍ لحقته، فوهبتُ له ضَيعتي بدمشق، وكانت جليلةَ الغلَّة والقيمة، فسلَّمتُها إليه مكافأةً لما عامل به أخي.

(١) في (ظ، ض): (ضَرْبه). ومعناه: مرَّ من مروره وذهبَ بعضُه. ينظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٨٠)، و«لسان العرب» (ض ر ب: ١/ ٥٥٠).

[٦: ١١] [سليمانُ بنُ وَهْبٍ في الحبسِ يرى في المنامِ أنَّ الواثقَ قد ماتَ]

قال محمَّد بن عُبدوسٍ في كتاب «الـوزراء»، حدَّثني الحسينُ بن عليٍّ الباقَطائيُّ، **قال**: حدَّثني أبي، **قال: قال لي أحمد بن المدبِّر**(١):

لما أمر محمَّدُ بن عبد الملك(٢) بحَبسي، أُدخِلتُ مَحْبَسًا فيه أحمدُ بنُ إسرائيل، وسليمان بنُ وهبٍ، وهما يطالَبان بمالٍ(٣)، فجُعلتُ في بيتٍ ثالثٍ، فكنَّا نتحدَّث ونأكل جميعًا، وربَّما أُدخِل إلينا نبيذٌ فنشرب.

[ض/٨٨] وكانَ أحمدُ بنُ إسرائيل شديد الجُبن(٤)، فكان يُنكر علينا، ويمنعنا أن نتحدَّث بشيءٍ، أو أن نُرجِفَ لأنفسنا(٥).

فجاءني يومًا سُلَيمان بنُ وهبٍ، فقال لي: رأيتُ البارحةَ في نومي، كأنَّ قائلًا يقول لي: يموتُ الواثق إلى ثلاثينَ ليلة(٦)، فَقُم بنا إلى أبي جعفرٍ حتَّى نحدِّثَه.

---

(١) هو أحمد بن محمَّد بن عبيد الله بن المدبِّر الدَّستُمِيسانيّ، سبقت ترجمته (١/ ٢٨٧).

(٢) الزيَّات، سبقت ترجمته (١/ ٢٥٥).

(٣) (بمالٍ) ليست في (ض).

(٤) في (ل): (الفزع).

(٥) **أَرْجَفوا في الشَّيء**؛ أي: خاضُوا فيه، وأَرْجَفَ القومُ إذا خاضُوا في الأخبار السَّيِّئة. ينظر: «لسان العرب» (رج ف: ٩/ ١١٣).

(٦) في (ظ، ل): (يومًا).

فقلت: والله، لئن سمع أبو جعفرٍ هذا ليَشُقَّنَّ ثوبَه، وليَسُدَّنَّ أُذُنه خوفًا.

فقال لي: قُم على كلِّ حالٍ، فقمنا ودخلنا إليه، وأخبره سليمانُ بالخبر.

فقال له: يا هذا، أنت أجسَرُ الناس، وأشدُّهم تجنِّيًا على نفسك وعلينا، وإنَّما تدور على أن تشيع[(١)] هذا فنُقتَل.

فقال له: فتكتب هذه الرُّؤيا عندك، لتمتحنَ صدقَها من كذبها.

فنَفَرَ، وقال: أنا لا أكتب مثل هذا، فكتبت أنا في رقعَة صَغيرَة اليوم[(٢)].

فلمَّا كان يوم الثَّلاثين، دخل عليَّ أحمدُ بن إسرائيل، **فقال لي:** يا أبا الحسن، هذا اليوم الثَّلاثين، فأخرجتُ الرقعةَ، فإذا هو قد حفظ اليومَ، ومضى يومُنا إلى آخره، فلمّا كانَ اللَّيلُ، لم نشعر إلَّا بالباب وهو يدقُّ دقًّا شديدًا، وصاح بنا صائِحٌ: البُشرى، قد ماتَ الواثِقُ، فاخْرُجوا[(٣)].

فقال أحمدُ بن إسرائيل: قوموا بنا، قد حقَّق الله عَزَّوَجَلَّ الرُّؤيا، وأتى بالفرج[(٤)].

فقال سُلَيمان بن وهب: كيفَ نمشي مع بعد منازلنا؟ ولكن نوجِّه مَن يجيئنا بما نركب.

---

(١) (وإنما تدور على أن تشيع) في (ظ): (إنما تريد أن يسمع).

(٢) في (ظ): (فكتبته أنا في رقعة صغيرة).

(٣) (وَصاح بِنا صائح: البُشرَى، قد ماتَ الواثق، فاخرُجوا) ليست في (ظ).

(٤) (وأتى بالفرج) في (ظ): (وأتانا بالفرج وصدقت الرؤيا).

فاغتاظَ[١] **أحمد بن إسرائيل، وقال**: نعم، نقعُدُ حتَّى يجلس خليفةٌ آخرُ، ويقال له: في الحَبس جماعةٌ من الكتَّاب وعليهم أموالٌ، فيأمرَ بالتوقيع بالتوثُّقِ منَّا، إلى أن يَنظُر في أمرنا، قُمْ عافاك الله حتَّى نخرج. فخَرَجَ وخرجنا على أَثَره[٢].

فقبل أن نخرجَ من باب الهاروني، سمعنا رجلين يقول أحدُهما لصاحبه: سأل أميرُ المؤمنين جعفرٌ المتوكّل[٣] عَمَّن في الحَبس، فقيل له: فيه جماعةٌ من الكتَّاب. فقال: يكونونَ فيه إلى أن ننظُر في أمورهم.

فأسرعنا في المشي وقصدنا غيرَ منازلنا، واستترنا، وبحثنا عن الأخبار، فَبَلَغَنا إقرارُ الخليفة محمَّدَ بنَ عبد الملك، فكتبتُ إليه رقعةً عن جماعتنا، نعرِّفُه خَبَرَنا واتِّساعَ آمالِنا فيه، ونستأذنه فيما نعمل.

فلمَّا وصلت إليه الرقعةُ وَقَّعَ على ظهرها: ولِمَ استخفيتم؟ وليسَ منكم إلاَّ مَن عنايتي تخصُّه، ورأيي فيه جميل، أمَّا أبو أيّوب[٤] فقد تكلَّم في أمره[٥] [ظ/١١٨] أبو مَنصورٍ إيتاخُ، واستوهبه، فوُهِبَ له، وأمرتُ بإحضاره ليخلعَ عليه، فليحضُرْ، وأما أبو جعفرٍ[٦] فإنَّهُ طولِبَ بما لا يلزمُه، وقد وضحتْ حجَّتُه في بطلانه،

---

(١) في (ظ): (فغضب).

(٢) (على أثره) في (ظ): (معه)، وفي (ل): (في أثره).

(٣) (المتوكل) ليست في (ض، ل).

(٤) وهو سليمان بن وهب.

(٥) في (ظ): (حقه).

(٦) وهو أحمد بن إسرائيل.

فليصِرْ إليَّ، وأما أبو الحسن[١] فإنَّه قُذِفَ بباطلٍ، فاظهروا جميعًا واثقين[٢] بما عندي من حياطتكم ورعايةِ حُرُماتِكم[٣].

فصرنا إليه جميعًا، وزالَ عنَّا ما كنَّا فيه، وخلَعَ على سليمانَ بنَ وهبٍ خاصَّةً[٤].

قال: وفي هذه الحبسةِ كتبَ سُلَيمانُ بنُ وهبٍ إلى أخيه الحسنِ بنِ وهبٍ -فيما حكاهُ محمَّدُ بنُ داود[٥]- يقول:[٦] [من الخفيف]

هَـلْ رَسُـولٌ وَكَـيفَ لي بِـرَسُـولٍ ... إِنَّ لَيلي إِنْ نِمتُ لَيلٌ طَوِيلُ

كذا الروايةُ -وهي أقوى- والصواب[٧]:

هَـلْ رَسُـولٌ وَكَـيفِ لي بِرَسولٍ ... إنَّ لَيلي إن نِمتُ غيرُ طَـوِيـلِ[٨]

هَـلْ رَسـولٌ إلـى أَخِـي وَشَقِيقِي ... لَـيْـتَ أَنِّـي مَـكَـانَ ذاكَ الـرَّسُـولِ

يا أَخِـي لو تَـرَى مَكانيَ في الحَبْـ ... ـسِ وَحَالي في زَفْـرَتِـي وَعَوِيلي

(١) وهو أحمد بن محمَّد بن عبيد الله بن المدبِّر.

(٢) في (ل): (وأيقنوا).

(٣) (ورعاية حرماتكم) في (ظ): (ورعايتكم).

(٤) ينظر: «مرآة الزمان» (١٤/ ٤٥٥).

(٥) ابن الجراح، وقد سبقت ترجمته (٢/ ٧٢).

(٦) (داود يقول)، في (ل): (عبدوس بهذه الأبيات).

(٧) قوله: (هل رسول وكيف لي... والصواب) ليست في (ظ، ل).

(٨) في (ظ): (إنَّ لَيلي لَيلُ السَّقِيمِ العَلِيلِ).

وَعِــشَــارِي[1] إذا أَرَدْتُ قِيَامًا وَقُعُـودِي في مُثْقَلاتِ الكُبُول[2]

لَـرَأَيْـتَ الَّــذِي يُغِمُّكَ في الأَعْــ ـدَاءِ أن يَسْلُكُوا جَمِيعًا سَبِيلِي

هَــذِه جُـمْـلَـةٌ أُرَانِــي غَـنِـيًّـا مَـعَـهَـا عَــنْ أَذَاكَ بِالتَّفْصِيلِ

وَلَـعَـلَّ الإِلَــهَ يَـأْتِـي بِصُـنْـعٍ وَخَــلاصٍ وَفُـرْجَـةٍ عَــنْ قَلِيلِ

وذكر أبياتًا أُخَر تمامًا لهذه الأبيات، لم أَذْكُرْها؛ لأنَّها ليست من هذا المعنى.

ثمَّ قال: وقد ذكر مُحَمَّدُ بن داود في كتابه المسمَّى كتاب «الوزراء» من خروجِ سليمانَ بنِ وهبٍ من حبس الواثق غيرَ هذا. **قال في كتابه:** حدَّثني أبو القاسم عبيدُ الله بن سليمان... واقتصَّ محمَّدُ بن عُبدوسٍ قصَّةً طويلة، ليسَ فيها ذكرُ منامٍ، فذكرتُها أنا في كتابي هذا في بابِ مَن خَرَجَ من حبسٍ أو أسرٍ أو اعتقالٍ، إلى سراحٍ وسلامةٍ وصلاحِ حالٍ، ورَوَيْتُها عن عليِّ بنِ عيسى، عن عبيدِ الله بن سليمان، بألفاظٍ قويَّةٍ، أقوى من الألفاظ التي أوردها ابنُ عُبدوسٍ، ولم أذكرها ههنا؛ لأنَّ هذا الخبرَ مُختَصٌّ بالمناماتِ، فَجَعَلتُه في بابه، وأوردتُ تلكَ القِصَّةَ في الباب المفرد لأمثالها[3].

---

(١) في (ظ): (وعنائي).

(٢) **الكُبُول**: جمعُ كَبل، وهو القيد الضخم. ينظر: «لسان العرب» (ك ب ل: ١١/ ٥٨٠).

(٣) قوله: (ثمَّ قال: وقد ذكر... لأمثالها) زيادة انفردت بها (ك). ينظر: الباب الخامس (٢/ ٦٨).

[٦: ١٢] [الحسينُ بنُ محمَّدٍ السِّمَّريُّ يَخرُج من السجنِ بدعاءٍ دُلَّ عليه بالمنام]

حدَّثني عليُّ بنُ محمَّدٍ الأنصاريُّ الخَطْمِي(١)، **قال:** حدَّثني أبو عبد الله الحُسَين(٢) بنُ محمَّدٍ السِّمَّريُّ(٣) كاتبُ الدِّيوان بالبصرَة، **قال:**

كان أبو محمَّدٍ المُهَلَّبِيُّ في وزارته قد قبض عليَّ بالبصرةِ، وطالبني بمالٍ وحبسني، حتَّى يئستُ من الفَرَج، فرأيتُ ليلةً في المنام كأنَّ قائلًا يقول لي: اطلب من ابن الراهبون(٤) دفترًا خَلَقًا(٥) عنده، على ظَهرِه دعاءٌ، فادعُ به، فإنَّ الله جلَّ وعزَّ يفرِّجُ عنك.

قال: وكان ابنُ الراهبون هذا صديقًا لي من تُنَّاءِ أهلِ واسِط(٦)، وهو بالبصرةِ.

---

(١) سيذكره المؤلِّف في هذا الباب: (عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيم، وكانَ ابراهيمُ أخا موسَى بنِ إسحاقَ القاضي الأنصاريِّ).

(٢) كذا في (ض، ل)، وفي بعض النسخ: (الحسن).

(٣) قوله: (حدَّثني... السِّمَّريُّ) في (ظ، ف): (قال أبو محمَّد الشموني)، وفي (ص): (السموني)، وفي (س، ح): (السمهري). ولم نجد ترجمته.

(٤) في (ظ، ض) في الموضعين: (الراهبوني). وهو سهل بن هارون بن راهبون (أو راهيون، أو راهبوني، أو راهيوني) اختُلِفَ في ذلك، أبو عمرو الدَّسْتُميساني، فارسي الأصل، دخل البصرة واتصل بالمأمون فولَّاه خزانةَ الحكمة، وكان أديبًا كاتبًا شاعرًا، يتعصَّب للعجم على العرب تعصبًا شديدًا، (ت: ٢١٥هـ). ينظر: «معجم الأدباء» (٣/ ٤٠٩)، و«الأعلام» (٣/ ١٤٣).

(٥) أي: باليًا. ينظر: «مختار الصحاح» (خ ل ق).

(٦) (تناء أهل واسِط) في (ظ): (أبناء واسط)، وفي (ل): (أبناء أهل واسط). =

فلمّا كانَ من غَدٍ، **قلت**[(١)] **له**: عندك دفترٌ على ظَهره دُعاء؟

فقال: نعم.

فقلت: جِئْني به. فجاءني به، **فرأيت على ظَهره مكتوبًا**[(٢)]:

اللهمَّ أنت أنت، انقَطع الرَّجاءُ إلَّا منك، وخابت الآمـالُ إلَّا فيك، فصلِّ اللهمَّ[(٣)] **على محمَّدٍ وعلى آل محمَّد، ولا تقطع اللهمَّ منكَ رجائي، ولا رجاءَ من يرجوك في شرق الأرضِ ولا في غربها، يا قريبًا غيرَ بعيد، ويا شاهدًا لا يغيب، ويا غالبًا غيرَ مغلوب، اجعَلْ لي من أمري فَرَجًا ومخرجًا، وارزقني رزقًا واسِعًا من حيثُ لا أحتسب، إنَّك على كل شيءٍ قدير.**

قال: فواصلتُ الدُّعاء بذلك، فما مَضَت إلَّا أيّامٌ يسيرَةٌ حتَّى وجَّهَ إليَّ المهلبيُّ فأخرجني[(٤)] من الحبس، وقلَّدني الإشرافَ على أبي الحسين أحمدَ بن محمَّدٍ الطَّويلِ[(٥)] في أَعْماله[(٦)] بأسافل الأهواز[(٧)].

= يقال: **هو من تُنَّاء تلك البلدة**: إذا كان أصلُه منها. ينظر: «أساس البلاغة» (١/ ٩٨).

(١) في (ظ): (جاءني فقلت).

(٢) (على ظهره مكتوبًا) في (ظ): (مكتوبًا على ظهره).

(٣) (فصل اللهم) في (ظ، ل): (صل).

(٤) (وجه إليَّ المهلبي فأخرجني) في (ظ): (أخرجني المهلبي).

(٥) هو أحمد بن محمَّد المعروف بالطويل، أبو الحسين، كان يتقلَّد حصن مهدي. ينظر: «تجارب الأمم» (٦/ ٢٨٣).

(٦) (أبي الحسين أَحمد بن محمَّد الطَّويل، في أَعماله بأسافل الأهواز) في (ظ): (أحمد الطويل بأسافل الأهواز)، وفي (ل): (أبي الحسين الطويل وأعماله).

(٧) ينظر: «التذكرة الحمدونية» (٨/ ٥٩).

قال لي أبو الحسن الأنصاريُّ: قال لي أبو عليٍّ زكريَّا بنُ يحيى الكاتبُ النصرانيُّ[1]، حدَّثني بهذا الحديث أبو عبد الله السِّمَّري[2]، فكتبتُ هذا الدُّعاء، وحفظتُه، وتقلَّبَتْ بي الأحوال، فكتبت لأبي جعفرٍ مُمْلِهْ صاحبِ مائدة معزِّ الدولة[3]، فاعتقلني بعد مُدَّة، ونكبني، فواصلتُ الدُّعاء بهذه الدَّعوة، فأطلقني بعد أيّام يسيرة[4].

---

(١) هو زكريَّا بنُ يحيى النصراني الكاتب، كان كاتبًا لحمدان بن حمدون زمن المعتضد. ينظر: «مرآة الزمان» (١٦/ ١٧٨).

(٢) (السمري) في (ظ): (الشموني)، وفي (س، ح): (السمهري)، وفي (ص، ف): (السموني).

(٣) أبو جعفر صاحب مطبخ معزِّ الدولة المعروف بمُمْلِهْ، كان ضامنًا لتكريت، وما يجرى معها وأبواب المال. ينظر: «تجارب الأمم» (٦/ ٣٢٦)، و«مرآة الزمان» (١٧/ ٤٣٣).
ومعزِّ **الدولة** سبقت ترجمته (١/ ١٤٥).

(٤) قوله: (قال لي أبو الحسن الأنصاريُّ... يسيرة) ليس في (ل).

[٦: ١٣] [رجلٌ يرى في المنام أنَّ غِناهُ في مِصْرَ فيرحلُ إليها، ثمَّ يرجعُ فيجدُ كنزًا في دارِه]

[ض/ ٨٩] **حدَّثني أبو الرّبيع سُلَيمان بن داوُد البغدادي**(١) -صاحبٌ كان لأبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكانَ قديمًا يخدم القاضيَين أبا عمر محمَّدَ بنَ يوسُفَ، وابنَه أبا الحُسَين في دُورِهما، وكانت جدَّتُه تعرفُ بشمسة(٢)، قَهْرَمانةٌ(٣) كانت في دار القاضي أبي عمرَ محمَّدِ بنِ يوسُفَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ- **قال:**

كانَ في جوار أبي عمر القاضي قديمًا رجلٌ انتشرت عنهُ حكايةٌ، وظهر في يده مالٌ جليلٌ بعد فقرٍ طويل، وكنتُ أسمع أنَّ أبا عمرَ حماه من السُّلطان، فسألتُه عن الحكاية، فدافعني طويلًا، **ثمَّ حدَّثني فقال:** ورثتُ مالًا جزيلًا، فأسرعت فيهِ فأتلفته(٤)، حتَّى أفضيتُ إلى بيع أبوابِ داري وسقوفِها، ولم يبقَ لي في الدُّنيا حيلَةٌ، وبقيت مُدَّةً لا قوتَ لي إلَّا من بيع أُمِّي لما تَغزِلُه، فتُطعِمُني ونفسَها منه(٥)، فتمنَّيتُ الموت، فرأيتُ ليلةً في منامي كأنَّ قائلًا يقول لي: غناكَ بمصرَ، فاخرُجْ إليها.

---

(١) في (ض): (البصراي). ولعله: سليمان بن داود، أبو الربيع الزهراني العتكي البصري، سكن بغداد وحدَّث بها، وثقه يحيى بن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم. ينظر: «تاريخ بغداد» (١٠/ ٥٢).

(٢) في (ك): (بسمسمة).

(٣) **القهرمان**: الخازن والوكيل والحافظ لما تحت يده، والقائم بالأمورِ. ينظر: «لسان العرب» (قهرم: ١٢/ ٤٩٦).

(٤) في (ل): (جليلًا، فأسرفت فيه وأتلفت).

(٥) (فتطعمني ونفسها منه) في (ل): (وتطعمني وتأكل منه).

فبكَّرتُ إلى أبي عمرَ القاضي، وتوسَّلتُ إليه بالجوار، وبخدمةٍ كانت من أبي لأبيهِ، وسألتُه أن يزودني كتابًا إلى مصرَ؛ لأتصرَّفَ بها، فَفَعَلَ.

وخرجتُ، فلمّا وصلتُ مصرَ أوصلت الكتابَ، وسألت التَّصَرُّفَ، فسَدَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليَّ الوجوهَ كلَّها، حتَّى لم أظفر بتَصَرُّفٍ، ولا لاحَ لي شغلٌ.

ونَفِدَتْ نَفَقَتي، فبَقِيتُ متحيِّرًا، وفكَّرت في أن أسألَ الناسَ، وأمدَّ يدي على الطَّريق، فلم تسمحْ نفسي بذلك، فقلت: أخرج ليلًا، وأسألُ الناسَ[1].

فخرجتُ بين العشاءين، فما زلت أمشي في الطَّريق، وتأبى نفسي المسألةَ، ويحملُني الجوعُ عليها، وأنا مُمتَنِعٌ، إلى أن مضى من الليل صدرٌ صالح[2]، فلَقِيَني الطَّائِفُ، فَقَبَض عليَّ، ووجدني غريبًا، فأنكر حالي، فسألني عن خبري. فقلتُ: رجلٌ غريبٌ[3] ضَعيفٌ. فلم يصدقني، وبطحني، وضربني مقارِعَ. [ظ/١١٩]

فصحتُ وقلتُ: أنا أَصدُقُكَ. **فقال:** هات.

فقصصتُ عليه قصَّتي من أوَّلها إلى آخرها، وحديثَ المنام.

فقال لي: ما رأيتُ أحمق منك والله، لقد رأيتُ مُنذُ كذا وكذا سنةً في النَّوم، كأنَّ قائلًا[4] يقول لي: ببغدادَ في الشَّارع الفلانيِّ، في المحلَّة الفُلانيَّة؛ قال: فَذَكَر شارعي، ومحلَّتِي، فسكتُّ وأصغيتُ إليه، فأتمَّ الشرطيُّ الحديثَ، فقال[5]: دارٌ

(١) (الناس) ليست في (ظ).
(٢) (من الليل صدر صالح) في (ظ): (صدر من الليل).
(٣) (غريب) ليست في (ظ، ل).
(٤) في (ظ، ل): (رجلًا).
(٥) (فأتم الشرطي الحَديث، فَقَال) ليست في (ظ).

يقال لها: دارُ فلانٍ -فذكر داري، واسمي- وفيها بُستانٌ فيه سِدرَةٌ -وكانَ في بُستانِ داري سِدرَةٌ- وتحتَها مدفونٌ ثلاثونَ ألفَ دينارٍ، فامضِ، وخُذْها. فما فكَّرتُ في هذا الحديث، ولا التفتُّ إليه، وأنت يا أحمقُ فارقتَ وطنك وجئتَ إلى مصر بسبب منام.

قال: فقَوِيَ بذلك قلبي، وأطلقني الطائِفُ، فبِتُّ في مسجدٍ[1]، وخرجتُ من غدٍ[2] من مصرَ، وقَدِمتُ بغداد، فقلعتُ السِّدرَةَ، وأَثَرتُ مكانها فوجدت قُمْقُمًا[3] فيه ثلاثونَ ألفَ دينارٍ، فأخذتها، وأمسكت يدي، ودبَّرتُ أَمري، فأنا أعيشُ من تلكَ الدَّنانير، ومن فَضلِ ما ابتعتُه منها من ضَيعةٍ وعقارٍ إلى الآن[4].

---

(١) (في مَسجِد) في (ظ): (في بعض المساجد).

(٢) (من غد) في (ظ): (مع السَّحَر).

(٣) **القُمْقُم**: آنية يُسَخَّنُ فيها الماء من نحاسٍ وغيره، ويكونُ ضيِّق الرأس. ينظر: «لسان العرب» (قمم: ١٢/ ٤٩٥).

(٤) في (ظ): (اليوم). ينظر: «مرآة الزمان» (١٦/ ٣٥٦)، و«ثمرات الأوراق» (٢/ ١٩٠).

[٦: ١٤] [قصَّةُ حامدِ بنِ عَمرٍو وخزيمةَ بنِ خازمٍ]

وجدت في كتاب أبي الفرج عبد الواحدِ بن نصرٍ المخزوميِّ الحَنْطَبِيِّ: عن عليِّ بن العبَّاس النوبَخْتِي[١]، **قال**: حدَّثني أحمدُ بن عبد الله التغلبي[٢]، **قال**:

كانَ من بقايا شُيوخِ خُراسانَ ممَّن يلزم دار العامَّة بسُرَّ مَن رأى، في أيَّام المراتِبِ وغيرها شيخٌ يكنى أبا عِصمَةَ، وكانَ يحدِّثنا كثيرًا بأخبار الدولة وأهلها، **فحدَّثنا: أنَّ خُزَيمَةَ بنَ خازمٍ**[٣] كانَ يجلس في داره للناس في كلِّ يوم ثلاثاء، فلا يُحجَبُ عَنهُ أحدٌ، ولا يُستَأذَنُ لمن يَحضُر[٤]، إنَّما يدخلونَ أَرْسالًا بغير إذنٍ، فمن كانَ من أشراف الناس ووجوههم سلَّمَ وانصَرف، ومَن كانَ من طلَّاب الحوائج، أو خطَّابِ التَّصَرُّف، دفع رُقعَتَه إلى الحاجبِ، فيجتمع الناسُ ويدخلون، فَتُعرَضُ وجوهُهم ورقاعُهم[٥] عليه.

---

(١) هو أبو الحسن علي بن العباس النوبختي، أحد مشايخ الكتاب وأهل الأدب والمروءة، كان وكيلًا للمُقتدر، وكان فاضلا أديبًا شاعرًا محسنًا راوية للأخبار والأشعار، (ت: ٣٢٤، أو: ٣٢٧، أو: ٣٢٩هـ). ينظر: «معجم الشعراء» للمرزباني (ص: ٢٩٥)، و«معجم الأدباء» (٤/ ١٧٧٨)، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» لابن الدمياطي (٢١/ ١٤٤).

(٢) في (ض): (المنشئ الثعلبي)، والمثبت من (ش).

(٣) هو القائدُ النَّهْشَلي، ولَّاه الأمينُ الجزيرةَ، وكان شجاعًا جَوَادًا، وكان ببغدادَ دربٌ يُعرف بدرب خُزَيمة، وله روايةٌ في الحديث عن مالك بن أنسٍ وابن أبي ذئب وغيرهما. (ت: ٢٠٣هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٠١)، و«مرآة الزمان» (١٣/ ٣٨٧).

(٤) في (ظ): (يدخل).

(٥) (ورقاعُهم) في (ظ): (رقاعهم).

وكانَ قد أفرد لهم كاتبًا حَصِيفًا[١]، يُقال له: الحسنُ بنُ سَلَمَة[٢]. يتصفَّحُ الرِّقاعَ قبل عرضها عليه، فما كانَ يجوز أن يوقِّع عنه فيه[٣] وَقَّع، وسلَّمهُ إلى أربابه، وما كانَ لا بُدَّ من وقوفه عليه، وتوقيعِه فيه بِخَطِّه، عَرَضَه عليه، ومن كانَ من النّاس زائرًا أو مُستَرفِدًا[٤]، عُرِضَتْ رقعتُه، فيكون هو الموقِّعَ فيها بما يراهُ.

فلا يكاد ينصَرفُ أحدٌ من ذلك الجَمعِ العَظيم المفرِطِ، إلَّا وهو مسرورٌ بقضاء حاجته.

قال أبو عِصمَةَ: وكانَ ممَّن يتَصرَّف في الأعمال رجلٌ من الأعراب، ذو لسانٍ وفصاحةٍ، يُقال له: حامِدُ بنُ عَمرٍو الحَرَّانيُّ. وكانَ فيه إلحاحٌ عظيمٌ[٥]، وملازمةٌ لبابِه[٦] إذا تعطَّل، فيُؤذِي بذلك ويُبرِمُ[٧].

وكانَ يخاطِب خُزَيمَةَ في أيَّام الثلاثاء، ولا يَقنَعُ بذلك، حتَّى يلازمَ بابَه كلَّ يوم، فإذا ركب خاطَبَه على الطَّريق، ورُبَّما يعرِضُ له في دار الخليفَةِ فيخاطبُه، ولم يكن في طبع خُزَيمَةَ احتمالٌ لمثل هذا.

---

(١) **الحَصِيف**: الرَّجلُ المحكَمُ العقلِ، جيِّد الرأي. ينظر: «لسان العرب» (ح ص ف: ٩/ ٤٨).

(٢) في (ظ): (مسلمة).

(٣) في (ظ) زيادة: (بخطه).

(٤) أي: طالبًا للرِّفدِ، وهو العطاءُ والصِّلة. ينظر: «مختار الصحاح» (ر ف د).

(٥) (إلحاح عظيم) في (ظ، ل): (إلجاج شديد).

(٦) في (ض، ل): (تامة).

(٧) أي: يُضجِرُ. ينظر: «المصباح المنير» (ب ر م).

قال أبو عصمَة: فحدَّثني الحسن بن سلمة[1]، كاتبُ خُزَيمة، **قال**: نظر خُزَيمةُ يومًا إلى هذا الرجل في داره، وكانَ قد لقيه في الطريق فخاطبَه قبل ذلك بيومٍ، وأضجره، ووافَقَ من خُزَيمَةَ ضَجَرًا بشيءٍ حَدَث من أمورِ المملكة، مع ما فيه من الجَبْرِيَّةِ[2] والكبرياء؛ فحين خاطبه الرجلُ صاح عليه، وأمر بإخراجه من داره إخراجًا عنيفًا، ثمَّ دعاني، فقال: والله، لَئِن دخل هذا داري، لأضرِبَنَّ عُنُقك[3]، وَلَئِن وقف لي في طريقٍ، أو كلَّمني في دار السُّلطان، لأضرِبَنَّ عُنُقَه، فأخبِرْهُ بذلك، وحذِّرْه، وتقدَّم عنِّي إلى البوَّابين والحجَّابِ بذلك[4]. وكانَ خُزَيمةُ إذا وَعَدَ أو أَوْعَدَ، فليسَ إلَّا الوفاء.

فخرجت من بين يديه[5] إلى الحجَّاب والبوَّابين وأصحابِ المقارع، فبالغتُ في تحذيرهم وتهديدهم، وعرَّفتُهم ما قال، وأنَّه حلفَ أن يضربَ أعناقَهم إن خالفوا، وأكَّدتُ الوصيَّة بجَهدي؛ مُستَظهِرًا لنفسي.

[ظ/١٢٠] ومضيتُ إلى خارج الـدَّارِ، فوجدتُ الرجلَ قائمًا، فأعلمتُه أنَّ دَمَه [ص/٩٠] مُرتَهنٌ بنظرةٍ ينظرها إليه خُزَيمةُ، في دار السُّلطان، أو على بابه، أو في بعض الطرق، وحذَّرتُه تحذيرًا شديدًا، وخوَّفتُه بالله جلَّ وعزَّ في[6] دمه، وأن لا يجعل على نفسِه سبيلًا. **قال**: فشكرني على تحذيره، وانصرف كَئِيبًا.

---

(١) في (ظ): (مسلمة).

(٢) **الجبريَّة**: الكِبرُ. ينظر: «مختار الصحاح» (ج ب ر).

(٣) في (ظ): (عنقه).

(٤) في (ظ): (بمنعه).

(٥) (من بين يديه) ليست في (ظ، ل).

(٦) (بالله جل وعز في) في (ظ): (من سفك).

فلمَّا أصبحنا من غَدٍ، غَدَوتُ إلى دار خُزَيمةَ على رَسْمِي في الملازمة، فلمَّا دَنَوتُ من الباب، إذا بالرجلِ واقِفًا كما كانَ يقف مُنتَظِرًا لركوبه.

فَعَظُم ذلك عليَّ، **وقلت**: يا هذا، أما تخافُ اللهَ جلَّ وعزَّ؟ أَتُحِبُّ أن تَقتُلَ نفسَك؟ أما تعرف الرجلَ؟

فقال: والله، ما أتيتُ هذا عن جهلٍ منِّي ولا اغترارٍ؛ بل أَتَيتُه على أصلٍ قويٍّ، وسببٍ وثيقٍ، وسترى من لُطفِ الله عَزَّوَجَلَّ ما يَسُرُّك، وتَعجَبُ منهُ.

قال الحسن بن سلمة[١]: فزاد عجبي منهُ، ودخلتُ الدارَ، فصادفت خُزَيمةَ في صحن الدار يُريدُ الركوب، فحين نظر إليَّ، **قال**: ما فعل حامدُ بنُ عَمرٍو؟

قلت: رأيتُه الساعةَ بالبابِ، وقد تهدَّدتُه، فلمَّا رأيتُه اليومَ بالبابِ تعجَّبتُ من جَهلِه وعَودِه، مع ما أعذرتُ إليه من الوعيد، وأمرتُه بالانصراف، فأجابني بجوابٍ لا أدري ما هو، وأنا بريءٌ من فعله[٢].

فقال: بأيِّ شيءٍ أجابك؟ فأخبَرتُه، فسكَتَ خُزَيمةُ، وخرج فركب[٣]، فحين رآه حامدٌ ترجَّل له، فصاح به خزيمةُ: لا تفعل، لا تفعل، والحقني إلى دار أمير المؤمنينَ.

قال: وسرنا، ودخل خزيمةُ إلى[٤] دار الرشيد، ودخلنا معه إلى حيثُ جَرَت

(١) (الحسن بن سلمة) في (ظ): (أبو الحسن).

(٢) قوله: (وَقد تهددته، فَلَمّا... من فعله) في (ظ): (وعجبت منه لما أنذرته من وعيدك).

(٣) (فركب) ليست في (ض).

(٤) (قال: وسرنا ودخل خزيمة إلى) في (ظ): (وسار خُزَيمة، فدخل).

عادتُنا أن نبلِّغَه من الدّار، فجلسنا فيه، ومضى خُزَيمةُ يريد حيث[1] الخليفة، وجاء حامد فجلس إلى جانبي.

فقلت: اصدُقني عن خبركَ، والسَّبَبِ في جسارتك على خُزَيمة، ولِينِه لك بعد الغِلظة. وعرَّفتُه ما جرى بيني وبين خُزَيمةَ في أمره ثانيًا.

فقال: طِبْ نفسًا، فما أُبدِي لك شيئًا إلَّا بعد بلوغ آخر الأمر.

فبينا نحن كذلك، إذ دُعِيَ بحامِدِ بنِ عمرٍو فأُدخِلَ إلى حيثُ كانَ مرسومًا بأن يدخل إليه[2] مَن يُخلَعُ عليه، فتحيَّرت، فلم يكن بأسرعَ من أن خرج وعليهِ خِلَعُ الخليفة، وبين يديه لواءٌ قد عُقِدَ له، وقد ولِّيَ طريقَ الفرات بأسره، فقمتُ إليه وهنَّأتُه، **وقلت له:** ولا الساعة تخبرني الخبر؟

فقال: ما فاتَ شيءٌ. وودَّعني ومضى، وأقمتُ مكاني إلى أن خرج خُزَيمةُ، فسرتُ معه إلى داره، فلمَّا استقرَّ فيها دعاني، فسألني عن أمور خدمته[3]، **ثمَّ قال لي:** أظنُّكَ أنكرتَ ما جرى في أمر حامِد بن عَمرو؟

قلت: إِيْ والله أيها الأمير.

قال: فاسمع الخبر، اعلم[4] أنِّي كنت في نهاية الغيظ عليه، فأمرتُ فيه بما عرفتَه أمسِ، فلمّا كان البارحة رأيتُه في النوم كأنَّهُ قائِمٌ يصلِّي، وقد رفع يديه

(١) (حيث) ليست في (ظ، ل).

(٢) (يدخل إليه) في (ظ): (يدخله).

(٣) (خدمته) في (ظ): (جرت).

(٤) (اعلم) ليست في (ض).

إلى الله عَزَّوَجَلَّ يدعو، فكأنَّه وقع في نفسي أنَّه يريد أن يدعوَ عليَّ؛ فَصِحتُ به: لا تفعل، لا تفعل، وادْنُ منِّي، فانْفَتَلَ من صلاته وجاء فوقف بين يدي.

فقلت له: ما يحملك على أن تدعوَ عليَّ؟

فقال: لأنَّك أَهَنْتَنِي، واستَخْفَفْتَ بي، وأخرجتني من دارك ذَلِيلًا آيِسًا، قد شَمِتَ بي أعدائي[1]، وهدَّدتني بالقتلِ ظلمًا، وقطعت أَمَلي في طلب رزقي وقُوتي، وأنا أشكوك إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأَستَعِينُه عليك.

فكأنِّي أقول له: طِبْ نَفْسًا، ولا تَدْعُ عليَّ، فإنِّي أُحسِنُ إليك غَدًا، وأُوَلِّيكَ عَمَلًا.

فاستيقظتُ، وعَجِبتُ من المنام، وعَلِمتُ أنِّي قد ظلمتُ الرجلَ، وقلتُ في نَفسي: شيخٌ من العرب، له سِنٌّ وشرفٌ، أسأتُ إليه بغير جُرمٍ، ورُعْتُهُ[2]، وماذا عليه إذا ألحَّ[3] في طلب الرزق؟

وعلمتُ أنَّ الَّذي رأيتُه في منامي موعظةٌ في أمره، وحثٌّ على حفظِ النِّعَمِ، وأن لا أُنَفِّرَها بقلَّةِ الشُّكر، واستعمالِ الظلم، فاعتقدتُ أن أُوَلِّيَه كما وعدتُه في المنام، فكانَ ما رأيتَ.

قال الحسن بن سلمة[4]: فَقَوَّيتُ رأيَه في هذا، ودعوتُ له، وانصرفتُ، فجاءني من العشيِّ حامدُ بنُ عمرٍو، مُسلِّمًا ومودِّعًا، ليخرجَ إلى عمله.

---

(١) (وأخرجتني من دارك ذليلًا آيسًا قد شمت بي أعدائي) ليست في (ظ).

(٢) في (ظ): (وأرعبته).

(٣) في (ظ): (لجَّ).

(٤) في (ظ): (مسلمة).

فقلت له: هاتِ الآن خبرُك.

قال: نعم، انصرفتُ من باب خُزَيمةَ مُوجَعَ القلبِ، قَلِقًا، مُرتاعًا[1]، فأخبرتُ عيالي بما جرى، فكان في داري مأتمٌ، وبكاءٌ عظيمٌ، ولم أَطْعَمْ أنا ولا هُمْ يومِي وليلتي طعامًا، وأمسيتُ على ذلك.

فلمّا هدأت العُيون تَوَضَّأتُ واستقبلتُ القبلَةَ، فصلَّيتُ ما شاءَ الله، وتضرَّعتُ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ودعوتُه بإخلاصِ نيَّة، وصِدقِ طَوِيَّة، وأَطَلْتُ، فحَمَلَتْنِي عَيني، فنمت وأنا ساجدٌ في القبلة، **فرأيت في مَنامي** كأنِّي على حالي في الصَّلاة [ظ/١٢٣] والدُّعاء، وكأنَّ خُزَيمةَ بنَ حازمٍ قد وقف عليَّ، وأنا أدعو، فصاح بي: لا تفعل، لا تفعل، واغْدُ عليَّ، فإنِّي أُحسِنُ إليكَ، وأُوَلِّيكَ عَمَلًا، فانتبهتُ مذعورًا، وقد قَوِيَتْ نفسي، **فقلت**: أُبَكِّرُ إليه، فلعلَّ الله عَزَّوَجَلَّ أن يطرَحَ في قلبه الرِّقَّةَ عليَّ، فَغَدَوتُ إليه، فكان ما رأيت.

قال الحسن: فكثر تعجُّبي لاتِّفاق المنامين، **فقلت لحامد**: لقد أخبرني الأميرُ بمثل ما ذكرتَه، لم يَخرِمْ منهُ حرفًا[2]، وبكَرَّتُ إلى خُزَيمةَ فحدَّثتُه الحديث، فَعَجِبَ منهُ، وأحضرَ حامدًا حتَّى سَمِعَ منه ذلك، وأمر له بصِلَةٍ وكِسوَةٍ وحُملانٍ، ولم يَزَلْ بعد ذلك يتَعَمَّدُ إكرامَه إذا تعطَّل[3].

---

(١) (قلقًا مرتاعًا) في (ل): (مروعًا).

(٢) في (ل): (شيئًا).

(٣) (إذا تعطل) ليست في (ظ، ل).

[٦: ١٥] [عطَّارٌ من أهلِ الكَرْخِ يرى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامِهِ]

وَيُقارب هَذا الحديث[١] حديثان، **أحدهما حدَّثني به غيرُ واحدٍ من أهل بغداد:**

أنَّ عطَّارًا من أهل الكَرخِ كانَ مشهورًا بالستر والأمانة، فرَكِبَه دينٌ، فقام عن دكَّانه، ولزِمَ منزلَه مستترًا، وأقبل على الدُّعاء والصَّلاة، إلى أن صلَّى ليلةَ الجمعةِ صلاةً كثيرَةً، ودعا، ونام.

قال: فرأيتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامي، وهو يقول: اقصِدْ عليَّ بنَ عيسى -وكان إذ ذاك وزيرًا- فقد أمرتُهُ لك بأربع مئةِ دينارٍ، فخُذها وأصلِحْ بها أمرك.

قال الرجل: وكانَ عليَّ ستُّ مئةِ دينارٍ دَينًا، فلمّا كانَ من غَدٍ، **قلتُ:** قد قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإنَّ الشَّيطانَ لا يتَمَثَّلُ بي**»[٢]، فلِمَ لا أقصدُ الوزيرَ. [ص/٩١]

قال: فقصدته[٣]، فلمّا صرت ببابه مُنِعتُ من الوصولِ إليه، فَجَلَستُ إلى أن

---

(١) في (ل): (الخبر).
(٢) أخرجه البخاري (٦١٩٧)، ومسلم (١٠ - ٢٢٦٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٣) (قال فقصدته) ليست في (ظ).

ضاقَ صدري، وهممتُ بالانصراف، فخرج الشّافعيُّ صاحبُه[1]، وكانَ يعرفني معرفَةً ضعيفةً، فأخبَرتُه الخبرَ.

فقال لي: يا هذا، الوزيرُ والله في طَلَبِكَ منذُ السَّحَر إلى الآن، وقد سألني عنك فأُنسِيتُك، وما عرفك أحدٌ، والرسل مبثوثةٌ في طلبك، فكن بمكانك. ورَجَعَ فدخلَ، فما كان بأسرعَ من أن دُعِيَ بي، فدخلتُ إلى أبي الحسن[2] عليِّ بن عيسى.

فقال لي: ما اسمك؟ **فقلت**: فلان بنُ فلانٍ العَطَّار.

قال: من أهل الكرخ؟ **قلت**: نعم.

قال: يا هذا، أحسنَ اللهُ جزاءك في قصدك إيّايَ، فوالله ما تهنَّأتُ بعيشٍ منذُ البارحة، فإنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءَني البارحةَ في منامي، فقال: أَعْطِ فلانَ بنَ فلانٍ العَطّارَ من أهل الكرخ أربعَ مئةِ دينارٍ يُصلِحُ بها شأنَه، فكنتُ اليوم طول نهاري في طلبِكَ، وما عَرَفَكَ أحدٌ.

فقلت: إن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاني البارحة في منامي، فقال لي كَيتَ وكَيت.

قال: فبكى عليُّ بنُ عيسَى، **ثمَّ قال**: هاتوا ألفَ دينارٍ. فجاؤوا بها عَينًا.

---

(١) هو أبو بكر محمَّد بن عبد الله الشافعي الفقيه صاحب علي بن عيسى، وفي وزارة أبي الحسين بن الفرات الثانية في سنة (٣٠٤هـ) أُلزِمَ أربعة آلاف دينار، وشفع القاضي أبو عمر فيه فأطلق بعد أدائها، (ت: ٣٣٠هـ). ينظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ٢١٠)، و«الأوراق» للصولي (٢/ ٢٣٠)

(٢) (أبي الحسن) ليست في (ظ، ل).

فقال: خُذْ أربعَ مئةِ دينارٍ امتثالًا لأمرِ رسول الله ﷺ، وستَّ مئةِ دينارٍ هبةً منِّي لك.

فقلت: أيُّها الوزيرُ، ما أُحِبُّ أن أزدادَ على عطاء رسول الله ﷺ شَيئًا، فإنِّي أرجو البركةَ فيه، لا فيما عداهُ.

فبكى عليُّ بنُ عيسَى، **وقال**: هذا هو اليقين، خذ ما بدا لك. فأخذتُ أربعَ مئةِ دينارٍ، وانصرفتُ.

فقصصتُ قصَّتي على صديقٍ لي، وأَرَيتُه الدَّنانيرَ، وسألتُه أن يقصدَ غُرَمائي، ويُخبِرَهم، ويتوسَّط بيني وبينهم، فَفَعَلَ. **فقالوا**: نؤخِّرُه[1] بالمالِ ثلاثَ سنين، فليفتح دكَّانَه[2].

فقلت: لا، ولكن يأخُذونَ مني الثُّلُث عاجلًا، والثلثان في سنتَين، في كلِّ سنةٍ ثلثًا، فرضوا بذلك، وأعطيتهم[3] مِئَتي دينار، وفتحتُ دكَّاني وأَدَرْتُه بالمئتي دينارٍ الباقية، فما حال الحول عليَّ إلَّا ومعي ألفُ دينارٍ، فقضيتُ دَيني كلَّه، وما زالَ مالي يزيد، وحالي يصلح، والحمد لله[4].

---

(١) في (ظ): (نُمهِلُه).

(٢) (فليفتح دكانه) ليست في (ظ).

(٣) قوله: (ولكن يأخُذونَ... وأعطيتهم) في (ض): (بل يأخذون منِّي الثلثَ وفي كلِّ سنة الثلث، فأعطيتهم).

(٤) ينظر: «تحفة الأمراء» (ص: ٣٦٠)، و«المنتظم» (١٤/ ٦٠).

[٦: ١٦] [طاهرُ بنُ يحيى والرجلُ الخراسانيُّ]

والخبر الآخَر: ما حدَّثني به أبو الحسن أحمدُ بنُ يوسُفَ الأزرقِ التنوخيُّ، **قال**: حدثني **أبو القاسِمِ عليُّ بن ماجور**[(١)] **المنجِّم**[(٢)]، **قال**:

حَجَجْتُ فرأيتُ عند طاهرِ بن يحيى العلويِّ رجلًا خراسانيًّا، كانَ يحجُّ في كلِّ سنة، فإذا دخل المدينَةَ جاءَ إلى طاهِر بن يحيى العلوي، فأعطاهُ مِئَتي دينارٍ من ماله، كانَت كالجراية له مِنهُ.

[ظ/١٢٤] فلمَّا كانَ سنةٌ بعدَ ذلك[(٣)]، جاءَ يُريد دارَه؛ ليعطيَه المئتَي دينار[(٤)]، فاعترضه رجلٌ من أهل المدينةِ، فشنَّع بطاهرٍ عنده، وقال: تُضَيِّعُ دنانيرَكَ الَّتي تدفعها إليه[(٥)]، هذا يأخُذ منك ومن غيرك، فيصرفه فيما يكرههُ الله عَزَّوَجَلَّ، ويفعلُ ويصنع. وتكلَّم فيه بكلامٍ قبيحٍ.

فقال الخُراساني: فعزفَتْ نفسي عن دفع شيءٍ إليه، وتصدَّقتُ بالدَّنانيرِ، وخرجتُ من المدينة، ولم ألقَ طاهرًا.

---

(١) في (ظ): (ناجور)، وفي (ض): (ماخور)، والمثبت هو الصواب من (ل).

(٢) هو علي بن ماجور أو (أماجور)، وفي «طبقات الأمم»: (ماجود)، أحد العلماء بحركات الكواكب والمعانين لأرصادها، وأهل هذا الشأن يستدلون بقوله، ويرجعون إلى ما رَصَدَه وحققه. ينظر: «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» (ص: ١٧٧)، و«طبقات الأمم» (ص: ٥٦).

(٣) (سنة بعد ذلك) في (ظ): (في بعض السنين).

(٤) (المئتي دينار) ليست في (ل، ض)، وفي (ر): (المال).

(٥) في (ظ): (إلى طاهر).

فلمّا كانَ في العام الثاني دخلت المدينةَ، فتصدَّقتُ بما كنت أريدُ أن أتصدق به[1]، وطويت طاهِرًا، فلم أمضِ إليه[2].

فلمَّا كانَ في العام الثالث تأهَّبتُ للحجِّ، فرأيتُ في منامي النَّبيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو يقول لي: ويحك قَبِلتَ في ابني طاهر بن يحيى قولَ أعدائه، وقطعتَ عنه ما كنتَ تبرُّه به، لا تفعل، واقصده، وأعطه ما فاتَه، ولا تقطعه عنه ما استطعتَ.

قال: فانتبهتُ فَزِعًا، ونويتُ ذلك، وأخذتُ صرَّةً وجعلتُ فيها ستَّ مئةِ دينارٍ، وحملتها معي، فلمَّا صرت بالمدينة بدأتُ بدار طاهرٍ، فدخلتُ إليه وجلستُ، ومجلسُه حَفْلٌ، فحين رآني، قال: يا فلان، لو لم يُبعَثْ بك إلينا ما جئتنا.

فقلت: كلمةٌ وافَقَتْ أَمْرًا، ليسَ إلَّا أن أتغافل. **فقلت:** ما معنى هذا الكلام أصلحكَ الله؟

قال: قَبِلتَ فيَّ قولَ عدوٍّ لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولي، فَقطعتَ عادتك عنِّي، حتَّى لامَكَ رسولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في منامكَ، وأمرك أن تُعطِيَني السِّتَ مئةِ دينارٍ، هاتها، ومدَّ يدَه إليَّ.

فتداخلني من الدهش ما ذهلتُ معه، **فقلت:** أصلحك الله، هكذا واللهِ كانت القصَّة[3]، فما علمُكَ بذلك؟

---

(١) (بما كنت أريد أن أتصدق به) في (ظ): (بالمال).

(٢) (فلم أمض إليه) ليست في (ظ).

(٣) في (ر): (القضية).

قال: إنَّه بلغني خبرُ دخولِكَ المدينَةَ في السّنة الأولى، فلمَّا رَحَلَ الحاجُّ ولم تأتني، أثَّرَ ذلك في حالي، وسألتُ عن القصَّة، فعرفتُ أنَّ بعضَ أعدائنا لَقِيَكَ، فشنَّع بي عندك، فآلمني ذَلِك.

فلمَّا كانَ في الحول الثَّاني، بلغني دخولُك وخروجُك، وأنَّك قد عملت على قوله فيَّ، فازداد بذلك غمِّي.

فلمَّا كانَ منذُ شهور، ازدادت إضاقتي، وامتنع النَّوم عنِّي غمًّا بما دفعتُ إليه، فَفَزِعتُ إلى الصَّلاة، فصليتُ ما قُضِيَ[1]، وأقبَلت أدعو الله عَزَّوَجَلَّ بالفرج ممَّا أنا فيه، وحملتني عَينِي في المحراب، فنمتُ فرأيتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامي، وهو يقولُ لي: لا تغتمَّ[2]، فقد لقيتُ فلانًا الخُراسانيَّ، وعاتبتُه على قبوله فيك قولَ أعدائك، وأمرتُه أن يحمل إليكَ ما فاتك[3]، ولا يقطعَ بعدها عنكَ وظيفَتَكَ[4] ما استَطاعَ، وانتبهتُ، فحمدت الله عَزَّوَجَلَّ وشكرتُه، فلمَّا رأيتُك الآن علمتُ أن المنام جاءَ بك.

قال: فأخرجتُ الصرَّةَ التي فيها ستُّ مئَةِ دينارٍ، فدفعتها إليه، وقبَّلتُ يدَه ورأسَه وعينَيه، وسألتُه أن يُحِلَّني من قبولِ قولِ ذلك الرجل فيه[5].

---

(١) (ما قضي) في (ظ): (ما شاء الله).

(٢) (لا تغتم) في (ظ): (لا تهتمّ).

(٣) في (ض) زيادة: (للسنين).

(٤) (بعدها عنك وظيفتك) في (ظ): (عنك بعدها ذلك ويبرك).

(٥) ذكر هذه القصَّة المؤلِّف بسياق نحو هذا في «نشوار المحاضرة» (٢/ ٢٨٦)، وذكرها سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (١٤/ ٤٠٧).

[٦: ١٧] [امرأةٌ مريضةٌ من آلِ البيتِ ترى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامِها]

حدَّثني أبو محمَّدٍ يحيى بنُ محمَّدِ بن سُلَيمانَ بنِ فَهدٍ الأزديُّ المَوْصِليُّ، قال:

كان في شارعِ دارِ الرَّقيق ببغدادَ[1] جاريةٌ علويَّةٌ، أقامت زَمِنَةً نحوَ خمس عشرةَ سنة، وكان أبي[2] أيّامَ نزولنا بدرب المعوج من هذا الشارع، في دار شفيعٍ المُقتَدِرِيِّ، التي كانَ اشتَراها[3]، يتفقَّد هذه العلويَّةَ، ويَبَرُّها. [ص/٩٢]

وكانت مسجَّاةً، لا يمكنها أن تنقَلبَ من جنبٍ إلى جنبٍ، أو تُقْلب، ولا تَقْعُد، أو تُقْعَد، وكانَ لها مَن يخدمها في ذلك، وفي غيره من الإنجاء، والأكلِ؛ لقُصور أطرافِها، وأعضائها.

وكانَت فقيرةً، إنَّما قوتُها وقوتُ خادمتها ممَّا يبرُّها به المسلمون.

فلمَّا ماتَ أبي اختَلَّ أمرُها، وبلغ تجنِّيَ[4] أمَّ ولدِ الوزير أبي محمَّدٍ المُهَلَّبيِّ خبرُها، فكانت تقوم بأمرها، وأجْرَتْ عليها جِرايةً في كلِّ شهر، وكِسوةً في كلِّ سنة.

---

(١) محلَّةٌ كانت ببغداد، متَّصلة بالحريم الطاهري من الجانب الغربي. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٤٢٠).

(٢) في (ظ) زيادة: (في جوارها)، وفي (ل) زيادة: (في).

(٣) قوله: (أيام نزولنا بدرب... اشتَراها) ليست في (ظ).

(٤) هي تجنِّي جارية الوزير أبي محمَّد الحسن بن محمَّد المهلبي، (ت: ٣٥٢هـ)، وأم أولاده =

قال: فباتت ليلةً من اللَّيالي على حالها تلك، وأصبَحَتْ من غَدٍ وقد بَرَأَتْ، ومَشَتْ، وقامَتْ، وقَعَدَتْ.

وكنتُ مجاورًا لها، فكنتُ أرى الناسَ يتناوبون[1] بابَ دارها، فأنفذتُ امرأةً من داري ثِقَةً تعرفُها، حتَّى شاهدَتْها، **وسَمِعَتْها تقول**:

إنِّي ضَجِرتُ بنفسي ضَجَرًا شديدًا، فدعوت الله عَزَّوَجَلَّ طويلًا بالفرج ممَّا أنا فيه، أو الموت، وبكيتُ بكاءً[2] مُتَّصلًا، وبِتُّ وأنا قلقةٌ متألِّمةٌ، ضَجِرةٌ، وكانَ سَبَبُ ذلك أنَّ الجارية التي تخدمني تضجَّرَتْ[3] بي، وخاطبتني بما ضاقَ معه صدري. [ظ/١٢٥]

فلمَّا استثقلتُ في نومي رأيتُ كأن رجلًا قد دخل عليَّ، فارْتَعْتُ منه، **وقلتُ له**: يا هذا، كيفَ تستحِلُّ أن تراني؟ **فقال**: أنا أبوكِ.

فظننتُه أميرَ المؤمنينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4]، **فقلت**: يا أمير المؤمنينَ، ما[5] ترى ما أنا فيه.

فقال لي: أنا أبوكِ محمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[6]. **فبكيتُ، وقلتُ**: يا رسولَ الله، ادع الله عَزَّوَجَلَّ لي بالعافية[7].

= أبي الغنائم، وزينة التي تزوجها الوزير أبو الفضل الشيرازي، ينظر: «معجم الأدباء» (٣/ ٩٩١).

(١) في (ظ): (يأتون).

(٢) في (ظ) زيادة: (شديدًا).

(٣) في (ل): (ضجرت).

(٤) أي: سيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) في (ظ): (هو ذا).

(٦) (لي: أنا أبوك مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في (ظ، ل): (أنا محمَّد رسول الله).

(٧) (بالعافية) في (ظ): (بالفرج والعافية).

فحرَّك شَفَتَيه بشيء لم أفهمه، **ثمَّ قال لي**: هاتي يديك. فأعطيته يدَيّ فجذبهما فأجلسني، **ثمَّ قال**: قومي على اسم الله عَزَّوَجَلَّ.

فقلتُ: كيف أقوم؟ **فقال**: هاتي يديكِ، فأعطيتُه[1]، فأخذَهُما، وجَذَبَني بهما، فَقُمتُ. **فقال**: امشي على اسم الله.

فقلت: كيفَ أمشي؟ **فقال**: هاتي يديك، فأخذهُما، وما زالَ يمشي بي وهما في يَدَيهِ ساعةً، ثمَّ أجلسني، حتَّى فعل ذلك بي ثلاث مرَّات.

ثمَّ قال: قد وهب الله عَزَّوَجَلَّ لكِ العافية، فاحْمَدِيهِ واتَّقيه. وتركني ومَضى.

فانتبهتُ وأنا لا أشكُّ أنَّه واقِفٌ الساعةَ؛ لسرعة المنام، فَصِحتُ، فظنَّتِ الخادِمَةُ أنِّي أريد البَولَ، فتثاقَلَتْ.

فقلتُ لها: ويحك، أَسْرِجي، فإنِّي رأيتُ أبي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فانتبَهَتْ المرأةُ، فوجدتني مُسَجَّاةً، فشرحتُ لها المنامَ.

فقالت: أرجو أن يكون اللهُ تعالى قد وهب لكِ العافية، هاتي يدك، فأعطيتُها يدي، فأجلسَتْني، ثمَّ **قالت لي**: قومي، فَقُمتُ معها، ومشيتُ متوكِّئةً عليها، ثمَّ جلستُ، ففعلتُ ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ، الأخيرةُ منهنَّ مشيتُ وحدي.

فصاحت الخادمةُ سُرورًا بالحالة، وإعظامًا لها، فقدَّرَ الجيرانُ أنِّي قد متُّ، فجاؤوا، فَقُمتُ فمشيتُ بين أيديهم.

---

(١) قوله: (فجذبهما فأجلسني... فأعطيته) ليس في (ظ).

قال أبو محمَّد: وما زالت قوَّتُها تزيد، إلى أن رأيتُها قد جاءت إلى والدتي في خفٍّ وإزارٍ، بعد ثلاثة[1] أيَّام، ولا قَلَبَةَ[2] بها، فبَرَزْناها، وهي إلى الآن باقيةٌ، وَهي أصلحُ وأورَعُ امرأةٍ أعرفُها من أهل زماننا، وقد تزوَّجت برَجُلٍ علويٍّ مُوسِرٍ[3]، وصَلُحَتْ حالُها، ولا تُعرَفُ إلى الآن إلَّا بالعلويَّة الزَّمِنَة.

❁ **فمضى على هذا الحديث سنونَ كثيرةٌ، وجرى بيني وبين القاضي أبي بكرٍ محمَّدِ بن عبدِ الرَّحمنِ، المعروفِ بابن قُرَيعة[4]، مذاكرةٌ بالمنامات،** فحدَّثني بحديث منام هذه العلويَّة، وقصَّتِها، وعِلَّتِها، على مثلِ ما حدَّثني به أبو محمَّدٍ ابنُ فهدٍ، **فقال لي القاضي:**

أنا كنتُ أَحمِلُ إليها جِرايَتَها من عند تجنِّي جاريةِ الوزيرِ أبي محمَّدٍ المهلَّبِيِّ، وكِسوتها على طول السنين، وسمعتُ منها المنامَ، ورأيتُها تمشي بعد ذلك صحيحةً، بلا قَلَبَةٍ، وتجيءُ إلى تجنِّي، وتجنِّي زوَّجَتْها بالعلوي، وأعطتني مالًا قُمت منه[5] بتجهيزها، وأَمرِها، حتَّى أَعْرَسَ بها زوجُها، وهي إلى الآن من خيار النِّساء.

---

(١) (ثلاثة) ليست في (ظ، ل).

(٢) في (ظ): (داء). **ولا قَلَبَة بها:** أي لا داءَ ولا علَّة بها، أو: لا شيء بها يُقَلْقِلُها، فتتقلَّب من أجل تقلقلها على فراشها، لحزنها وغمِّها. ينظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» (١/ ٢٣٣).

(٣) (موسر) في (ل): (موسوي).

(٤) هو محمَّد بن عبد الرحمن بن قُرَيعة البغدادي، أبو بكر، قاضي السِّندية، من عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالجواب في جميع ما يسأل عنه، صحب الوزير أبا محمَّد المهلبي، له أخبار مجموعة، قيل: روى عن أبي بكر بن الأنباري وغيره، (ت: ٣٦٧هـ). ينظر: «الإكمال» (٧/ ١١٧)، و«قلادة النحر» (٣/ ٢٠٤).

(٥) في (ظ): (لها).

قال مؤلِّفُ الكتاب: وحدَّثني بعد هذا جماعةٌ أسكنُ إليهم من أهل شارِع دار الرَّقيق، بخبر هذه العلويَّة، على قريبٍ من هذا، **وهي باقيةٌ إلى حين مَعرِفتي بخبرها في سنة ثلاثٍ وسبعين وثلاث مئة.**

ثمَّ كنتُ في سنة سبعٍ وسبعين وثلاث مئة عندَ أبي الفتح أحمدَ بنِ عليٍّ بنِ هارونَ المنجِّم[1]، فرأيتُ في داره بدرب سُلَيمان من شارع دار الرقيق وأنا عندَه، امرأةً عجوزًا، قد دخلت، فأَعْظَمَها.

فقلت: مَن هذه؟ **فقال:** العلويَّةُ الزَّمِنَة، صاحبةُ المنام.

وكانَتْ تمشي بخُفِّها وإزارِها، فسألتُها أن تجلِسَ، ففعلت، **واسْتَخْبَرتُها، فحدثتني، قالت:**

اعتللت من بِرْسامٍ[2]، وأنا في حدود عشرين سنةً من عمري، ثمَّ انجلى عنِّي، وقد لحق حَقْوِي[3] شيءٌ أَزْمَنَنِي، فكنتُ مطروحةً على الفراش سبعًا وعشرين سنة، لا أقدر أن أقعدَ ولا أقومَ أصلًا، وأَنْجُو في موضعي[4]، وأُغَسَّلُ، وكنتُ مع ذلك، لا أجد أَلَمًا.

---

(١) هو **أحمد** بن **علي بن هارون** بن علي بن **يحيى** بن **أبي منصور** المنجم، **أبو الفتح**، وكان **أبو منصور** منجم المنصور أمير المؤمنين، وكان مجوسيًّا، وأما ابنه **يحيى** فكان منجم المأمون ونديمه، وأسلم على يده، فصار بذلك مولاه، وكان **علي بن هارون** مشهورًا بالفضل، والعلم والأدب، وخدمة الخلفاء، وابنه **أبو الفتح** كان ثقة. ينظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٥٢٠).

(٢) **البِرْسامُ**: داءٌ معروفٌ، وفي بعض كتب الطب: ورمٌ حارٌّ يَعرِضُ للحجاب الذي بين الكبد والمِعَى، ثمَّ يتَّصل بالدماغ. ينظر: «المصباح المنير» (١/ ٤١).

(٣) **الحَقْوُ**: الخاصرة. ينظر: «مختار الصحاح» (ح ق و).

(٤) أي: أقضي حاجتي. ينظر: «المصباح المنير» (ن ج و).

[ظ/١٢٦] ثمَّ بعد سنينَ كثيرةٍ من علَّتي **رأيتُ النَّبيَّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في منامي، وأنا أقول له**: يا جدِّي، ادْعُ الله عَزَّ وَجَلَّ أن يفرِّجَ عنِّي. **فقال**: ليسَ هذا وقتُك.

ثمَّ رأيتُ أميرَ المؤمنينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، **فقلت له**: أما ترى ما أنا فيه، فاسْأَل رسولَ الله أن يدعوَ لي، أو ادْعُ لي أنت، فكأَنَّهُ قد دافعني.

ثمَّ توالت عليَّ بعد ذلك رؤيتي لهما في النوم، فجرى بيني وبينهما قريبٌ من هذا.

ورأيتُ الحسنَ والحُسَينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وكأنّي أسألُ كلَّ واحدٍ منهما الدُّعاءَ بالعافية، فلا يفعل.

فلمَّا مَضَت سبعٌ وعشرون سنةً لحقني ألمٌ شديدٌ أيّامًا في حَقْوِي، فقاسيت منهُ شِدَّة شديدَة، فأقبَلتُ أبكي، وأدعو اللهَ بالفرج، فرأيتُ ليلةً في منامي النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعَرَفْتُه؛ لأنّي كنتُ أراهُ طولَ تلكَ السنين على صورةٍ واحدَةٍ، وكأنِّي **أقول له**: يا جدِّي، فمتى يفرِّجُ اللهُ عنِّي؟ فكأَنَّهُ أدخل يدَه في طَرَفِ كمِّي، وجسَّ بدني من أوَّله إلى آخره، حتَّى بلغَ حَقْوِي، فوضعَ يده عليه وتكلَّمَ بكلامٍ لا أفهمهُ، ثمَّ ردَّني على قفاي كما كنتُ نائمة، **وقال**: قد فرَّجَ الله عنكِ، فقُومي.

فقلت: كيفَ أقوم؟ **فقال**: هاتي يدك، فأعطيته يدي، فأقعدني، **ثمَّ قال**: قومي على اسم الله. فَقُمتُ، ثمَّ خَطَا بي خطواتٍ يسيرة، **وقال**: قد عُوفِيتِ.

فانتبهتُ وأنا مستلقيةٌ على ظهري كما كنتُ نائمة، إلَّا أنَّني فرحانةٌ، فرُمتُ القعودَ، فَقَعَدت لنَفسي وحدي، ودلَّيتُ رِجلي من السرير، فتدلَّتا، فرمتُ القيامَ عليهما، فَقُمتُ، ومشيتُ، **فقلتُ للمرأة الَّتي تخدمني**: لستُ آمَنُ من أن

يشيعَ خبري، فيتكاثرَ الناسُ عليَّ، فيؤذوني، وأنا ضَعِيفَةٌ من الألم الَّذي لحقني، إلَّا أنِّي كنتُ لما انتبهتُ، لم أحسَّ بشيءٍ من الألم، ولم أجد غيرَ ضعفٍ يسيرٍ.

فقلتُ: اكتُمي أمري يومينِ، إلى أن صلحت قوَّتي فيهما، وزادت قُدرتي على المشيِ والحركةِ، وفشا خبري، وكثُر الناسُ عليَّ، فلا أُعرَفُ إلى الآن إلَّا بالعلويَّة الزَّمِنَة.

فسألتها عَن نَسَبها، فَقالت: أنا فاطمةُ بنتُ عليٍّ بنِ الحسنِ بنِ القاسِمِ بنِ عبد الله بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ عليٍّ بنِ الحسين بنِ عليٍّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. لم تَذْكُرْ لي غيرَ هذا، ولا سألتها عنه[1].

---

(١) من قوله: (قال مؤلِّفُ الكتاب: وحدَّثني بعد هذا...) إلى هنا ليس في (ض، ل).
ذكر المؤلِّفُ هذه القصة في «نشوار المحاضرة» (٢/ ٢٦٥)، وذكر أنها لم تتزوج.

[٦: ١٨] [أبو جعفرٍ بنُ بسطامٍ ينجو من ابنِ الفراتِ ببشرى منامٍ رآه]

حدَّثنا أبو عليٍّ الحسين[١] بن محمَّدٍ الأنباريُّ الكاتبُ، **قال**: كان ابنُ الفُراتِ[٢] يتتبَّعُ أبا جعفرِ بنَ بسطامَ بالأذيَّةِ، ويقصدُه بالمكارِه، فلقي منه في ذلك شدائِدَ كثيرةً.

وكانت أمُّ أبي جعفرٍ قد عوَّدته منذُ كانَ طفلًا، أن يجعَل في كلِّ ليلةٍ تحت مِخَدَّتِه التي ينامُ عليها رغيفًا، فإذا كان من غَدٍ تَصَدَّقت به عنهُ.

فَلَمّا كانَ بعد مُدَّةٍ من أذيَّة ابنِ الفُرات له، دخل إلى ابن الفُرات في شيءٍ احتاجَ إلى ذلك فيه، **فقال له ابن الفُرات**: يا أبا جعفر[٣]، لك مع أمِّكَ خبرٌ في رغيفٍ؟

فقال: لا.

قال: لا بُدَّ أن تَصْدُقَني.

فذكر أبو جعفرٍ الحديثَ، فحدَّثَه به على سبيل التطايُرِ[٤] بذلك من أفعال النِّساء.

---

(١) في (ض، ظ): (الحسنُ) وهو تصحيف، والمثبت من (ر)، وممَّا ذكره المؤلِّف في (٢/ ٨٣)، و(٢/ ١٤١)، و(٣/ ٣٩٤). ينظر: «تاريخ بغداد» (٨/ ١٢٦)، و«المنتظم» (١٣/ ٦٥).

(٢) هو أبو الحسن، عليُّ بن محمَّد بن الفرات، وقد سبقت ترجمته (١/ ٣٧٧).

(٣) (يا أبا جعفر) ليست في (ظ).

(٤) في (ر): (التهزي).

فقال ابن الفُرات: لا تفعل، فإنِّي بتُّ البارحةَ وأنا أدبِّر عليكَ تدبيرًا لو تمَّ لاستأصلتُكَ، فنمتُ، فرأيتُ في منامي كأنَّ بِيَدي سَيفًا مَسْلولًا، وقد قصدتُك لأقتلَكَ به، فاعتَرَضَتْني أمُّك بِيَدِها رغيفٌ تُتَرِّسُكَ به منِّي، فما وصلتُ إليكَ، وانتبهتُ[1]. [ظ/١٢٦]

فعاتَبَهُ أبو جعفرٍ على ما كانَ بينهما، وجعل ذلك طريقًا إلى استصلاحه، وبَذَلَ له مِن نفسِه ما يريدهُ من حُسنِ الطَّاعةِ وغيرها، ولم يَبْرَحْ حتَّى أرضاه، وصارا صديقَين.

وقال له ابن الفُراتِ: واللهِ، لا رأيتَ مني بعدها سوءًا أبدًا[2].

(١) (فما وصلت إليك وانتبهت) في (ظ): (فلما وصلت إليك انتبهت).

(٢) ينظر: «تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء» (ص: ٧٣)، و«المنتظم» (١٣/ ٢٤٣).

[٦: ١٩] [عليُّ بنُ يونُسَ يرى منامًا يبشِّرُه بالفرجِ وهو ينتظرُ القتلَ]

ذكر محمَّد بن عَبدوسٍ في كتابه «كتاب الوزراء»، **عن أبي العبَّاسِ بن الفُرات**(١)، **عن محمَّدِ بنِ عليٍّ بنِ يونُسَ، عن أبيه**: أنَّه كانَ يكتب لرجاءِ بنِ أبي الضَّحَّاكِ(٢) وهو بدمشق، وأنَّ عليَّ بنَ إسحاقَ بنِ يحيى بنِ معاذٍ كان يتقلَّدُ خلافةَ صوارتكين(٣) على المعونة بدمشق، فَوَثَبَ على رجاءٍ فَقتله، وقبضَ على جماعةٍ من أسبابه، وأمر بحبسي، فحُبِستُ في يدي سجَّانٍ كان جارًا لي، فكانَ يأتيني بالخبر ساعةً بعد ساعة.

فدخل إليَّ وقال: قد -والله- أُخرِجَ رأسُ صاحبك رجاءٍ على قناةٍ.

ثمَّ جاءني، فقال: قد قُتِلَ مُتَطَبِّبُه.

ثمَّ جاءني، فقال: قد -واللهِ- قُتِلَ ابنُ عمِّه.

---

(١) هو أحمد بن محمَّد بن موسى بن الحسن بن الفرات، وقد سبقت ترجمته (٢/ ٩٩).

(٢) هو رجاء بن أبي الضحاك الجرجرائي، ولي ديوان الخراج على عهد المأمون وخراج دمشق على عهد المعتصم والواثق فاحتال عليه علي بن إسحاق بن يحيى بن معاذ صاحب معونة جندي دمشق والأردن واغتاله وقتله صبرًا سنة (٢٢٦هـ)، وصلبه بباب دمشق. ينظر: «الوافي بالوفيات» (١٤/ ٧١).

(٣) كذا في (ض، ظ، ن، ف)، وفي النسخ الأخرى: (خمارتكين). والذي في «تاريخ الطبري» (٩/ ١١١)، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٦/ ٦٩): (صول أرتكين).

ثمَّ جاءَني، فقال: قد -والله- قُتِلَ كاتِبُه الآخرُ فلان[1].

ثمَّ قال: الساعةَ -والله- يُدعَى بك لتُقتَلَ، فقد سَمِعتُ نبأَ ذلك.

فنالني جَزَعٌ شديدٌ، وخرج السجَّانُ، وأقفلَ البابَ عليَّ.

فدُعِيَ بي، فدافعَ عنِّي، وقال: البيت الذي هو فيه[2] مقفلٌ، والمفتاح مع شَريكي، والساعةَ يَجيءُ. وبَعَثَ في طَلَبِه.

فنالني في تلكَ الساعةِ نعاسٌ، فرأيت في منامي كأنِّي ارتطمْتُ في طينٍ كثيرٍ، وكأنِّي قد خرجتُ وما بُلَّتْ قدمي منهُ[3]، فاستَيقَظْتُ وتأوَّلتُ الفرجَ.

وسمعتُ حركةً شديدَةً، فلم أشكَّ في أنَّها لطَلَبي، فعاودني الجزعُ، فدخل السجَّانُ، **فقال**: أبشر، فقد أخذ الجندُ عليَّ بنَ إسحاقَ فحبسوه.

فلم ألبَثْ إلَّا ساعةً[4] حتَّى جاءني الجندُ فأخرجوني، وجاؤوا بي إلى مجلسِ عليِّ بنِ إسحاقَ الذي كانَ جالسًا فيه، وقدَّامُه دَواتُه وَكتاب كانَ كتبه إلى المعتصِم في تلكَ السَّاعَة، يُخبره بخبر قَتلِه رجاءَ، وجعل له ذُنوبًا، ولنفسه معاذير، وسمَّاه رجاءَ المجوسيَّ الكافرَ[5].

---

(١) (فلان) ليست في (ظ).

(٢) (البيت الذي هو فيه) ليست في (ض).

(٣) في (ظ): (وما بلَّ قدمي منهُ شيء).

(٤) (إلا ساعة) ليست في (ظ).

(٥) في (ظ): (والكافر).

فخرَّقتُ الكتابَ، وكتبتُ بالخبر كما يجب إلى المعتصِم عن نفسي، وما أجرى إليه عليُّ بنُ إسحاقَ، وأنفذتُ الكتابَ، فلم أزل أدبِّرُ العملَ إلى أن تُسُلِّمَ منِّي، وحُمِلَ عليُّ بنُ إسحاقَ إلى المعتصمِ[1] فحبس طويلًا، ثمَّ أظهر الوسواسَ، فتكلَّم فيهِ أحمدُ بنُ أبي دواد فأُطلِقَ[2].

---

(١) قوله: (وما أجرى إليه عليُّ بنُ إسحاقَ...) إلى هنا سقط من (ظ، والمطبوع).

(٢) وكان ذلك سنة (٢٢٦هـ). ينظر: «تاريخ الطبري» (٩/ ١١١)، و«تاريخ دمشق» (١٣/ ٨٥)، و(٤١/ ٢٥٦).

[٦: ٢٠] [المنصورُ يرى منامًا فيُرسِلُ في طلبِ رجلٍ ويأخذُ له حقَّه]

وجدتُ في بعض الكتب: أنَّ المنصورَ استيقظَ من منامه ليلةً من اللَّيالي، وهو مذعورٌ لرؤيا رآها، **فصاح بالربيعِ**[1]، **وقال له**: صِر الساعةَ إلى الباب الثاني الذي يلي بابَ الشامِ، فإنَّك ستصادفُ هناكَ رجلًا مجوسيًّا مُستَنَدًا إلى الباب الحديد، فجِئْني به. فمضى الربيع مُبادِرًا، وعاد والمجوسيُّ معه.

فلمّا رآه المنصور، قال: نعم، هذا هو، ما ظُلامَتُك؟

قال: إنَّ عامِلَك بالأنبار جاورني في ضيعَةٍ لي، فسامَني أن أبيعَه إيَّاها، فامتنعتُ؛ لأنَّها معيشتي، ومنها قوتُ عيالي، فغَصَبَني إيَّاها.

فقال له المنصور: فبأيِّ شيءٍ دعوتَ قبل أن يصير إليك رسولي؟

قال: قلتُ: اللهمَّ إنَّك حَليمٌ ذو أناة، ولا صبر لي على أناتك.

فقال المنصور للربيع: أَشْخِصْ هذا العاملَ، وأَحْسِنْ أدَبَه، وانتزع ضيعةَ هذا المجوسيَّ من يده وسلِّمْها إلى هذا المجوسيِّ، وابْتَعْ من العامل ضيعتَهُ، وسلِّمها إليه أيضًا.

ففَعَلَ الربيعُ ذلك كُلَّه في بعض نهار يومٍ، وانصَرَفَ المجوسيُّ وقد فرَّج الله عنه، وزادَه، وأحسن إليه. [ص/ ٩٣]

---

(١) هو الربيع بن يونس، حاجب المنصور ووزيره، سبقت ترجمته (١/ ٣٦٧).

[٦: ٢١] [صاحبُ الشرطةِ يرى منامًا يدلُّه على القاتلِ ويُنقِذُ المتَّهمَ البريء]

وجدت في كتابٍ: حدَّثَ القاسمُ بن كرسوع، صاحبُ أبي جعفرٍ مِحْبَرَة[١]، **قال:** كانَ ابنُ أبي عونٍ، صاحبُ الشرطة، قد وعد مَحبَرَةَ أن يجيئَهُ للإقامة عنده، والشُّربِ مُصْطَبِحًا على ستارته في يوم الثلاثاء، فأَبطَأَ عليه، وتعلَّق قلبُ محبرةَ بتأخُّره، فبعثَ غلامًا له يطلُبُه ويعرف خبرَ تأخُّره.

فعاد إلى محبرةَ، فقال: وجدته في مجلس الشرطة يضربُ رجلًا بالسياط، وقد ذَكر أنَّه يَجِيءُ الساعةَ، فلمَّا كانَ بعد ساعةٍ جاءَ ابنُ أبي عونٍ، **فقال له أبو جعفرٍ:** أفسدْتَ صَبُوحنا، وشغلتَ قلبي بتأخُّرِكَ، فما سبب ذلك؟

فقال: إنِّي رأيتُ البارحة في منامي كأنِّي قد بكرَّت بليلٍ لأجيئَك، وليسَ بين يديَّ إلَّا غلامٌ واحدٌ، فصرتُ إلى[٢] خرابِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ مُصعَب، لأجيءَ إلى رَحبةِ الجسرِ، وإنِّي لأسيرُ في القَمَرِ إذ رأيتُ شيخًا بهيًّا نظيفَ الثَّوبِ، على رأسِه قَلَنْسُوةٌ لاطِئةٌ[٣]، وفي يده عكَّازٌ، **فسلَّمَ عليَّ، وقال:** إنِّي أُرشِدُك إلى ما

---

(١) هو محمَّد بن يحيى اللغوي، المعروف بـ«محبرة»، سبقت ترجمته (٢/ ٢١٩).

(٢) في (ظ): (فسرت في).

(٣) أي: لاصقة بالرَّأسِ غير مرتفعةٍ عنه. ينظر: «لسان العرب» (ل ط أ: ١/ ١٥٣)، و«شرح سنن أبي داود» لابن رسلان (٥/ ١٧٠).

فيه مثوبة لك، في حَبسِكَ فَيجٌ[1] مظلومٌ، وافى من المدائنِ في وقت ضيقٍ، فاتُّهِمَ بأنَّه قَتَلَ رجلًا، وهو بريءٌ من دَمِه، وقد ضُرِبَ وحُبِسَ، وقاتِلُ الرجلِ غَيرُه، وهو في غرفَةٍ وسطى من ثلاث غرفٍ مَبنيَّةٍ على طاق التِّكَكِ[2] بالكَرخِ، واسمُه فلانُ بن فلانٍ، ابْعَثْ مَن يأخذه، فإنَّك ستجده سكرانَ، عُريانَ[3]، بسراويلَ، وفي يَدِه سكينٌ مخضَّبٌ بدمٍ، فاصنَع به ما ترى، وأَطْلِقِ الفيجَ البائسَ.

قلتُ: أفعلُ. وانتبهتُ، فركبتُ، وسرتُ حتَّى وافيتُ رحبةَ الجسرِ، **فقلت:** ما حدث في هذه اللَّيلة؟

قالوا: وجدنا هذا القَتيلَ، وهذا الفَيجُ معه، فضربناه، ولم يُقِرَّ.

فَرَأَيت به أثرَ ضربٍ عظيمٍ، **فسألته عن خبره، فقال:** أنا معروف بالمدائنِ بسلامة الطَّريقَةِ، ومعاشي التَّفَيُّجُ، أَنْفَذَني فلان بنُ فلانٍ من المدائن إلى فلانِ بن فلانٍ من أهل بغداد، بهذه الكتب -وأخرج إضبارةً- فدخلتُ أوائلَ بغدادَ وقتَ العَتَمَة، فوجدت في الطَّريق رجلًا مقتولًا، فَجَزِعتُ ولم أَدْرِ أين آخُذُ، فأنا على حالي إذ أدركني الأعوانُ، فظنُّوني قتلتُه، وواللهِ ما أعرفه، ولا رَأَيتُه قطُّ، ولا أدري مَن هو ولا مَن قتله، ولا قتلت أحدًا قطُّ، وقد حبسوني وضربوني، فاللهَ اللهَ في دمي.

---

(١) **الفَيْج:** هو الذي يسعى بالكتب، وهو في الأصل: رسول السلطان. ينظر: «لسان العرب» (ف ي ج: ٢/ ٣٥٠).

(٢) في (ظ): (السكك)، وصوبها في المطبوع إلى (العكي) وهو غير صحيح، فطاق التكك في الكرخ، ذكره الصوليُّ وقال: في سنة (٣٣٢هـ) وقع بالكرخ حريقٌ عظيمٌ من حدِّ طاقِ التِّكَكِ إلى السماكين. ينظر: «الأوراق» (٢/ ٢٦١).

(٣) كذا في جميع النسخ، والصواب صرفها: (عريانًا).

فقلتُ: قد فرَّج الله عَزَّوَجَلَّ عنك، انطلِقْ حيثُ شئتَ، ثمَّ أخذتُ الرجَّالةَ ومضيتُ إلى طاقِ التِّكَكِ[1]، فأجِدُ الثَّلاثَ غرفٍ مصطفَّةً كما وصفَ الشيخ، فهجمتُ على الوُسطَى، فإذا فيها رجلٌ سكرانُ عليه سَراويلُ فقط، وفي يده سكينٌ مخضَّبٌ بالدَّمِ، وهو يقول: أخ عليك، وَالَك[2]، نعم سَيِّدي أنا جَرحتُه، فإن ماتَ أنا قتلتُه، فأنزلتُه مكتوفًا، وبعثتُ به إلى الحبس، وانحدرتُ إلى الموفَّقِ بالله، فحدَّثتُه الحديثَ، فتعجَّبَ منه، وتقدَّم إليَّ أَنْ أَضرِبَ القاتِلَ بالسياط إلى أن يَتلَفَ، وأَصْلِبَه في مَوضِعِ جنايته، فتشاغلتُ بذلك إلى أن فَرَغْتُ منه، ثُمَّ جئتُكَ.

---

(١) في (ظ): (السكك).

(٢) أي: وَيْلَك. هكذا تقولها العامَّة. ينظر: «تقويم اللسان» (ص: ١٨٢)، و«تصحيح التصحيف» (ص: ٥٣٩).

[٦: ٢٢] [أحمدُ بنُ كِشْمَرْدَ ينجو من القتلِ بمنامٍ رآه]

حدَّثني عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيم(١) -وكانَ إبراهيمُ(٢) أخا موسَى بنِ إسحاقَ القاضي الأنصاريِّ(٣)- **قال:** كنت قد خرجتُ مع **أبي** وهو يكتبُ لأبي جعفرٍ الكَرخيِّ محمَّدِ بن القاسم(٤)، لمَّا تقلَّد الموصِلَ والديارات، وكان قد ضمَّ إلى أبي جَعفرٍ جماعةً من قوَّاد السُّلطان، فلمَّا صِرْنا بنَصِيبين(٥) كان أبي قد مضى -وأنا معه- إلى **أبي العَبَّاس أحمدَ بن كِشْمَرْد**(٦)، أحدِ أولئك القوَّادِ مُسلِّمًا عليه، فتحدَّثا، **فسمعته يحدِّثُه، قال:**

---

(١) في (ظ) زيادة: (بن موسى)، وليست بصواب؛ فإبراهيم هو ابن إسحاق، أخو موسى بن إسحاق، وقد ذكر ذلك المؤلِّف في (٣/ ٣٣٣).

(٢) في (ظ) زيادة: (ابن)، وليست بصواب.

(٣) هو موسى بن إسحاق بن موسى بن عبد الله الأنصاري الخطمي الشافعي، القاضي، أبو بكر، سمع أباه، وأحمد بن حنبل، وأبا بكر بن أبي شيبة، وروى عنه: أبو بكر ابن الأنباري، وغيره. ثقة صدوق، ولي قضاء الري وقضاء الأهواز، (ت: ٢٩٧هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٥/ ٥١).

(٤) هو محمَّد بن القاسم بن محمَّد من كرخ البصرة، الوزير، ولي وزارة الراضي بالله سنة (٣٢٤هـ)، ثم إنه وزر للمتقي لله، وكان بطيء الكتابة والقراءة، وفيه كرم ومروءة وحشمة نفس. (ت: ٣٤٣ هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٧/ ٧٩٤).

(٥) **نَصِيبين**: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادَّة القوافل من الموصل إلى الشام، بينها وبين الموصل ستة أيام، وتقع الآن في تركيا قرب الحدود السورية، قرب مدينة القامشلي. ينظر: «معجم البلدان» (٥/ ٢٨٨).

(٦) كان عامل أمير المؤمنين المكتفي على المعاون بالرحبة وطريق الفرات، وفي سنة (٢٨٦هـ) تولَّى المعاون بالأنبار. ينظر: «تاريخ الطبري» (١٠/ ٧٢، ١٠٩).

لما أسرني أبو طاهر القِرْمِطيُّ[1] فيمَن أسره بالهبيرِ[2]، حَبَسَني وأبا الهيجاءِ[3]، والعمَّ[4]، في ثلاث حُجَرٍ مُتَقارباتٍ، ومكَّننا من أن نتزاورَ، ونجتمعَ على الحديث.

فتمَّكن أبو الهيجاء خاصَّة من القِرمِطيِّ، واختصَّ به، وعَمِلَ على إطلاقه، وشفَّعَه في أشياءَ؛ فسألتُ أبا الهيجاءِ أن يسألَه إطلاقي، فوعدني.

واستدعاه القِرمِطيُّ، فمضى إليه وعاد إلى حُجرته، فجئت وسألتُه: هل خاطبه؟ فدفعني. **فقلت**: لعلَّك أُنسِيتَ؟

فقال: لا والله، لَبِوُدِّي أنِّي ما ذكرتُكَ له.

فقلت: لمَ؟ **قال**: لما ذكرتُكَ له وجدتُه مَغِيظًا عليك، وقال: واللهِ، لأضرِبَنَّ عُنُقَه عند طلوع الشَّمسِ في غَدٍ. ورحل أبو الهيجاء.

---

(١) هو سليمان بن حسن القرمطي الجنابي، الأعرابي الزنديق، ملك البحرين، الذي سار إلى مكة في سبع مئة فارس، فاستباح الحجيج كلهم في الحرم، واقتلع الحجر الأسود، وردم زمزم بالقتلى، هلك بالجدري سنة (٣٠٢). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٣٢٠).

(٢) **الهَبِيرُ**: رمل زَرُود في طريق مكة، كانت عنده وَقعةُ أبي طاهر بن أبي سعيد الجنابي القِرمطي سنة (٣١١هـ) وقيل: (٣١٢هـ)، حيث هجم على قوافل الحجاج فقتلهم وسباهم وأخذ أموالهم، وأسر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان، وأحمد بن بدر عمِّ السيدةِ أمِّ المقتدر، وأحمد بن كشمرد، وغرير العمري. ينظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ٢٤٢)، و«تجارب الأمم» (٥/ ١٨٣)، و«معجم البلدان» (٥/ ٣٩٢).

(٣) هو الأمير عبد الله بن حمدان الحمداني، سبقت ترجمته (٢/ ٦٠).

(٤) في (ر) والمطبوع: (والغمر)، والصواب المثبت؛ و(العَمّ) المقصود به: أحمد بن بدر، عمِّ السيدةِ أمِّ المقتدر، أبو عيسى. ينظر: «التنبيه والإشراف» (ص: ٣٣٠)، و«تحفة الأمراء» (ص: ٣٣٧) و«التذكرة الحمدونية» (٨/ ٢٤٠).

قال: فوَرَد عليَّ أمرٌ عظيمٌ، وعدتُ إلى حُجرَتي وقد يئستُ من الحياة، فلمَّا كانَ في اللَّيل رأيتُ في منامي كأنَّ قائلًا يقول لي: اكتب في رقعةٍ: «**بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، من العَبد الذَّليلِ إلى المولى الجليل، مسَّني الضّرُّ والخوفُ، وأنتَ أرحمُ الراحمين، اللهمَّ اكشِفْ عنِّي غَمِّي وضُرِّي**[1]، **وفرِّجْ عنِّي**» واطْرَح الرقعةَ في هذا النَّهر، وأَوْمأَ إلى ساقيةٍ كانت تجري هناكَ في المطبخ.

فلمَّا كانَ السَّحَرُ **استدعاني القِرْمِطيُّ**، فلم أشكَّ أنَّه للقَتل[2]، فلمَّا دخلتُ إليه أدناني وأجلسني، **وقال لي:** قد كانَ رأيي فيك غيرَ هذا، إلَّا أنِّي قد رأيتُ تَخْلِيَتَكَ.

فخرجتُ، فإذا على الباب راحِلَةٌ، ورجلٌ يصحبني، فركبتُ، وسرتُ حتَّى دخلتُ البصرَةَ سالمًا، ولحقتُ أبا الهيجاءِ بها، ودخَلْنا معًا بغدادَ[3].

---

(١) (عنِّي غمِّي وضرِّي) في (ر): (همِّي وحزني).

(٢) في (ر): (القتل).

(٣) ذكر الخبر مختصرًا بأنه كان في سنة (٣١٢هـ). ينظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ٢٤٢)، و«التنبيه والإشراف» (ص: ٣٣٠).

[٦: ٢٣] [أحمدُ بنُ طولون يرى في المنامِ محمَّدَ بنَ سليمانَ الكاتب]

وجدتُ في بعض الكتب: حدَّثَ أبو عليٍّ الحسنُ بن تُركِيّ قال[١]:

كنتُ مع صاحبي عيسى غلام النوشري[٢]، وكانَ مُضافًا لمحمَّدِ بنِ سُلَيمانَ الكاتب[٣] على حرب الطولونيَّة إلى أن افتُتِحَتْ مصر، وتقلَّدَها عيسى.

[ص/ ٩٤] قال: فركب[٤] يومًا محمَّدُ بنُ سُلَيمانَ إلى ظاهر الفُسْطاط[٥]، فانتهى به

---

(١) (حدث أبو علي الحسن بن تركي قال) في (ر): (قال أبو الحسن بن تركي).

(٢) (غلام) سقطت من (ر، والمطبوع). وهو **عيسى غلام النوشري**، ولَّاه المكتفي على حلب سنة (٢٩٠هـ)، وكان المكتفي قد وجَّه محمَّد بن سليمان صاحب الجيش إلى حلب والشام لمحاربة القرامطة والطولونية وفتحِ مصرَ، فدخل محمَّد بن سليمان حلب وأمر عيسى والي حلب أن يستخلفَ على عمله، ويخرج معه إلى مصرَ، فامتثل أمرَه، فلقيهم القرامطةُ بين تل منِّس وكفر طاب، فنصره الله عليهم وانهزموا، ثمَّ صاروا إلى مصر، وافتتحوها من يد الطولونيَّة، ولما رجع إلى حلب صرفه المكتفي منها، وولَّاه مصر. ينظر: «تاريخ الطبري» (١٠/ ١٠٧-١١٩)، و«زبدة الحلب في تاريخ حلب» (ص: ٥٥- ٥٦)، و«نهر الذهب» (٣/ ٣٨).

(٣) هو محمَّد بن سليمان الكاتب الحنيفي، نسبة إلى رجل يُدعَى (حنيفة السمرقندي)، رحل إلى مصر، وولي الكتابة للؤلؤ، ثمَّ عاد إلى بغداد واتَّصلَ بالمكتفي، فصار من قوَّاده، وولَّاه قتالَ القرامطة والطولونيِّين، ثمَّ نقم عليه فحبسه وصودرت أموالُه، وظلَّ سجينًا إلى أن أطلقَه ابنُ الفرات في أيام المقتدر، وقُتِلَ في معركةٍ على باب الرَّيّ. ينظر: «النجوم الزاهرة» (٣/ ١١٢)، و«الأعلام» (٦/ ١٤٩).

(٤) (فركب) في (ر): (قال: قال عيسى خرج).

(٥) **مدينة الفسطاط** أول عاصمة لمصر تحت الحكم الإسلامي، بناها الصحابي عمرو بن =

السَّيرُ إلى قبَّةٍ كانت لأحمدَ بنِ طولون[1]، يقال لها «قبَّة الهواء»، مطلَّةٍ على النِّيل وعلى البرِّ، فَجَلَسَ فيها ومعهُ الحُسَينُ بنُ حمدانَ[2] وجماعةٌ من القوَّاد، **ثمَّ قال:** الحمد لله الَّذي بيدِهِ الأمرُ كلُّه، يفعلُ ما يشاء.

فقال الحسينُ بنُ حمدان: لا شكَّ أن تجديدَك هذا الحمدَ لأمرٍ.

قال: نعم، خبرٌ عجيبٌ طريفٌ ذكرتُه الساعةَ، وهو أنِّي نزعتُ إلى مصرَ وأنا في حالٍ رديَّةٍ[3]، في زيِّ صغار الأتباع، فضاقَ صدري، وضاقَ عليَّ المعاشُ بها، فاتَّصلتُ بلؤلؤٍ الطولونيِّ[4]، فأجرى عليَّ ثلاثةَ دنانيرَ[5] في كلِّ شهرٍ، وصيَّرني في إصْطَبلِه مُشرِفًا على كُراعِه[6]، فكنت هناكَ من حيثُ لا يعرف صورةَ وجهي

= العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد فتح مصر. ينظر: «معجم البلدان» (٤/ ٢٦١ وما بعدها).

(١) هو الأمير أبو العباس أحمد بن طولون، صاحب الديار المصرية والشامية والثغور؛ ولي مصر، ثم استولى على دمشق والشام أجمع وأنطاكية والثغور، وكان عادلًا حسن السيرة، (ت: ٢٧٠هـ). ينظر: «وفيات الأعيان» (١/ ١٧٣).

(٢) هو الحسين بن حمدان بن حمدون، أبو عبد الله التغلبي، عم سيف الدولة، خلع عليه المقتدر وولاه ديار ربيعة سنة (٢٩٩هـ)، وغزا الصائفة سنة (٣٠١هـ)، حبس ثم قتل سنة (٣٠٦هـ). ينظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٤/ ٥٨).

(٣) في (ر): (رثَّة).

(٤) هو لؤلؤ غلامُ أحمدَ بنِ طولون، انتقض على مولاه أحمد بن طولون، وسار إلى الموفَّق وقاتل معه الزنج سنة (٢٦٨هـ)، وفي سنة (٢٧٣هـ) قبض الموفَّق عليه وقيده، وأخذ منه أربع مئة ألف دينار، ولم تزل أموره في إدبار إلى أن افتقر ولم يبق له شيء، ثمَّ عاد إلى مصر في آخر أيام هارون بن خمارويه، (ت: ٣٠٤هـ) ينظر: «الكامل في التاريخ» (٦/ ٤٤٢)، و«تاريخ ابن خلدون» (٣/ ٤٢٨).

(٥) في (ر): (دينارين).

(٦) **الكُراع**: جماعةُ الخيل. ينظر: «المصباح المنير» (ك ر ع).

جيّدًا، ولا أُقدِمُ على الوقوفِ بين يَدَيه؛ فلمَّا كانَ في بعض الأيّام **أحضرني، فقال لي**: ويحك من أينَ يعرفك الأمير -يعني: أحمدَ بن طولون-؟

فقلتُ: واللهِ ما رآني قطُّ، ولا وَقَعَتْ لي أيضًا أنا عينٌ عليه إلَّا في طريقٍ[1]، ولا محلِّي محلَّ مَن يَتَصَدَّى للقائه.

فقال: دعاني السَّاعةَ، وهو في قبَّةِ الهواءِ، **فقال لي**: معك رجلٌ أشقرُ أشهلُ، يُقال له: محمَّدُ بنُ سُلَيمان.

فقلتُ: ما أعرفهُ. **فقال**: بلى هو في حَشَمِك[2]، فأَبْعِدْه عنك؛ فإنِّي رأيته الليلةَ في النوم وبِيَده مِكْنَسَةٌ وهو يَكْنُسُ داريِ بها، فتَوَقَّ ويلَكَ، ولا تتعرَّض[3] إلى أحدٍ من حاشيته. وأقرَّني على أمري ورزقي[4]، فامتثلتُ أمرَه.

ومضى لهذا الحديث شهورٌ، ثمَّ **دعاني ثانيةً، فقال لي**: ويحك، ماذا بُلِيتُ به منكَ، وبُلِيتَ أنت به من هذا الأمير؟ اسْتَدعاني بعدةٍ من أصحاب الرسائل، فوافيتُه وأنا في نهاية الوَجَلِ، **فقال**: أليسَ قد أمرتُكَ بصرفِ محمَّدِ بنِ سُلَيمان الأشقر الأشهل[5]؟ فقلتُ: بلى، ولكنَّني قد عرَّفتُك يا سيِّدي أنَّني ما استخدمتُ مَن هذه سبيلُه، ولا وَقَعَتْ لي عينٌ عليهِ.

---

(١) (لي أيضًا أنا عين عليه) في (ر): (له على عين).

(٢) **الحَشَمُ**: خَدَمُ الرَّجُلِ. ينظر: «المصباح المنير» (ح ش م).

(٣) (ويلك ولا تتعرض) في (ر): (ويحك ولا تتعرف).

(٤) (ورزقي) ليست في (ض).

(٥) (الأشقر الأشهل) في (ر): (الأزرق الأشقر).

فقال لي: كذبتَ، هو معك في اصطبلك، فأَخرِجْه السَّاعةَ عن البلد، فإنِّي رأيتُه في المنام وفي يَدِه مِكْنَسَةٌ يكنُسُ بها حُجْرتي[1] وداري، ونسأل الله الكفاية.

فقلت لِلُؤْلُؤ: وأيُّ ذنبٍ لي في الأحلامِ يا سيِّدي؟ **فقال لي**: صدقتَ، فاسْتَتِرْ إلى أن يتناسى الأميرُ ذِكْرَكَ. ففعلتُ، وكان يُجرِي عليَّ ذلك الرزق، وأنا لا أعملُ شيئًا.

فلمَّا تهيَّأَ مِنْ إنْفاذِ لُؤلُؤٍ إلى الشَّامِ ما تهَيَّأَ، نَهَضْتُ معه، وتخلَّف عنهُ كُتَّابُه لِما كانوا عَلِمُوه من تغيُّرِ حالِه عند صاحبه، فأدناني وقرَّبني، وأجرى عليَّ عشرةَ دنانير في كلِّ شهرٍ، وحملني على دابَّةٍ وبغلٍ، فلزمتُ خِدمَتَه، وكَفَيتُه، واستُحمِدتُ إليه، فزادني من رأيه، ولم ننتَهِ إلى العَريشِ حتَّى تنبَّه أحمدُ بنُ طولون على استيحاش لُؤلُؤ، فكتب إليهِ في الرُّجوعِ إلى مصرَ، فشاوَرَني، فأشرتُ عليهِ بالانحدارِ إلى نواحي ديار مُضَر، وأَخذِ كلِّ ما يَسْتَدِفُّ له من المال[2]، ولم أترك غايةً إلَّا أتيتُها في تَصْرِيَتِه[3] وتَأْلِيبِه[4] حتَّى أوردتُه مدينةَ السَّلام.

ثمَّ تقلَّبَتْ بيَ الأحوالُ في خِدمَةِ السُّلطان، وخدمةِ الدُّوَل، وتوفِّيَ أحمدُ بن طولون، وقُتِلَ أبو الجيشِ خُمَارَوَيه، وحُبِسَ ابنُه[5]، وتَوَلَّى بعدهم

---

(١) (حجرتي) في (ظ): (سائر حجري).

(٢) أي: ما يَتَهَيَّأُ ويَتَيَسَّر. ينظر: «لسان العرب» (د ف ف، ذ ف ف: ٩/ ١٠٦ - ١١٠).

(٣) في (ض): (تصرمه)، وفي المطبوع: (تضريبه) وهو تصحيف. وتَصْرِيَتُه: أي: إنقاذُه وحفظُه؛ يقال: صَرَاني من هذا الأمرِ؛ أي: أنْقَذَني. وصَراه اللهُ يَصْريه: حَفِظَه. ينظر: «المحيط في اللغة» (٨/ ١٨١)، و«لسان العرب» (ص ر ي: ١٤/ ٤٥٧).

(٤) لعله من أَلَبَ الإبلَ؛ أي: ساقَها. ينظر: «المحكم» (أ ل ب).

(٥) (حُبِسَ) كذا في (ر، ن، ظ، ف)، وفي (ض) بدون نقط، وليست في باقي النسخ، وفي المطبوع: =

هارونُ بنُ خُمَارَوَيه(١)، واختَصصت أنا بالقاسم بن عبيد الله(٢)، فقلَّدني ديوانَ الجيش، ثمَّ ندبني لمحاربة هارون، وضمَّ إليَّ القوَّادَ والرِّجالَ، وكانَ فيهم لؤلؤ صاحبي، وكانَ أصغرَ الجماعةِ حالًا، وأحقرَهم شأنًا، خاليًا من الرِّجالِ والكُراعِ، فلم أقصِّر في إصلاح حالِه، والإحسانِ إليه، ومعرِفة حَقِّه.

فلم أَدْنُ من الشام حتَّى تلقَّاني بدرٌ الحمَّامي مُطِيعًا، وتلاهُ طغج بن جف(٣) مُسرِعًا، وصرتُ إلى مصرَ، فلمَّا شارفتُها وَثَبَ شيبانُ بن أحمدَ بنِ طولون(٤) [ظ/١٣٠] ومن بايعه(٥) من جندِ مصرَ فقتلوا هارونَ، ووُلِّيَ شيبانُ بنُ أحمدَ الأمرَ

= (جيش). وهو أبو العساكر، جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون، تملك بعد قتل أبيه بدمشق، فأقام بها ستة أشهر، ثمَّ سار إلى الديار المصرية، فوثب عليه أخوه هارون **فحبسه ثمَّ قتله** سنة (٢٨٣هـ). ينظر: و«مرآة الزمان» (١٦/ ١٩٧)، و«كنز الدرر وجامع الغرر» (٥/ ٢٩٩).

(١) هو أبو موسى، هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون، تملك بعد خلع أخيه جيش وقَتْله، وضَعُفَ أمر هارون فقتله عماه: شيبان وعدي سنة (٢٩٢هـ)، وكانت دولته ثمانية أعوام وأشهرًا. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ١٧).

(٢) الحارثي، وزير المعتضد والمكتفي، سبقت ترجمته (٢/ ١٢).

(٣) طغج بن جف الفرغاني التركي، نائب دمشق لخُمَارَوَيه ولابنه هارون، حاصرته القرامطة بدمشق، ثم مضى إلى مصر، ثم سار إلى المكتفي بالله، ومعه ولده الإخشيد محمَّد الذي ملك، فبقي طغج بالعراق مدة يسيرة وهلك، ثم قدم ولده الإخشيد متولِّيًا على مصر والشام. ينظر: «تاريخ دمشق» (٢٥/ ٤)، و«تاريخ الإسلام» (٦/ ٩٥٨).

(٤) هو شيبان بن أحمد بن طولون، ولي مصر بعد مقتل هارون بن خُمارويه سنة (٢٩٢هـ) مدّة اثني عشر يومًا وعزل، وخرج شيبان في هذه السنة إلى محمَّد بن سليمان وانصرف عسكره كلُّه، وزالت دولة آل طولون، وطرد من بقي منهم بمصر. ينظر: «كتاب الولاة» للكندي (ص: ١٨٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ١٨).

(٥) في (ظ): (تابعه).

من بعده أيَّامًا[1]، وانثال إليَّ القوَّادُ في الأمان، ولحقهم شيبانُ، وتخلَّف الرجَّالةُ وَقطعةٌ من الفرسان، وأظهروا الخلافَ، فأوقعتُ بهم، وأفنيتُهم قَتْلًا وأسرًا، ودخلت فُسطاطَ مصرَ عُنْوَةً، وحويتُ النِّعَمَ والمُهَجَ، وأَشْخَصتُ[2] الطولونيَّةَ عن البَلَدِ إلى الحضرةِ حتَّى لم يبقَ فيه منهم واحدٌ[3].

وصحَّ بذلك منامُ أحمدَ بنِ طولون، فسبحان الَّذي ما شاءَ فَعَلَ، وإيَّاه نسألُ خيرَ ما تجري به أقدارُه، وأن يختمَ لنا بخيرٍ برحمته.

---

(١) (وولي شيبان بن أحمد الأمر من بعده أيامًا) في (ظ): (وتولى شيبان الأمر بعده).

(٢) أي: أخرجتُ. ينظر: «المصباح المنير» (ش خ ص).

(٣) ينظر: «كتاب الولاة والقضاة» (ص: ٢٤٢ - ٢٤٣)، و«تاريخ ابن خلدون» (٣/ ٤٤٣).

[٦: ٢٤] [صديقُ أبي الفَرَجِ الببغاء يرى منامًا يُبَشِّرُه بالشفاءِ]

حدَّثني أبو الفرج عبدُ الواحِدِ بنُ نصرٍ الكاتِبُ المعروف بالبَبْغاء، قال:

اعتللتُ بحَلَبَ عِلَّةً جفَّ منها بدني كُلُّه، فكنت كالخشبة، لا أقدرُ على أن أتحرَّك أو أُحَرَّك، ونَحَلَ جسمي، وتقلَّبتُ في(١) أعلالٍ مُتَّصِلَةٍ متطاولةٍ متضادَّة(٢)، فمكثتُ حليفَ الفراشِ ثلاثَ سنين، وآيسني الأطباءُ من البُرءِ، وقطعوا مداواتي.

وكانَ لي صديقٌ شيخٌ يُعرَفُ بأبي الفرجِ بنِ أبي(٣) دارم، من أهل بلدي نَصِيبين، مُقيمٌ بحلبَ، يواظِبُ على عيادتي، ومُلازمتي، فكانَ لفرط اغتمامِه بي، وأنَّ الأطباء قد آيسوه منِّي، يُظهِرُ لي من الجزع عليَّ أمرًا يؤلم قلبي، ويُؤيِسُني من نفسي، ثمَّ تجاوزَ ذلك إلى التَّصريحِ لي باليأسِ، وتوطيني عليه، ثمَّ تعدى هذا إلى أن صارَ لا يملكُ دمعتَه إذا خاطبني.

فضَعُفتُ عن تحمُّل هذا، وتضاعَفَتْ به عِلَّتي، وخارت معه قوَّتي، فاعتقدتُ أن أقولَ لغلامي أن يترصَّدَه، فإذا جاءَ ليدخل(٤) إليَّ قال له عنِّي: إنِّي لا أستحسنُ حجابَه، وإنَّ عِلَّتي قد تضاعفَتْ بما أُشاهده وأسمعه منه، ويسأله أن يَنقَطعَ عنِّي،

(١) في (ظ): (بي).

(٢) (متطاولة متضادة) في (ظ): (متضادة صعبة).

(٣) (أبي) ليست في (ظ)، وكذا في المواضع اللاحقة.

(٤) في (ظ): (الرجل).

أو يقطعَ مخاطبتي بما فيه إياسٌ لي، وقرَّرتُ عزمي على هذا في ليلةٍ من اللَّيالي، ولم أخاطِبْ به غلامي.

[ض/٩٥] فلمَّا كانَ في صبيحَةِ تلكَ اللَّيلةِ، باكرني ابن أبي دارم، فحين وقعت عيني عليه تثاقلت به خوفًا من أن يسلكَ معي مذهبَه، وهممتُ أن أفتَتِحَ خطابَه بما كنت عزمتُ على مراسلته به، فسَبَقَني **بأن قال**: جئتُكَ مبشِّرًا. **فقلت**: بماذا؟

فقال: إنِّي رأيتُ البارحةَ في منامي كأنِّي بالرَّقَّةِ، والناسُ يُهرَعُون إلى زيارة قبورِ الشُّهَداء بها.

قال أبو الفرج: وهم جماعةٌ ممَّن قُتِلَ مع أمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالبٍ صلوات الله عليه بصِفِّين، منهم عمارُ بنُ ياسرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، حُمِلُوا إلى ظاهر الرقَّةِ فدفنوا بها، والحال في ذلكَ مشهورة، والقبورُ إلى الآن مغشيَّةٌ معمورة[١].

قال ابن أبي دارم: ورَأَيتُ أكثرَ الناس يُطِيفونَ[٢] بقبَّةٍ، فسألت عنها، فقيل لي: هي على قبرِ عمَّار بن ياسرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقصدتُها، واطَّلَعتُ فيها[٣] فإذا القبرُ مكشوفٌ، وفيه رجلٌ شيخٌ جالسٌ بثياب بياضٍ، وفي رأسه ضرباتٌ بَيِّناتٌ دامِية، وعلى لحيته دمٌ، والناس يقولون: هذا عمار بن ياسرٍ، وكأنِّي قد سلَّمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام، والناس يسألونه فيُجِيبُهم، فلَحِقَتْني حيرةٌ، ولم أدرِ عمَّا[٤] أسأله.

---

(١) ينظر: «صورة الأرض» لابن حوقل البغدادي (١/ ٢٢٦).

(٢) في (ظ، ر): (مطيفون). **أطافَ بالشَّيء**: أحاطَ به؛ أي: أحاطوا بها. ينظر: «المصباح المنير» (ط و ف).

(٣) في (ظ): (وطفت بها).

(٤) في (ض): (عمّن).

فقلتُ له: يا سيِّدي، لعلَّك عارفٌ بأبي الفرجِ عبدِ الواحِدِ بنِ نصرٍ المخزوميِّ، المعروف بالببغاء؟

قال: نعم، أنا عارفٌ به.

فقلتُ: أَوَتَعرِفُ ما هو فيه من البلاءِ والجَهدِ والعلَّةِ الطويلة؟

قال: نعم[1].

فقلتُ: أيعيش أم لا؟

قال: نعم، يعيشُ ويَبْرَأُ، ولكن أنت لك ابنٌ فاحْذَرْ عليه من عِلَّةٍ تَلْحَقُه قريبًا. واستيقظتُ.

وأخذ يُهَنِّئني بالعافية، ويقول: سرَّني ما قد جرى، ولكن قد أوحشني في أمر ابني، وأسأَلُ الله تعالى الكفاية.

قال أبو الفرج: وكانَ للرَّجُل ابنٌ له نحو الثَّلاثينَ سنة، وهو في الحال مُعافى، فلمَّا مَضَتْ عليه[2] خمسةُ أيّامٍ من الرُّؤيا حُمَّ الفتَى، وتزايدت علَّتُه، فدخل الترابَ[3] في اليوم الرابعَ عشرَ من يوم حُمَّ، فَقَوِيَتْ نفسي في صِحَّةِ المنام، وما مضى على موتِ الفتى إلَّا أيّامٌ يسيرَةٌ حتَّى أَدْبَرَ مرضي، ولم تَزَلِ العافيةُ تقوى إلى أن عُوفِيتُ، وعاوَدْتُ إلى عادتي بعد مُدَيدَةٍ قريبة[4]. [ظ/١٣١]

(١) من قوله: (فقلت: أوتعرف ما هو فيه...) إلى هنا ليس في (ظ، والمطبوع).

(٢) (عليه) ليست في (ظ).

(٣) في (ظ): (فمات).

(٤) (وعاودت إلى عادتي بعد مديدة قريبة) في (ظ): (وعادت صحَّتي كما كانت بعد مُدَّة يسيرة).

[٦: ٢٥] [الإسكندرُ يرى منامًا يُبَشِّرُه بالغَلَبَةِ والنصرِ]

وجدت في بعض الكتب: أنَّه لما اشتدَّت الحرب بين الإسكَندَرِ(١) ودارا بن دارا(٢)، استظهر دارا عليه، وأشرف الإسكندرُ على الهلاك، وأَيِسَ من النَّصر، وحال الشتاءُ بينهما، فانصَرفَ الإسكندرُ إلى مُعَسكَرِه قَلِقًا مهمومًا، متحيِّرًا مَغْمومًا عامَّةَ لَيلِه(٣)، ثمَّ نام، فرأى في منامه، كأَنَّهُ قد صارعَ دارا، فصَرَعَه دارا، فانتبه، وقد كَرَبَه ذلك، وزاد في همِّه وغمِّه.

فَقَصَّ رؤياهُ على بعض فلاسفته، فقال له: أبشِرْ أيها الملكُ بالغَلَبَةِ والنصر، فإنَّك تغلب دارا على الأرض، لأنَّك كنتَ تليها لمَّا صَرَعك.

فلمَّا كانَ بعد أيَّامٍ يسيرةٍ انهزم دارا، وقُتِل، وجاؤوا برأسه إلى الإسكندر، ومَلَكَ مَمَالِكَه(٤).

---

(١) هو الإسكندر المقدوني المعروف بذي القرنين الذي غزا دارا بن دارا ملك الفرس في عقر داره، فاستلبه ملكه، وتخطَّاه إلى الهند والصين، وقد اختلف في نَسَبِه، فأهل فارس يزعمون أنَّه لم يكن ابن الفيلفوس ولكن كان ابن ابنته، وأن أباه دارا بن بهمن، وعلماء الروم يزعمون أنَّه ابن الفيلفوس لصلبه. ينظر: «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» (ص: ٢٤)، و«الأخبار الطوال» (ص: ٢٩ - ٣٠).

(٢) هو دارا بن دارا، ملك الفرس، المعروف بـ(داريوش)، مقارع الاسكندر، وكان عظيم السلطان، لم يبق في عصره ملك من ملوك الأرض إلَّا خضع له بالطاعة. ينظر: «الأخبار الطوال» (ص: ٤٠١)، و«المنتظم» (٢/ ٧٧).

(٣) (قلقًا مهمومًا متحيرًا مغمومًا عامة ليله) في (ظ): (مغمومًا مهمومًا ليلته).

(٤) (وملك ممالكه) ليست في (ظ).

[٦: ٢٦] [ابنُ الزُبيرِ يرى في المنام أنَّه يصارعُ عبدَ الملكِ بنَ مَروانَ]

قال مؤلِّف هذا الكتاب: ومثل هذا ما هو مشهورٌ في روايات أصحاب الأخبار والسِّيَر:

أنَّ عبدَ الله بنَ الزُّبير رأى في منامه كأنَّهُ صارعَ عبدَ الملك بنَ مروانَ، فصَرَعَ عبدَ الملكِ، وسَمَّرَه في الأرض بأربعةِ أوتادِ.

فأرسل راكبًا إلى البَصرَة، وأمره أن يَلقى محمَّدَ بنَ سيرين، ويقصَّ الرُّؤيا عليه، ولا يذكر له مَن أنفَذَه، ولا يُسَمِّ عبدَ الملك[١].

فسارَ الراكبُ حتَّى أناخَ بباب ابن سيرين[٢]، وقصَّ عليه المنام، **فقال ابن سيرين**: مَن رأى هذا؟ **قال**: أنا رأيتُه في رجلٍ بيني وبَينَه عداوَةٌ.

فقال: ليسَ هذه رؤياك، هذه رؤيا ابنِ الزُّبَير أو عبدِ الملك، أحدهما في الآخر.

فسأله عن الجواب، فقال: ما أُفَسِّرها أو تَصْدُقني. فلم يَصْدُقه، فامتنعَ من تَعبِيرها[٣]، فانصَرفَ الراكبُ إلى ابن الزبير، فأخبرهُ بما جرى.

---

(١) (ولا يسم عبد الملك) ليست في (ظ).

(٢) (فسار الراكب حتَّى أناخ بباب ابن سيرين) في (ظ): (فأتاه).

(٣) في (ظ): (التفسير).

فقال له: ارجع إليهِ، واصدقه أنَّني رأيتُها في عبد الملك.

فرجع الراكبُ إلى ابن سيرين برسالةِ ابنِ الزُّبَير، وصَدَقَه، **فقال**: قل له: يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ عبدَ الملك يَغلِبُك على الأرض، ويلي هذا الأمرَ من ولَدِه لظهرِه أربعةٌ، بعدد الأوتاد التي سمَّرتَها له في الأرض[1].

(١) ينظر: «المنتظم» (٦/ ١٣٨).

[٦: ٢٧] [أبو القاسم البَرِيديُّ وأبو أحمدَ طلحةُ بنُ الحسنِ]

وحدَّثني أبو القاسم الحسنُ بنُ بِشرٍ الآمِديُّ الكاتب(١)، المُقيمُ كانَ بالبصرةِ إلى أن ماتَ، **قال**: لما سعى أبو أحمدَ طلحَةُ بنُ الحسنِ بنِ المثنَّى مع جيشِ أبي القاسِم بن أبي عبد الله البَرِيدِيّ(٢) في أن يقبضوا عليه، ويحبسوه عند أبي أحمد إلى أن يَرِدَ المطيعُ لله(٣) أو جَيشٌ له البصرَةَ، فيملكوها، ويتسلَّمون منه أبا القاسم البريديَّ، وكانت القصَّة المَشهورَة في ذلك.

فبلغني ذلك، فخلوت بأبي أحمدَ -وكنت أكتبُ له حينئذٍ، وكانَ لا يَحْتَشِمُني في أُمورِه(٤)- وثَنَيتُه عن هذا الرَّأيِ، وعرَّفتُه وجوهَ الغلطِ فيه عليه(٥)، والمخاطرة بدمه ونعمتِه، وهو غيرُ قابلٍ لمشورتي، إلى أن أكثرتُ عليه.

---

(١) هو الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي النحوي الكاتب، أبو القاسم، ولي قضاء البصرة، وكان من أئمة الأدب، له «الموازنة بين الطائيين»، (ت: ٣٧٠هـ). ينظر: «معجم الأدباء» (٢/ ٨٤٧)، و«تاريخ الإسلام» (٨/ ٣٢٠).

(٢) هو عبدُ الله بنُ أبي عبد الله البريدي، استولى على البصرة بعد موت أبيه، وقَتْلِ عمِّه أبي الحسين، فسار إليه معزُّ الدولة ومعه المطيعُ لله لاستنقاذها من يده، ولما وصل معزُّ الدولة إلى الدرهميَّة استأمن إليه عساكرُ أبي القاسم البريدي، وهرب أبو القاسم إلى هجر، والتجأ إلى القرامطة، (ت: ٣٤٩هـ). ينظر: «تجارب الأمم» (٦/ ٩١)، و«الكامل في التاريخ» (٧/ ١٧٥).

(٣) هو الفضل بن جعفر (المقتدر بالله) ابن المعتضد العباسي، بويع بالخلافة بعد خلع المستكفي بالله سنة (٣٣٤هـ)، (ت: ٣٩٣هـ). ينظر: «الأعلام» (٤/ ٥٣).

(٤) **الحِشمَةُ**: الحياءُ والانقباض، وقد **احْتَشَمَ** عنه ومنه، وفي «أساس البلاغة» (١/ ١٩١): «أنا أَحْتَشِمُكَ، وأَحْتَشِمُ منك؛ أي: أستحي». وقال في «المحكم» (٣/ ١١٨): «ولا يقال: احتشمه».

(٥) (الغلط فيه عليه) في (ظ): (الغلط عليه في هذا الرأي).

فقال لي: اعلم أنَّني رأيتُ رؤيا أنا بها واثقٌ في تمام ما قد شرعتُ فيه من القَبض على هذا الرجل.

فعجبتُ في نفسي من رجلٍ يخالِفُ الحزمَ الظاهِرَ والرأيَ الواضحَ من أجل منامٍ، **ثمَّ قلت له**: ما الرُّؤيا؟

فقال: رأيتُ كأنَّ حَيَّةً عظيمةً قد خرجت عليَّ من حائط هذا العَرْضِيِّ[١] -وكانَ جالسًا في عَرْضِيٍّ في داره- **قال**: وكأنِّي قد رميتُها، فأثبتُّها في الحائط[٢].

قال[٣]: فحين قال أبو أحمد: «أثبتُّها في الحائط»، تذكَّرتُ تأويلَ ابنِ سيرين لمنام ابنِ الزبير[٤]، **قال**: فسبق إلى قلبي أنَّ تأويلَ منامِ أبي أحمد: أنَّه قد أثبتَ عدوَّه في حائِطه، وأن عدوَّه سَيَغلِبُه على البَلَد، فأمسَكْتُ، وقطعتُ الكلام، فما مضت إلَّا مدَّة يسيرة حتَّى شاع التَّدبيرُ، وصَحَّ الخَبَرُ[٥] عند أبي القاسم البريديّ، فبادرَ بالقبض على فائقٍ الأعسر، وكانَ هو الَّذي نَدَبَه أبو أحمد للقبض على البريدي، وأن يكون أمرُ البلدِ إليه[٦]، إلى أن يَرِدَه جيشُ الخليفة؛ فقرَّره فأقرَّ بالخبر على شرحه، فقَبَضَ أبو القاسم على أبي أحمدَ بعد قَبضِه على فائقٍ بيومين أو ثلاثة أيَّام، فاستصفاه وأهلَه وولدَه، ثمَّ قَتَلَه بعد ذلك بأيام[٧]. [ض/٩٦] [ظ/١٣٢]

---

(١) **العَرْضِيُّ**: بعضُ مرافِقِ الدَّارِ وبُيُوتِها؛ عراقيَّةٌ لا تعرفُها العَرَبُ. ينظر: «تاج العروس» (ع ر ض: ١٨/ ٤٠٤).

(٢) في «نشوار المحاضرة» (٣/ ٢٢٤): (فتأوَّلت أنَّ ذلك الثعبان البريديّ، وأنِّي أغلبه).

(٣) أي: أبو القاسم الآمدي.

(٤) في (ظ) زيادة: (وقصَّ المنامَ الذي ذكرتُه).

(٥) (التدبير وصح الخبر) في (ظ): (الخبر وصح التدبير به).

(٦) (أمر البلد إليه) في (ظ، ر): (أمير البلد).

(٧) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٣/ ٢٢٣).

[٦: ٢٨] [إبراهيمُ بنُ المهديِّ يرى أباه في المنام ويشكو له ظلمَ أخيه الرشيد]

بلغني عن إبراهيمَ بنِ المهديِّ أنَّه قال: كنتُ في جفوةٍ شديدَةٍ من أخي الرشيد، أثَّرت في جاهي، ونَقَصَت(١) حالي، وأفضيتُ معها إلى الإضاقة بتأخُّر أرزاقي، وظُهور اطِّراحِهِ إيَّايَ، واختلَّت لذلك ضَيعتي(٢)، ورَكِبَني دينٌ فادحٌ، فبلَغَ بي القلقُ بذاك(٣) والفكرُ فيه ليلةً من اللَّيالي مبلغًا شديدًا، ونمتُ **فرأيتُ في النوم** كأنَّني واقفٌ بين يدي **أبي المهديِّ**، وهو يسألني عن حالي، وأنا أشكو إليه ما نكبني به الرشيدُ، وانتَهَتْ(٤) إليه حالي، **وأقول له:** ادْعُ الله تعالى يا أمير المؤمنينَ لي.

فكأنَّه يقول: «اللهمَّ أَصْلِح ابني هارون»، ويكرِّرُها ثلاثًا.

فكأني أَقول: يا أميرَ المؤمنين أشكو إليكَ ظُلْمَ هارونَ لي، وأسأَلُكَ أن تدعوَ عليه، فتدعو له.

فقال لي: وما عليك إن أصلَحَه الله لكَ وللكافَّةِ أَنْ يبقى على حاله، هو ذا أمضي إليهِ الساعةَ، وآمُرُه أن يرجعَ لك، ويَقضِيَ دينك، ويولِّيَك جُندَ دمشق.

---

(١) في (ظ): (وقبضت).

(٢) (واختلت لذلك ضيعتي) في (ظ): (فاختلت لذلك أحوالي).

(٣) (بذاك) ليست في (ظ).

(٤) في (ظ): (وأنهيت).

فكأنِّي أُومِئُ إليه بسبَّابتي، وأقول له: «دمشق، دمشق»، استِقلالًا لها.

فكأنَّه يقول لي: حرَّكتَ مُسَبِّحَتَكَ استقلالًا لدمشق، إنَّها دنيا كلَّما[1] خفَّ منها حظُّك، كان في العاقبةِ أجودَ لك.

فانتبهتُ، وأحضرتُ رجلًا في جُملَتي[2] كانَ مؤدِّبي في أيّام المهديِّ، فسألتُه عن المُسَبِّحة، فقال: كانَ عبدُ الله بن العَبَّاس يُسَمِّي السبابَةَ المُسَبِّحةَ، فما سببُ سُؤالِ الأميرِ عَنها؟ فقصصتُ عليه الرُّؤيا، وامتنعَ النّومُ عليَّ، وأخذَ يحدِّثُني وأنا جالسٌ في فراشي، إذ جاءني رسولُ الرشيدِ، فارتَعتُ له ارتياعًا شديدًا، ولم أَعْبَأْ بالمنام، وخفتُ أن يكونَ يُريدني لسوءٍ يُوقِعُه بي؛ **فقلت**: أُدافِعُه إلى أن تطلعَ الشَّمسُ، ثمَّ يكون دخولي الدارَ نهارًا، فإن كانَ أرادني لغِيلَةٍ لم تتمَّ.

فتقاطَرَتْ رسلُه حتَّى أعجلوني عن الرَّأيِ، واضطرُّوني إلى الركوب في الحال، فدخلتُ إليه وأنا شديدُ الجزعِ، وهو جالسٌ في فراشه يَنْتَحِبُ[3].

فلمَّا رآني قال لي: سألتُك بالله يا أخي هل رأيت اللَّيلَةَ في منامك شيئًا؟

قلتُ: نعم، السَّاعةَ رأيتُ أميرَ المؤمنينَ المهديَّ.

فلمَّا قلتُ له ذلك ازدادَ بكاءً، **ثمَّ قال لي**: ويحكَ، باللهِ شكوتني إليه وسألتَه أن يدعوَ عَلَيَّ؟

قلتُ: قد كانَ ذلك، ولكنَّه قال كذا وكذا، وشرحتُ له ما قال.

---

(١) (إنها دنيا كلما) في (ظ): (فكلما).

(٢) (في جملتي) ليست في (ظ). **والجُملَةُ**: الجماعةُ. ينظر: «لسان العرب» (ج م ل: ١١/ ١٢٨).

(٣) **الانتحاب**: رفعُ الصَّوتِ بالبكاءِ. ينظر: «مختار الصحاح» (ن ح ب).

فقال: الساعةَ -والله- جاءني في منامي، فقصَّ عليَّ جميعَ ما ذكرتَ، وقد وفَّى بوعده، والله لأمتثلنَّ أمرَه، ولأَصِلَنَّ رَحِمَكَ، كم دَيْنُك؟

قلت: كذا وكذا. فأمرَ بقضائِه.

وقال: لا تَبرحْ حتَّى أُصَلِّيَ وأَخْرُجَ، فأعْقِدَ لك على دمشق.

فانتظرتُ حتَّى وَجَبَتْ الصَّلاةُ، فصلَّى، وجاء وقتُ جلوسِه، فجَلَسَ، واستدعاني فأظهر تَكرِمَتِي، وعقد لي لواءً على دمشق، وأمر النَّاسَ، فساروا معي إلى منزلي، فعاد جاهي، وصَلُحَتْ حالي(١).

---

(١) ينظر: «تاريخ دمشق» (٧/ ١٥٧ - ١٥٨).

[٦: ٢٩] [موسى بنُ عبد الملكِ الكاتب يُبَشَّرُ في منامِه بالفَرَجِ]

حدَّثني أبو القاسم طلحةُ بنُ محمَّد بن جعفرٍ المقرئُ الشَّاهِدُ، قال: حدَّثني أبو الحُسَين عبدُ الواحِدِ بنُ محمَّدٍ الخَصِيبي[١]، **قال:** حدَّثني أبو الفضل ميمونُ بن هارون، **قال:** حدَّثني **موسى بنُ عبد الملكِ**[٢]، **قال:**

رأيتُ وأنا في الحَبسِ قائلًا يقول: [من مُخَلَّع البسيط]

لا زِلــتَ تَعلُـو بِـكَ الـجُـدودُ ... نَـعَـمْ وَحَـفَّـتْ بِـكَ الـسُّـعودُ
أَبْـشِـرْ فَـقَـدْ آنَ[٣] مـا تُـرِيـدُ ... يُـبِـيـدُ أَعْــداءَكَ الـمُـبِـيـدُ
لـم يُـمْـهَـلُـوا ثُـمَّ لـم يُـقـالُـوا[٤] ... واللهُ يَـأتـي بِـمَـا[٥] يُـرِيـدُ
فـاصـبـر فَـصَـبـر الـفَـتـى حميد ... واشـكـر فَـفـي شـكـرك المَزيد

---

(١) عبد الواحد بنُ محمَّدٍ، أبو الحسين الخَصِيبيُّ، حدَّثَ عن أبي العيناء محمَّد بن القاسم، وميمون بن هارون الكاتب، وهو صاحب أخبارٍ وروايةٍ للآداب؛ روى عنه أبو عبيد الله المرزباني، وطلحة بنُ محمَّد بن جعفر الشاهد. ينظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٥٣)، و«الإكمال» (٣/ ٤٠).

(٢) هو موسى بن عبد الملك بن هشام الكاتب، سبقت ترجمته (١/ ٢٧٢).

(٣) في (ر): (نلتَ).

(٤) في (ض): (لم يهملوا ثم لم ينالوا).

(٥) (والله يأتي بما) في (ظ): (بل يفعل الله ما).

فما مَضَى على هذا إلَّا أيَّامٌ يسيرةٌ حتَّى أُطلِقْتُ(١).

ذكرَ أبو الحسين القاضي هذا الخبرَ بلا إسنادٍ، وحكاهُ محمَّدُ بنُ عبدِ الملك الزيَّاتُ أو غيره من الرؤساء -كذا قال- فأتى بالشِّعرِ ينقصُ بيتين، وقال في خبره عن الذي رأى المنام: «فانتبهتُ وقد طفئ المصباحُ، فطلبتُ شيئًا حتَّى كتبتُ الأبياتَ على الحائطِ، وأصبحتُ وقد قَوِيَتْ نفسي، فأُطْلِقتُ بعد أيَّامٍ». وأَتَى في صَدْرِ الخبرِ بكلامٍ يُشبِهُ الخبرَ(٢).

---

(١) ينظر: «تاريخ دمشق» (٦٠/ ٤٥٥)، و«أنس المسجون وراحة المحزون» (ص: ١٣٨).

(٢) قوله: (ذكر أبو الحسين القاضي هذا الخبر بلا إسناد... بكلام يشبه الخبر) انفردت به (ض)، وليس في باقي النسخ؛ لكن في (ر، ن، ح) بدل قوله: (فما مضى... حتى أطلقت): (فانتبهت وقد طفئ السراج، فطلبت شيئًا حتى أكتبَ الأبياتَ على الحائط، وأصبحتُ وقد قويت نفسي، وأُطْلِقتُ بعد هذا بأيام يسيرةٍ).

[٦: ٣٠] [تَوبَةُ العَنبَريُّ يُعَلَّمُ في منامِهِ دعاءً للفرج]

ذكر المدائنيُّ في كتابه «الفرج بعد الشِّدَّة والضِّيقة»: قال تَوبَةُ العَنبَريُّ[١]: أَكْرَهَني يوسُفُ بنُ عمرَ[٢] على العَمَل، فلمَّا رجعتُ حَبَسَني حتَّى لم يبقَ في رأسي شعرةٌ سوداء؛ **فأتاني آتٍ في منامي وعليه ثيابٌ بَياضٌ فقال**[٣]: يا تَوبةُ [ظ/١٣٣] أطالوا حَبسَكَ؟ **قلت:** أجل.

فقال: سَلِ اللهَ عَزَّوَجَلَّ العفوَ والعافية، والمعافاة[٤] في الدُّنيا والآخرة، ثلاثًا.

فاستيَقَظتُ، وكتبتُها، ثمَّ توضَّأتُ وصلَّيتُ ما شاءَ الله، ثمَّ جعلتُ أدعو حتَّى وجَبَتْ صلاةُ الصُّبحِ، فصلَّيتُها، **فجاء حَرَسِي**[٥]، **فقال:** أين تَوبةُ العَنبَريُّ؟ فَحَمَلَني في قيودي، وأَدْخَلَني عليهِ، وأنا أتكلَّمُ بهنَّ، فلمَّا رآني أَمَرَ بإطلاقي.

---

(١) هو توبة بن أبي أسد (أو أسيد)، ويقال: ابن أبي راشد، ويقال: ابن أبي الُموَرِّع، البصري، مولى بني العنبر، أصله من سجستان، روى عن أنس بن مالك، وسالم بن عبد الله، ثقة، روى له البخاري، ومسلم، ولَّاه يوسف بن عمر سابور، ثم ولاه الأهواز، (ت: ١٣١هـ). ينظر: «تاريخ دمشق» (١١/ ٩٤)، و«تهذيب الكمال» (٤/ ٣٤٠).

(٢) هو يوسف بن عمر بن محمَّد بن الحكم الثقفي، أمير العراقيين وخراسان، كان شهمًا كافيًا سائسًا جبّارًا مهيبًا عسوفًا جوادًا معطاءً، (١٢٧هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٤٤٢).

(٣) (وعليه ثياب بياض فقال) في (ظ): (فقال لي).

(٤) (والمعافاة) ليست في (ظ، والمطبوع).

(٥) **الحرسيُّ**: الواحد من الحُرَّاسِ. ينظر: «مختار الصحاح» (ح ر س).

قال تَوبةُ: فعلَّمتُها وأنا في السجن رجلًا، فقال لي: لم أُدْعَ إلى عذابٍ قطُّ فقلتُهنَّ إلَّا خَلَّوا عنِّي، فجيء بي يومًا إلى العذاب، فجعلتُ أتذكَّرُهنَّ فلا أَذْكُرُهن، حتَّى جُلِدتُ مئةَ سَوطٍ، فذكرتهنَّ بعدُ، فدعوتُ بهنَّ، فخُلِّيَ عنِّي[1].

حدَّثنا عليُّ بنُ الحسن، ابنُ أبي الطيِّبِ، **قال**: حدَّثنا ابنُ الجرَّاح، **قال**: حدَّثنا ابنُ أبي الدُّنيا، **قال**: حدَّثنا حاتمُ بنُ عبد الله، **أنَّه حدث عَن** [سيَّار][2] بن حاتِم[3]، **قال**: حدَّثنا عُثمان بن مطر[4]، **قال**: حدَّثنا توبةُ العَنبَريُّ. فَذَكَر مثلَه، وزاد فيه: «وقيَّدَني، فما زلتُ في السجن حتَّى لم يبقَ في رأسي شعرةٌ سوداء»[5].

---

(١) ينظر: «التذكرة الحمدونية» (٨/ ٦٠)، و«الطيوريات» لأبي طاهر السلفي (٣/ ٩٨٠)، و«المستغيثين بالله تعالى عند المهمّات والحاجات» (ص: ٤٠).

(٢) في (ض، ظ): (يسار)، وهو تصحيف، والمثبت من رواية ابن أبي الدنيا وغيره. ينظر: «تاريخ دمشق» (١١/ ١٠٠).

(٣) هو سَيَّار بن حاتم العنزي، أبو سلمة البصري، قال ابن حبان: «كان جمّاعًا للرقائق»، وقال ابن حجر: «صدوق له أوهام»، روى له الترمذي، والنَّسائي، وابن ماجه، (ت: ١٩٩هـ، أو: ٢٠٠هـ). ينظر: «الثقات» لابن حبان (٨/ ٢٩٨)، «تهذيب الكمال» (١٢/ ٣٠٧).

(٤) هو عثمان بن مطر الشيباني، أبو الفضل، ويقال: أبو علي البصري، روى له ابن ماجه، قال أبو حاتم وغيره: ضعيف، (ت: ١٧١ - ١٨٠هـ). ينظر: «تهذيب الكمال» (١٩/ ٤٩٤).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٩٥)، وفي «المنامات» (٢٩١).

[٦: ٣١] [رجلٌ رأى في منامِه أنَّهم أخرجوا من دارِه اثنتي عَشْرةَ جنازةً]

[ص/ ٩٧] وروى المدائنيُّ أيضًا في كتابه عن عمرَ[١] بن المثنَّى[٢]، عن عَليّ بن القاسِم، قال: حدَّثني رجلٌ قال:

رأيتُ في المنام، في أيَّام الطاعون أنَّهم أخرجوا من داري اثنتي عشرة جنازةً، وأنا وعيالي اثنا عشر نَفْسًا، فماتَ عيالي، وبقيتُ وحدي، فاغتَمَمْتُ وضاقَ صدري، فخرجتُ من الدَّار، ثمَّ رجعتُ من الغَدِ، فإذا لصٌّ قد دخل ليَسرِقَ، فطُعِنَ في الدَّار، فماتَ وأُخرِجَتْ منها جنازتُه، وسُرِّيَ عنِّي ما كنتُ فيه، ووهبَ الله عَزَّوَجَلَّ العافيةَ والسلامةَ[٣].

---

(١) في (ظ، غ): (معمر).

(٢) في (ف): (السني).

(٣) ينظر: «التعازي» للمبرِّد (ص: ٢١٦)، و«المستخرَج» لابن منده (٣/ ٧٢).

[٦: ٣٢] [وَهْبُ بنُ منبِّهٍ يرى منامًا يُبَشِّرُه بالفَرَج]

ذكر القاضي أبو الحُسَين في كتابه «كتاب الفرج بعد الشدَّة»: أن وَهْبَ بنَ مُنَبِّهٍ[١] قال: أَمْلَقْتُ[٢] حتَّى قَنِطْتُ أو كِدْتُ، **فأتاني آتٍ في منامي ومعه شبيهٌ** بالفُستقةِ، فدفعها إليَّ، وقال: «افْضُضْ»، فَفَضَضْتُها، فإذا حَرِيرَةٌ[٣]. فقال: «انْشُرْ»، فنَشَرتُها، فإذا فيها ثلاثةُ أسطرٍ بِبَياضٍ:

لا ينبغي لمن عرفَ للهِ عَدْلَه

أو عَقَلَ عن الله أمرَه

أن يستبطئَ اللهَ في رزقه

قال: فأعطاني اللهُ بعدها، فأكثرَ.

---

(١) هو وهب بن منبِّه بن كامل بن سيج بن الأسوار الأبناوي، أبو عبد الله الصنعاني، وثَّقه أبو زرعة والعجلي والنسائي، وكان صدوقًا عالمًا، (ت: ١١٠هـ، أو: ١١٤هـ) ينظر: «تاريخ الإسلام» (٣/ ٣٣٤).

(٢) **أَمْلَقَ**: افتقرَ واحتاجَ. ينظر: «المصباح المنير» (م ل ق).

(٣) في (ظ): (جُزَيزة).

[٦: ٣٣] [الواقديُّ يقع في إضاقةٍ فَيَراه يحيى بنُ خالدٍ في المنام فيرسلُ إليه]

وذَكَرَ أيضًا عن الواقِديِّ(١) **أنَّه قال:** أَضَقْتُ(٢) إضاقةً شَديدةً، وهجمَ شهرُ رمضانَ، وأنا بغير نَفَقَة، فضاقَ ذَرْعي بذلك، فكتبتُ إلى صديقٍ لي عَلَويٍّ أسألُه أن يُقْرِضَني ألفَ درهم، فبعث إليَّ بها في كيسٍ مختومٍ، فتركتها عندي.

فلمَّا كانَ عَشِيُّ ذلك اليوم ورَدَتْ عليَّ رُقعةُ صديقٍ لي يسألني إسعافَه لنفقةِ شهرِ رمضانَ بألف درهمٍ، فوجَّهتُ إليه بالكيس بخاتمه.

فلمَّا كانَ من الغَدِ جاءني صديقي الَّذي اقترضَ منِّي، والعَلَويُّ الَّذي اقترَضْتُ منه، فسألني العَلَويُّ عن خَبَرِ الدَّراهمِ، **فقلتُ:** صَرَفْتُها في مُهِمٍّ.

فأخرجَ الكيسَ بخاتمه(٣)، **وقال:** اعلم أنَّه قَرُبَ هذا الشَّهرُ وما عندي إلَّا هذه الدراهم، فلما كتبتَ إليَّ وجَّهتُ بها إليك، وكتبتُ إلى صديقنا هذا أَقْتَرِضُ منهُ ألفَ درهَمٍ، فوَجَّهَ إليَّ بالكيس، فسألتُه عن القِصَّة، فشرحها لي، وقد جئناك لنقتسمَها، وإلى أن نُنْفِقَها يأتي اللهُ بالفَرَج.

---

(١) هو محمَّد بن عمر بن واقد، أبو عبد الله الواقدي المديني، وكان عالمًا بالمغازي واختلاف الناس وأحاديثهم، (ت: ٢٠٧هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٤/ ٥).

(٢) **أضاق:** ذَهَبَ مالُه. ينظر: «مختار الصحاح» (ض ي ق).

(٣) (بخاتمه) في (ظ، ر): (بختمه وضحك).

قال الواقِديُّ: فقلت لهما: لستُ أدري أيُّكُما[1] أكرمُ.

قال: واقتسمناها[2]، ودخل شهرُ رمضانَ، فأنفقتُ ما حَصَلَ لي منها، وضاق صدري، وجعلتُ أفكِّرُ في أمري.

فبينما أنا كذلك، إذ بعثَ إليَّ يحيى بنُ خالدٍ البَرْمَكيُّ في سُحْرَةِ يومٍ، فصرت إليه. **فقال**: يا واقديُّ، إنِّي رأيتُكَ البارحةَ فيما يرى النّائِمُ وأنتَ في حالٍ دلَّتني على أنَّك في غمٍّ شَديد وأذًى، فاشرَحْ لي أمرك.

فشرحتُه، إلى أن بلغتُ إلى حديثِ العلويِّ، وصديقي، والألفِ درهم.

[ظ/١٣٤] **فقال**: ما أدري أيُّكُم أكرمُ، وأمر لي بثلاثينَ ألفِ درهمٍ، ولهما بعشرين ألفِ درهم، وقلَّدني القضاءَ بالبصرة[3].

(١) في (ظ): (أينا).

(٢) (قال: واقتسمناها) في (ظ): (فقسمناها).

(٣) (بالبصرة) ليست في (ظ). **وذكر القصَّةَ** القاضي عياض في «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» (٣/ ٢١٤)، وسبطُ ابنِ الجوزيِّ في «مرآة الزمان» (١٤/ ٢١).

فهرس الموضوعات